احذروا الصهيونية!



إهـــــــداء ٢٠٠٧

الأستاذ / عبد الغنى أبو العينين
جمهورية مصر العربية

يورى ايفانوف

إحذروا الصهيونية

دراسة حول ايدولوجية الصهيونية وتنظيمها وممارستها

هذا الكتاب للمؤلف يوري ايفانوف مكرس للصهيونية المعاصرة كايديولوجية ومجموع منظمات ، وممارسة سياسية للبرجوازية اليهـــــودية الكبيرة ، التي اندمجت مع الاوساط الاحتكارية في الولايات المتحدة الاميركية وغيرها من الدول الامبريالية • ان المحتوى الرئيسي للصهيونية ، كما يشير المؤلف ، هو الشـوفينية ذات النزعة الحربية والعداء للشيوعية •

الى مواطنى والى الرفاق الاجانب
الذين ساعدونى بنصائحهم الطيبة
فى عملى
المؤلف

طوى الزمن أيام الانتظار المحموم الغادر لانهيار أول دولة للعمال والفلاحين فى العالم . ومضي زمن أشد امتحان ، بسلاح العدو ، لقدرة الجمهورية السوفياتية الفتية على الحياة . واصبحت مأثرة بلاد السوفيات فى النضال ضد القطعان الهتلرية ملكا للتاريخ ، وتبدد الكثير من أوهام أعداء الشيوعية . ولكن لم يتبدد حقدهم واستعدادهم لمواصلة الكفاح بكل ما تبقى فى ترسانتهم من وسائل.

كان لينين يعتبر ، التحليل الحسى للقوى المناهضة للشيوعية ، مهما بدت ثانوية ، لأول وهلة ، هو واجب الصحافة السوفياتية ومهمتها الاولى ، وهذا الكتيب مكرس لدراسة الصهيونية المعاصرة ، احد الاشكال المختلفة الثابتة والمخفية بعض الشيء لمعاداة الشيوعية .

اشار مايرفيلنر ، أمين المكتب السياسى للجنة المركزية للحزب الشيوعى الاسرائيلى ، فى رسالة وجهها الى الصحافيين السوفياتيين فى يناير سنة ١٩٦٨ ، الى أن « الصهيونية تشكل ، مع الأسف ، قضية « منسية » ، الا انها أكثر القضايا الحاحا ... » ولا يمكن عدم الموافقة على هذا القول . فقد كانت جهود كثيرين من انصار الصهيونية موجهة ، زمنا طويلا ، الى تحويلها من حيث المظهر الى عبارة بائدة لا أكثر ، ذلك أن من الخطل اعتبار ظاهرة تشكل قوة رجعية ذات نزعة حربية ، كانت حتى المدة الاخيرة كأنها خارج حقل رؤية الرأى العام العالمى ، مجرد ظاهرة عابرة . وليس لهذا الظرف الفضل الاخير فى وجود اتحاد الصهاينة العالمى ، الذى يعمل لصالح الرجعية الامبريالية .

ولقد سبق أن أشار ف . ا . لينين أكثر من مرة ببصيرته

المعهودة ، فى مرحلة قيام المنظمة الصهيونية العالميـة ، الى ان الصهيونية تشكل تيارا رجعيا للبرجوازية اليهودية .

فهل توجد أية وقائع تاريخية أو اتجاهات جديدة تبين ضروره « اعادة النظر » (كما يلح الصهاينة وانصارهم منذ سنوات عديدة) فى التقدير اللينينى ؟ مثل هذه الوقائع لا وجود لها بل على العكس توجد فى هذا الصدد ، مئات من البراهين التى لاتدحض والمسجلة، بالدرجة الاولى فى الوثائق الصهيونية والادب السياسى الصهيونى، تؤكد بوضوح بالغ ، أن التحديد الاينينى للصهيونية لم يفقد أهميته حتى فى أيامنا هذه . وزيادة على ذلك ، فان الصهيونية ، بدعم اجماعى من قبل قوى الامبريالية ، وبعـــد أن استوعبت أكثرية تيارات القومية البرجوازية اليهودية ، أصبحت تشكل فيها التيار السائد واتسمت بصفات رجعية جديدة .

ان الصهيونية المعاصرة هى ايديولوجية ، ومنظومة متشعبة من المنظمات وممارسة سياســـية للبرجوازية اليهودية الكبيرة التى اندمجت بالاوساط الاحتكارية فى الولايات المتحدة الأمريكية والدول الامبريالية الاخرى . والمحتوى الرئيسى للصهيونية هو الشوفينية النزاعة الى الحرب ، والعداء الشيوعية .

والصهيونية بمحاربتها الاسرة الاشتراكية ، والحركة الشيوعية والعمالية العالمية ، تحارب أيضا حركة التحرر الوطنى للشعوب . وفى هذا المجال يشكل عدوان العسكريين الاسرائيليين على الدول العربية فى يونية ١٩٦٧ العمل الحسى الأخير من حيث الزمن .

وقد ترك هذا العدوان بنتائجه العسكرية ، بشــكل رئيسى ، أثره فى نوعين من الناس : فى سكان عدد من البلـــدان المتاخمـــة والمجاورة وفى الانتقاميين فى « بون » الذين كانت الحرب الصاعقة ولا تزال حلمهم الذى لا يتحقق .

الا أن الاكثرية المطلقة من الناس الذين رفضوا الانزلاق الى سطحية الاحداث وجدوا أنفسهم ، بسبب المأساة التى وقعت فى الشرق الادنى ، أمام ضرورة ايجاد جواب لعـــدد من الاســـئلة الاساسية : ما هى القوى التى استطاعت فى البـداية خلق رؤية « صراع » اسرائيل مع مجموعة كاملة من الدول العربيـــة ؟ ومن الذى استطاع أن يستميل سلفا قسما معينا من الرأى العام فى عدد

من البلدان الاوروبية الغربية والولايات المتحدة الاميركية لصالح العسكريين الاسرائيليين ؟ ومن الذى قام بعملية استطلاع عدد من اسرار العرب العسكرية ، واسرار الدولة وكشفها ؟ ومن الذى ضمن السرية البالغة لصفقات اسرائيل المالية والعسكرية المتعددة ؟

من المفهوم أن عملا واسعا ومتعدد الجوانب كهذا يفوق كثيرا امكانيات وكالة الاستخبارات الاسرائيلية واجهزتها الدعائية . وبديهى أن القضية تتعلق هنا بالتعاون المتبادل بين العسكريين الاسرائيليين والأوساط الحاكمة فى الدول الامبريالية . الا أن جوابا كهذا ، صحيحا مبدئيا ، غير كاف (*) . فيجب اكماله باستنتاج حول وجود حلقة وسيطة ضمنت عمليا بشكل غير منظور التحضير الشامل للتوسع الاسرائيلى اللاحق ومحاولات الاطاحة بالنظامين التقدميين فى الجمهورية العربية المتحدة وسورية ، بقوة السلاح . وهذه الحلقة الوسيطة كانت « اتحاد الصهاينة العالمى » الذى لعب دور النفق السرى بين اكثر القوى رجعية فى الدول الامبريالية وبالدرجة الاولى الولايات المتحدة الاميركية وجمهورية المانيا الاتحادية وانجلترا . وبين العسكريين الاسرائيليين .

الا أن حضر أهمية الصهيونية العالمية فى ازمة الشرق الادنى فى دور حلقة الوصل يعتبر غير صحيح .

واذا ما تصورنا الرسم البيانى العام لارتباط المشتركين الرئيسيين فى العدوان فانه سيبدو تقريبا ، بالشكل التالى : العسكريون الاسرائيليون — الصهيونية العالمية — الاوساط الامبريالية فى الغرب وفى طليعتها الولايات المتحدة الاميركية .

ان الاوساط الحاكمة فى اسرائيل تدخل ضمن الكونسرسيوم الصهيونى العالمى بصفة شريك صغير (وهذا واحد من أهم الشروط لوجودها كأوساط حاكمة بالضبط) . فالكونسرسيوم الصهيونى فى شخص المنظمة الصهيونية العالمية وفرعها الحقيقى ، المؤتمر

(*) لم تتح الدعاية الفرنسية الرسمية مثلا ، خلال العدوان ، امكانية تحضير الرأى العام فى البلاد بروح الموالاة لاسرائيل بسبب نهج السياسة الخارجية لحكومة ديجول . وقد قامت بهذا النشاط فروع المنظمة الصهيونية العالمية فى فرنسا .

اليهودى العــالى ، والفروع العديدة الاخرى التى تلعب فى بعض الاحيان دورا أهم من دور المنظمات التي ترفع لوحة على واجهات عند مداخلها ، يشكل بالذات فى وقت واحد ، وعلى حد ســـواء . واحدا من أضخم اتحادات الراسمال المالى و « الوزارة » العالمية المزعومة المختصـــة بشــــؤون « يهود العـــالم أجمع » ومركز الاستخبارات العالمى ودائرة التضليل والدعاية الحسنة التنظيم. ان الهدف الرئيسى لـــ « دوائر » الكونسرسيوم الصهيونى التى تعمل تحت قيادة واحدة هو الربح ، والاثراء ، اللذان يؤمنـــان ، فى اطار نظام الامبريالية الســـــلطة والازدهار الطفيلى . ومن البـــدهى ان الدفاع عن مواقع الامبريالية وتعزيزها يشكلان جزءا لا يتجزأ من هذا الهدف الرئيسى للصهيونية العالمية .

والمنظمة الصهيونية العالمية مرتبطة اقتصاديا بأوثق الاواصر مع احتكارات أكبر الدول الامبريالية ، ولا سيما الولايات المتحـــدة الاميركية . ويملك الاتحاد الصهيونى منذ زمن بعيد ، شـــأن احتكارات الولايات المتحدة الاميركية ، دائرة واسعة من « المصالح العملية » فى الشرق الادنى . ولذلك فان دوره فى النزاع فى الشرق الادنى لم ينحصر مطلقا فى دور الخادم الخنوع . فلقد عمــــــل الكونسرسيوم الصهيونى بصفة « رب عمــــل » ازاء الاوســـــاط الحاكمة فى اسرائيل ، اما ازاء الاحتكارات الاميركيـــة فلم يلعب دور المشترك الاخير فى التقاسم اللصوصى .

ان « حرب الايام الستة » ليست المغامرة الاولى وقد لا تكون المغامرة الاخيرة للصهيونية العالميـــة . (فدائرة مصــــالحها ومخططاتها لا تنحصر بمنطقـــة قنـــاة السويس) . ومع ذلك فان عدوان يونيو ١٩٦٧ قد شكل تلك الحالة النادرة حقا التى رفعت فيها الصهيونية العالمية رأسها شــــيئا ما من خلف المتراس ، منتهكة القوانين المترسخة منذ زمن بعيد : فقـــد كشف ليفى اشكول رئيس وزراء اسرائيل بدون قصد عن المبالغ التى قدمتها المنظمات الصهيونية فى الايام الاولى من الحرب الى الاوســـــاط الحاكمة دون مقـــابل ، وعقد فى اسرائيل جهـــارا اجتمــــاع عالمى لاصحاب الملايين من أصل يهودى ، وأقام الصـــهاينة فى عدد من البلدان وسط دهشة مواطنيهم ، حفلات ضـــخمة بنجاح القوات الاسرائيلية المسلحة . ولكن هذا ليس سوى حادثة نادرة فى تاريخ

نشاط الكونسرسيوم الصهيونى العالمى . فهو ، بصورة عامة ، يعمل بشكل مغاير تماما .

وخلال السنوات العشر الاخيرة كان لدى أساتذة التمويه الصهاينة اتجاه للتحدث عن « انهيار » الصهيونية « التام » . فالأنات والاصوات الجنائزية تنطلق من على منابر تجمعات الصهاينة العالمية . وتسعر الصحافة الصهيونية الحملة بمهارة . وعلى سبيل المثال نورد فيما يلى ما كتبته الجريدة الاسرائيلية الصهيونية « مبيفنيم » ، فى المرحلة الفاصلة بين عدوانى ١٩٥٦ و ١٩٦٧ فى الشرق الادنى : « أن الصهيونية ترى نفسها الان بين فكى كماشة أقسى أزمة ، أزمة لا مثيل لها .. انها أزمة لها ثلاثة وجوه : ايديولوجية وحركة وتطبيق الصهيونية .. وتدل سعة نطاقها وعمقها على انها ليست ظاهرة عابرة ، ولا تنبع من اى مصاعب اقتصادية أو سياسية كما انها ليست وليدة نقاش حول قضايا راهنة . أن الازمة تتناول روح الحركة ، ولب النواة ، وجوهر المشكلة اليهودية .. وتلخص خطورة الازمة فى انها تنبعث من الداخل ، من قلب الحركة ، من قلب قيادتها الايديولوجية والسياسية » (١) . ومع ذلك فمن الخطأ الا نضع فى الحسبان الاهداف الحقيقية لأصحاب مثل هذه الاقوال .

أن الصهيونية هى منظومة رجعية من الاراء ، ومنظومة رجعية من المنظمات تخدم الامبريالية، اى أنها ظاهرة طبقية. **والصهيونية شأن كل المنظومة العالمية للامبريالية ، واقعة فعلا فى أزمة عميقة . ولكن فى وسعنا على أساس الوقائع التى تكشف الاعيب الدعاة الصهاينة ، أن نلاحظ أن الامكانيات الكامنة ، وحرية المناورة ، والمصير اللاحق وموت الصهيونية مرتبطة ارتباطا مباشرا بالامكانيات وبالمصير اللاحق وبزوال الطبقات المستثمرة ، بمصير الامبريالية وموتها .**

ومن الطبيعى أن الصهيونية تواجه فى ايامنا هذه صعوبات أكثر فى عملها . ولكنها كانت ولا تزال حتى يومنا هذا عدوا غادرا ومحنكا لأصداقة والاخوة بين جميع الشعوب ، وسلاحا خطرا فى يد الرجعية الامبريالية .

وتجدر الاشارة الى أن التنبيه الى الصهيونية يثير لدى الناس الذين يجهلونها تصورات مرتبطة أما بدولة اسرائيل عامة أو باليهود بشكل عام . أن مثل هذه الاراء الخاطئة هى ، بالضبط ،

التى ترضي قادة الصهيونية العالمية أكثر من أى شيء آخر ، ومثل هذه الآراء هى ، بالضبط ، التى تغذيها الدعاية الصهيونية .

ان عددا كبيرا من العمال اليهود ــ مواطنى مختلف الــدول ومنها اسرائيل ــ يرفضون بحزم مفاهيم الصهيونية ، ولذلك فمن المهم جدا لزعمائها « تسجيل » جميع اليهود فى كل مـــكان بغض النظر عن آرائهم ، كصهاينة وبهذا الشـــكل دفع المترددون ، فى طريق خدمة الاهداف الصهيونية المجرمة .

الفصل الأول

الخرافة والواقع

نشأت الصهيونية وتكونت كايديولوجية ومنظمة فى أواخر القرن التاسع عشر ، فى عهد المعارك الطبقية الضارية للبروليتاريا العالمية ، فى مرحلة انتهاء عملية تحول الرأسمالية الى امبريالية .

لقد كانت ايديولوجية الصهيونية من حيث مظهرها الخارجى كانما تقتصر على مذهب تأسيس « الدولة اليهودية » . ولذلك فلدى الاطلاع السطحى على منظومة الاراء الصهيونية يمكن ان تبدو هذه المنظومة عاجزة عجزا مثيرا للعواطف ، ودينية ساذجة داعية للرثاء بحكمتها شبه الشاعرية : « ما دام ثمة كتاب الكتب ، اى الكتاب المقدس ، وما دام ثمة شعب الكتاب المقدس ، فيجب ان يكون ثمة بلد الكتاب المقدس . . »

وقبل الاسترسال فى الحديث يجدر أن نشير الى أن هذا القول الذى يلقى ضوءا على أحد جوانب البرنامج الصهيونى لا يعود لاحد من مؤسسى الصهيونية المتوفين . أنه فقرة من خطاب الجنرال موشى ديان الذى طالب فيه بضم الاراضى العربية المغتصبة دون قيد أو شرط (٢) .

ان المطامع الاستعمارية التوسعية ، والدعاية للسلام الطبقى فى أوساط اليهود ، وتوحيدهم على أساس السمة العنصرية فى بعض البلدان وعلى النطاق العالمى ، واظهار شعوب الكرة الارضية لليهود كأعداء للسامية ، والمزاعم « الخلقية » حول نقاوة العنصر وتفرد « شعب الله المختار » ورفض الاممية ، والاساس « النظرى » لحتمية انشقاق الحركة العمالية ، والعداء السافر للشيوعية .. أن كل هذا يكتشف فورا حالما ترفع من قاع مستودعات الكتب المؤلفات التى تشكل التراث الفكرى

الكلاسيكى للصهيونية «*» . لقد نشأت الصهيونية كأحد ذيول الايديولوجية الامبريالية ، ولذلك فان عدم تطابق شكل هذا « المذهب » مع محتواه الحقيقى لا ينبغى أن يثير الدهشة .

فى شهر اغسطس ١٨٩٧ اسست فى المؤتمر العالمى الاول للصهاينة فى بال (سويسرا) المنظمة الصهيونية العالمية . وفى وقت لاحق انشأت هذه المنظمة الشركة المساهمة الصهيونية العالمية ـ أى التروست الاستعمارى اليهودى .

وقد بدأت الصهيونية المنقمة ، نشاطها بالتلفيق والتزوير . واتضح ان تاريخ منشئها الخاص لا يروقها . فراحت الدوائر الصهيونية وانصارها يروجون بنشاط (للاستهلاك الخارجى) خرافة تقول أن الصهيونية « التى تسعى لانشاء الدولة اليهودية» قديمة قدم العالم اذ أن « اليهود عللوا أنفسهم خلال آلاف السنين بحلم العودة الى فلسطين » . والجدير بالذكر أن هذه الخرافة لا تزال تولى فى أيامنا اهتماما معينا .

« الصهيونية قديمة كقدم سبى الشعب اليهودى فى أيام هدم نبوخذنصر للهيكل » (٣) ـ هذا ما كتبه البروفسور نورمان بنتفيتش (صهيونى انجليزى كتب الكثير عن فلسطين . ولكنه فضل العيش بشكل رئيسى فى انجلترا) .

ويشير المؤرخ الصهيونى الانجليزى هاورد ساشار الى ان « صهيون لم تكن فقط وليدة خيال الجثث الحية الجامح . لقد كانت تعمل فى قلوب يهود مختلف أنحاء الارض » (٤) .

ويزعم الايديولوجى الصهيونى المعروف ناحوم سوكولوف أن

«*» من الضرورى ان نشير بوجه خاص الى ان احد الاساليب الديماجوجية للدفاع عن الصهيونية ضد كل الحملات الموجهة ضد الصهيونيين عامة هو وصف هذه الحملات كـ « اعمال معادية للسامية » . اما النضال ضد ايديولوجية الصهيونية بوجه خاص (اذ انها من حيث الشكل تبدو كانما هى مذهب حول تاسيس « الدولة اليهودية ») فيصفه الصهاينة بانه « تطاول » على حق الشعب الاسرائيلى فى تقرير مصيره . اننا نرفض بحزم هذه الاساليب الدنيئة .

الصهيونية « كانت خلال الوف السنين ولا تزال مثلا أعلى عمل لأجله أفضل ممثلي أمتنا وناضلوا وتعذبوا وماتوا» (٥) . ويضيف جاستيس ل . براندس وهو من أقدم الزعماء الصهاينة في الولايات المتحدة الامريكية ، قائلا : « منذ هدم الهيكل ، قبل حوالى ألفي سنة ، ظل اليهودي يحن دائما الى فلسطين » (٦) .

وقد انتقلت هذه الاستشهادات من جيل الى جيل ، عبر الدراسات ، والموسوعات والمنشورات الاكاديمية ..

لنصرف النظر موقتا عن أن اليهود ينظر اليهم في الاقوال الآنفة الذكر ، وفي العديد من التصريحات الاكثر وضوحا وغير المذكورة على حد سواء ، خارج نطاق الزمان والمكان ، وخارج أي علاقة بالمصير التاريخي لهذا أو ذاك من أسباطهم ، ولننصرف كذلك عن أن المسألة الطبقية لا تزال كليا في سياق المناقشات . ولنعد الى الصهيونية عام ١٨٩٧ ولنفترض أنها كانت تمثل بالضبط ماكرست نفسها له ، (أي منظومة الآراء . والتنظيم السياسي والمالي اللذان كانا يهدفان الى تأسيس « الدونة اليهودية ») .

واذا افترضنا أن المسألة كانت على هذا النحو بالضبط فان طرح الصهاينة للقضية المتعلقة بقدم الصهيونية التي « عممت وأعربت » عن رغبة اليهود القديمة في العودة الى فلسطين يثير العجب بسخافته . ذلك أنه من أجل محاولة اقامة « الدولة اليهودية » في فلسطين في ذلك الوقت كان الامر يتطلب نظريا بالاضافة الى الاموال التي كان يملكها الصهاينة (أموال بنك روتشيلد وحده كانت تكفي لعشر فلسطينات) شرطين : استعداد قسم كبير من اليهود للانتقال الى فلسطين . والدعم ، وبشكل رئيسي الدعم العسكري من جانب الدول الامبريالية الرئيسية في قضية استيطان فلسطين .

ولكن اذا تصورنا أن اليهود كانوا يحلمون ، ويحلمون فقط خلال قرون عديدة بالهجرة من مختلف البلدان الى مرتفعات فلسطين الصخرية ، فان الاسطورة الموضوعة حول قدم الصهيونية ، لم تكن ، على الارجح ، معدة لهم ، ذلك أنه كان ينبغي بمثل ذهنية اليهود هذه أن يكونوا عديمي الاكتراث بما اذا كانت الصهيونية قد نشأت في عصر الرأسمال الاحتكاري ، أو انها كانت

موجودة فى القرن السادس قبل الميلاد . ويبقى أن نفترض أن الخرافة حول قدم الصهيونية قد أنشئت بصورة موجهة لحكام امبراطوريات أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين بغية اقناع هؤلاء كى يؤازروا بالاجماع مشروع استيطان فلسطين وانشاء « الدولة اليهودية » فيها . الا انه من المستبعد أن ينتظر المرء من الزعماء الصهاينة المحنكين فى الشؤون المالية وفى السياسة على حد سواء ، ايمانا ساذجا بأنه من الممكن ارغام الامبريالية على تلبية كل خطة مهما تكن استنادا الى الحسب والنسب أو بالاشارة الى آمال الطامحين .

فلأجل من ، اذن ، أنشئت الخرافة حول قدم الصهيونية . وماذا كان هدفها ؟

من المهم جدا كشف الاسباب الحقيقية لاختراع الخرافة ونشرها حول قدم الصهيونية . من الجلى انه تختفى وراء ادعاءات الصهاينة الساذجة ، ظروف خطيرة جدا . ولذلك فمن الضرورى قبل أى شىء آخر أن نبحث هذه القضية بالذات (*).

(*) لنلاحظ ان اساتذة السفسطة الصهاينة قد يتهموننا بـ « البدائية » فى فهم الصهيونية « وتشويه » نظرية قدمها . وسيزعمون « ان الصهيونية ليست قديمة لان اليهود كان يراودهم منذ الوف السنين الحلم بالعودة الى فلسطين » بل لهذا السبب من جملة الاسباب . فالصهيونية ، هى بالذات فكرة العودة الى فلسطين ، هذه الفكرة التى مضى زمانها .

ويصمم النظريون الصهاينة بصفاقة حلزونا « ديالتيكيا » يجمع بين ابراهيم الكتاب المقدس والزعماء الصهاينة فى القرنين التاسع عشر والعشرين . كتب ناحوم سوكولوف يقول « ثمة هدف واحد يجمع ساعة فجر التاريخ اليهودى بجميع الاجيال الاخرى ، ويجمع بين ابراهيم وعصرنا » .

الا أن كل هذا الستار الكلامى يختفى فورا حالما نتوجه الى التصريحات الواضحة لبعض الزعماء الصهيونيين القدامى المتهورين . ففى عام ١٩٠٠ قال تيودور هرزل ، مؤسس المنظمة الصهيونية العالمية « ان عودتنا الى وطن الابناء التى تنبأ بها الكتاب المقدس .. تشكل .. مصلحة سياسية ملائمة تماما لتلك الدول التى تبحث عن شىء ما فى اسيا » .

ويذكر نورمان بنتفيتش شأن الكثيرين من زملائه تاريخا ، دقيقا الى حد ما ، لـ « ابصار » الصهيونية « النور » وهو مرحلة « سبى اليهود بعد هدم الهيكل من جانب نبوخذنصر » ، أى القرن السادس قبل الميلاد .

الا أنه اذا ما انتهجنا منطق المؤلفين الصهاينة انفسهم فانه ينبغي أن نرجع بتاريخ نشوء الصهيونية قرنين الى الوراء ، الى تلك الازمنة ، حين سقطت اسرائيل ، وكانت قسما من مملكة سليمان المتفسخة (وكانت اليهودية قسمها الثانى) — أمام هجوم قوات الملك الاشورى سرجون الثاني (القرن الثامن قبل الميلاد) . وقد سيق الوف اليهود الى أشور ، الامر الذى كان يشكل بالنسبة لذلك الزمن تدبيرا عاديا من قبل المنتصر . ويجدر الاشارة الى ان السكان فى اسرائيل كانوا يمارسون بأكثريتهم ، الزراعة والتجارة . وكانت اسرائيل تقيم علاقات تجارية نشيطة مع فينيقيا وسورية و « أصبحت بحكم موقعها على مفترق الطرق المؤدية الى آسيا وما بين النهرين ومصر ، بلدا تجاريا .. فى الوقت الذى بقيت فيه اليهودية الواقعة فى القسم الجبلى الاصعب منالا بلد الرعاة المتخلف » (٧) .

أن سرجون الثانى ، كما يؤكد ناتان أوسوبيل ، لم يبع اليهود عبيدا وحسب بل كان أيضا يقصيهم الى مناطق محددة من مملكته الشاسعة الاطراف من أجل استيطان هذه المناطق (٨) . واذا اخذنا بعين الاعتبار انه حتى فى أيام الملك سليمان صار رعاياه شأن الصوريين والفينيقيين ينشئون مراكز تجارية فى جميع أرجاء أراضي الشرقين الادنى والاوسط ، فلا يوجد أى أساس لمعارضة رأى أوسوبيل الذى كان يعتقد انه بعد احتلال نبوخذنصر لليهودية واجلاء قسم كبير من سكانها الى بابل ، « رأى هؤلاء فى المنفى اسباطا يهودية كثيرة العدد وحسنة الحال ، نشأت هناك فى القرن الثامن (قبل الميلاد) وقد أكمل القادمون الجدد صفوف هذه الاسباط » (٩) .

وكانت الاسباط اليهودية البابلية من وجهة تركيبها الطبقى لا تتميز ، حسب شهادة كثيرين من الباحثين ، عن العالم المحيط بها . فكان بين اليهود فى بابل مزارعون وحرفيون وأصحاب اراض وتجار صغار وكبار . وكانت الاسباط اليهودية تستخدم عمل الرق .

وفي البدء أمنت وحدة الدين واللغة والمصير بدون أى تدابير مصطنعة قيام علاقات محسوسة بين أفراد السبط . الا أن هذه العلاقات مع ذلك قد ضعفت تحت تأثير الوسط المحيط كنتيجة لتأثير مختلف الثقافات ، وعـــواقب الزواج المختلط الذى كان منتشرا جدا ، والعملية النشيطة لازاحة اللغة اليهودية القـديمة من قبل اللغة الارامية .

وهناك أساس للاعتقاد بأن التجار والرابين كانوا فى الاسباط اليهودية فى بابل الفئة الاكثر نفوذا اقتصاديا . ويؤكد هذاالوضع مؤرخون كثيرون . فقد كتب الباحث الالمـانى لوجوبرانتانو أن « النصوص المكتوبة بالحروف المسمارية المكتشفة مؤخرا تشـهد على أن النازحين اليهود قد اشتركوا اشتراكا نشيطا فى الحياة التجارية . ومارسوا عملية التسليف بالربا ، هذه العمليـة التى كانت متبعة بشكل واسع بين ســـكان بابل ، كما كانوا تجـارا كبارا »(١٠) .

ان عملية استيعاب اليهود النشيط حيث يسهل التحكم بهم أكثر فى الوسط المحيط الغريب الى حد ما ، لم ترض القســم الميسور من الاسباط اليهودية البابلية . ولذلك ليس من قبيـل المصادفة أن ظهر فى بابل بالذات ، حيث فرضت أهداف حـكام الاسباط ، المفروضة بشكل أعنف من أى مكان آخر ، عليهـــم ضرورة عزل الخارجين عن طاعة من هم من دين واحد ، أحد أول الكنائس ، وحسب زعم جيمس باركس أول كنيس (١١) .

وقد عزز انشاء الكنيس مرارا عديدة الطابع السبطى لطقوس الدين اليهودى وحصرت الاسباط اليهودية بين كماشة طقوس أكثر تزمتا . ومن البدهى أن نفوذ الكنيس استخدم كليا لمصلحةالاقلية الغنية . وجرت بالتدريج طبعا عملية تحويل الكنائس الى مراكز دنية وروحية للاسباط اليهودية مع العلم أنهـا لم تعـــرقل بل بالعكس ساعدت التجارة والعمليات المالية لعليـــة الاســـباط أو نخبتهم . وحسب شهادات عدد من المؤرخين فقد نشـــط ظهـــور الكنيس بطريقة غير مباشرة عملية تحويل المزارعين اليهود (حيثما كانوا) الى سكان مدن .

وخلال مدة قصيرة نسبيا غرست الاســـباط اليهودية فى الحقيقة جذورا عميقة ، الامر الذى وجد له انعكاسه الدينى فى

نداء ارميا : « ابنوا بيوتا واسكنوا واغرسوا جنات وكلوا ثمرها . خذوا نساء ولدوا بنين وبنات وخذوا لبنيكم نساء واعطوا بنا كم لرجال فيلدن بنين وبنات وأكثروا هناك ولا تقلوا » (١٢) .

وفى عام ٥٣٨ قبل الميلاد أصدر قورش امبراطور فارس ، الذى استولى على بابل ، فى محاولة منه لتقوية فلسطين لاغراضه الخاصة ، أمرا يسمح لليهود بالعودة الى فلسطين . وماذا بعد ؟ فكما أشار حاخام انجلترا الاكبر (١٩١٧) فقد « أصدر قورش امرا الا أن الجماهير الرئيسية للشعب اليهودى بقيت فى بابل » (١٣) . وكتب المؤرخ الاميركى ا.ت. اولمستد « كان من الصعب التوقع أن يترك اليهود ، بعد أن اغتنوا ، بابل الخصيبة من أجل هضاب اليهودية الجرداء » (١٤) .

ويذكر المؤرخ الصهيونى الاميركى سالو و . بارون فى حديثه عن مرحلة أكثر قدما الى حد ما من حياة السبط اليهودى فى بابل ، واقعا ذا مغزى كبير من وجهة نظر المشاعر المسيطرة فى اوساط البابليين : « لقد أصر زعماء السبط البابلى على أن تتلى فى جميع بلدان سبى اليهودى الصلوات « من أجل صحة حكماء بابل » قبل أى شىء آخر » (١٥) .

وقد أتاح العدد والرفاه المادى لـ « اباء » اليهودية الروحيين البابليين أن يؤكدوا ، كما يشهد بذلك سالو و . بارون : « هنا (أى فى بابل — ى.أ.) يسكن مصدر الحكمة والنبوءة ، ومن هنا بالذات (وليس من القدس ! — ى. أ.) يشع الاكليل المتألق على شعبه » (١٦) .

وكما يبدو فان خرافة « الرغبة الجارفة » لليهود فى العودة الى فلسطين تتحطم على الوقائع التى يعود تاريخها الى القرن الاول الميلادى .

ويؤكد واضعو « التاريخ القديم المؤلف فى كمبردج » فى معرض تحديدهم لذلك العصر قائلين : « لا يمكن أن تعتبر أمرا غير معقول انه بالاضافة الى المنفيين من اليهودية (والمقصود هنا سبط بابل — ى. أ.) كان يمكن العثور على اليهود (سواء أكانوا يختلطون بزملائهم الفينيقيين أم لا) فى كل مكان من العالم المعروف والمطروق من قبل الانسان » (١٧) .

واستمرت عملية استيطان الاسباط اليهودية في مرحلة الحكم الفارسي بالرغم من موقف السلطات الودى ازاء فكرة هجره اليهود الى فلسطين .

ولحق النجار اليهود مع ابناء دينهم المرتبطين بهم ، بالجيش الفارسي ، واستقروا في الاراضي المحتلة وامنوا لهذا الجيش الجنود ــ الباعة المتجولين (١٨) .

وفي العصر الاغريقي كتب فيلون الاسكندري وهو فيلسوف ومؤرخ ، عن استيطان اليهود « أن اليهود كثيرو العدد بحيث لا يمكن لأى بلد أن يسعهم ولذلك فهم يقطنون في مختلف البلدان الاكثر ازدهارا في اوروبا وآسيا سواء في الجزر أم في اليابسة » (١٩) .

وكان عصر الحكم الروماني وبنوع خاص مرحلة الانتفاضة في اليهودية (سنوات ٦٦ ــ ٧٣ بعد الميلاد) ضد نير الامبراطورية الرومانية وقمع هذه الانتفاضة وهدم الرومان لقدس ــ مادة للمزايدات الشديدة من قبل الصهاينة الذين أظهروا لليهود بكل اصرار ضرورة استيطان فلسطين (وسنتحدث فيما بعد بالتفصيل عن الاهداف التي كان يرمي اليها رواد هذه المبادرة) .

وفي معرض زرع بذور مشاعر النزعة الحربية ومشاعر الكراهية للانسان في قلوب اليهود ، يشير الصهاينة بشكل خاص الى ظرفين :

١ ــ التنكيل الوحشي باليهود المنتفضين على ايدى الرومان ، وهدم القدس كما لو كانا يشكلان صورة لاحدى حلقات سلسلة الآلام **الخاصة** التي لحقت باليهود ، والاضطهادات الوحشية **الخاصة** التي نزلت بهم في مجرى التاريخ المعروف جيدا لدى الانسانية (*) . وفي هذه الموضوعة الصهيونية يكمن عنصر الشذوذ الكاذب والضرورى جدا بالنسبة لهم (لمواجهة اليهود بغير اليهود) .

٢ ــ قمع انتفاضة اليهودية والتنكيل باليهود هما ، حسب زعم الصهاينة . أحد البراهين الحاسمة على « طرد اليهود بالعنف الذى لا يرقى اليه الشك من فلسطين » .

(*) سيجرى الحديث عن هذه القضيه بشكل مفصل اكثر في مكان اخر .

وبهذا الصدد تجدر الاشارة الى ان انتفاضة اليهود ضد الحكم الروماني التى تذكرنا بتدمير قرطاجة ، وقمع انتفاضة اتحاد الآخيين من قبل الرومان ، ومسح كورينتس عن وجه الارض ، وكذلك بنضال المغول والبريت العنيد والمتفاني ضد الرومان كانت بطولية ودموية بعواقبها ، الى درجة تشبه الكثير من حوادث النضال الاخرى ضد سلطة الامبراطورية الرومانية .

اما فيما يتعلق بقضية طرد اليهود بالعنف من فاسطين . فان افتراض ليونارد شتاين الوارد فى مجال وصف الاعوام التى سبقت الانتفاضة فى اليهودية ، يستحق ، فى نظرنا ، الاهتمام : « أن الاسباط اليهودية **المزدهرة** (التوكيد على الكلمة الاخيرة منى — ى. أ.) كانت موجودة منذ زمن بعيد فى مصر وبرقة ، وفى سورية وما بين النهرين ، وفى ايطاليا واليونان » . وأشار المؤلف بنوع خاص الى أن « اليهود قد استقروا قبل انهيار الدولة اليهودية بوقت بعيد ، وفى الواقع كان عدد اليهود فى فلسطين على أعتاب المسيحية ٧٠٠ الف شخص فقط فى حين كان عددهم فى الامبراطورية الرومانية وحدها زهاء أربعة ملايين .. » (٢٠) .

وجاء فى كتاب « العالم القديم » للباحثين الاميركيين ف . سكراموزا و ب . ماكندريك أن عدد اليهود فى الاسكندرية وحدها كان ربع مليون شخص أى حوالى ٤٠٪ من مجموع السكان (٢١) . والتفصيل الذى يورده المؤرخان مثير للاهتمام : بعد أحد الاصطدامات فى الاسكندرية بين الجماعة اليهودية والجماعة اليونانية الناتج عن مزاحمتها الاقتصادية والسياسية أصدر الامبراطور الرومانى كلوديوس « أمرا لليونانيين باحترام الحرية الممنوحة لليهود من قبل أوغسطس ، كما حذر اليهود فى الوقت نفسه من أن يبتزوا بالتهديد امتيازات كبيرة .. ومن أن يشجعوا الهجرة السرية لليهود الفلسطينيين الى مصر » (٢٢) .

ولم تكن عملية ظهور جاليات يهودية جديدة باستمرار أقل نشاطا أيضا فى مرحلة قيام الخلافة العربية وازدهارها (القرن السابع للميلاد) . فمن المعروف للجميع أن حكام الامبراطوريات المتعاقبة فى منطقة البحر الابيض المتوسط قد عرضوا للاضطهاد الوحشى والاستثمار كل شعب من الشعوب التى قهروها ومنها

اليهود . ومع ذلك يشكل انبعاث السبط اليهودى القديم في بغداد مع ظهور الخلافة العربية فى الوقت الذى كان فيه فى حالة يرثى لها ، فى العصر الاغريقى ، واقعا تاريخيا . ويشير المؤرخ سيسيل روت الى أن هذا السبط أصبح مركزا روحيا للسكان اليهود ضمن حدود الخلافة وخارجها (٢٣) .

وفى الوقت نفسه ، كما يشهد مؤلفو « تاريخ القرون الوسطى » فى كمبردج » لوحظ فى هذه المرحلة أيضا انتشارنشيط للاسباط اليهودية فى اسبانيا ومصر وما بين النهرين اى فى أقطار الخلافة العربية الاكثر ازدهارا . وأشار واضعو هذه الدراسة الى أن قلة فقط كان بوسعهم فى القرن التاسع للميلاد ، مزاحمة اليهود الذين كانوا ، حسب الاثباتات الموجودة ، ينتقلون دوما من فرانكلند حتى الصين . ويرسم ابن خرداذبة الذى كان يشغل منصب « صاحب البريد والخبر » في بغداد فى مؤلفه « المسالك والممالك » (٨٤٧) لوحة ساطعة لنشاط التجار اليهود من الصين حتى اسبانيا فى القرن التاسع .. أن كلمتى «يوهدى» و «تاجر» أصبحتا أحيانا مترادفين » (٢٤) .

وفى كل عصر ، كما تدل وقائع التاريخ ، ظهر على الدوام ، وضع مزعج بالنسبة للصهاينة حين لم تنطبق الطرق التى كان ينبغى ، حسب رأيهم ، على « فكرة العودة » الى فلسطين أن تقود اليهود عبرها منذ أزمنة بابل مع الطرق التجارية للاسباط اليهودية القاطنة فى العالم كله .

لقد سبقت الاشارة الى أن التجار الكبار قد لعبوا الدور الرئيسى فى الاسباط اليهودية فى المرحلة التى سبقت القرون الوسطى ، وان التركيب الطبقى للاسباط لم يكن يتميز عن التركيب الطبقي للمجتمعات المحيطة بها . وكان لزعماء الاسباط اليهودية مصلحة مباشرة في الحفاظ على سلامتها وقد ساعد على ذلك الكنيس **الذى كان قد ظهر** فى بابل . وينبغى أن نضيف أن الاسباط اليهودية سواء فى العصر الاغريقى أو فى مرحلة الحكم الرومانى وطوال عهد الخلافة العربية كانت تتمتع بالحكم الذاتى فى القضايا المتعلقة بحياتها الداخلية ، بمقتضى اهتمام زعماء الاسباط الحاكمين والطبقات الحاكمة فى الامبراطوريات على حد سواء .

وفى معرض وصف هذه المصلحة ذات الوجهين يشير ناتان آوسوبيل بحق الى أن « الادارة الذاتية كانت نافعة بشكل خاص لحكام الاسباط سواء من وجهة نظر جباية الضرائب (وفى هذا يتلخص الاهتمام المباشر للطبقات الحاكمة فى الامبراطوريات — ى. أ.) أم من أجل سن قوانينهم وانظمتهم الخاصة بهم بالعنف فى المحجر .. » (*) (٢٥) .

ويعتقد مؤرخون كثيرون أن الاسباط اليهودية التى استوطنت (حتى مرحلة القرون الوسطى) مختلف بلدان العالم كانت تمثل اتحادات تجارية . وهذا الاستنتاج صحيح ، حسب رأينا ، بقدر ما يتعلق ، فقط ، بطابع نشاط الزعماء الاغنياء ، الذى يحدد وجه السبط ، هؤلاء الزعماء الذين كان جميع الاعضاء المنتمين الى مختلف أنواع الفئات يخدمونهم عمليا بمقتضى التبعية الاقتصادية للسبط وانعزاله النسبى .

ونحن نستطيع فى الحقيقة أن نتحدث فقط عن الانعزال النسبى جدا للجاليات اليهودية فى مرحلة ما قبل القرون الوسطى (أن مخترعى الخرافة حول قدم الصهيونية كـ « فكرة العودة التى لا تقهر » استمدوا منها الحماسة ، لصياغتهم موضوعة حول نقاوة جنس اليهود ، ووحدتهم الروحية التى هى فوق « الخرافات الطبقية » ، وحول رغبة اليهود فى البقاء كما هم باسم « العودة اللاحقة » الى صهيون المقدسة) .

كان هناك تياران يتصارعان فى حياة الاسباط اليهودية فى ذلك الوقت : التيار الطبيعى لاندماج أفراد الاسباط فى الوسط المحيط ، والسياسة المتعمدة والنابعة من المصالح الطبقية لزعماء الجاليات ، والموجهة الى اكتساب طابع صارم خاص بطوائف الحرف المقفلة . وقد استمر هذا الصراع بنجاحات متبدلة حتى القرون الوسطى ، حين أدت الظروف الاجتماعية — الاقتصادية التى ولدت التعصب الدينى الجامح وكذلك الاهتمام السياسى والاقتصادى للزعماء الحاكمين فى الجاليات اليهودية ، الى نشوء

(*) المحاجر — احياء ، مناطق المدن التى خصصتها الطبقات الحاكمة فى الدول الراسمالية وما قبل الراسمالية من اجل الاقامة الاجبارية لجماعات معينة من السكان حسب الجنس والمهنة والدين .

(فى وقت تاريخى قصير) جدران المحجر المنيعة حول الاسباط اليهودية .

ويمكن أعطاء صورة عن نسبية انغلاق الاسباط اليهودية ، قبل القرون الوسطى وبطلان ادعاءات الصهاينة القائمة جزئياعلى هذا « الانغلاق » مثل « نقاوة الجنس اليهودى » ، استنادا الى الامثال التالية :

يؤكد أولمستد (٢٦) انه مع الزمن توقف أفراد سبط بابل عن تداول اللغة اليهودية القديمة وانتقلوا الى اللغة الارامية .

وانقسم اليهود خارج فلسطين من حيث اللغة الى جماعتين كبيرتى العدد ــ جماعه تتكلم اللغة الارامية شأن اليهود فى فلسطين ذاتها ، وجماعة تتكلم اللغة اليونانية (٢٧) .

وكتب سيسيل روت عن العصر الاغريقى قائلا :

« كانت مصر فى ذلك العهد مركزا كبيرا للحضارة اليونانية . ولم يستطع اليهود أن يتفادوا تأثير هذا العامل ، فتركوا لغة أبائهم وانتقلوا الى اللغة اليونانية وكانت الظاهرة العامة لذلك ابدال أسمائهم بأسماء يونانية .. وهنا وضعت باللغة اليونانية مؤلفات تقلد الكتاب المقدس ، وملحقات للكتاب المقدس تزخر بمفاهيم فلسفية محلية » (٢٨) . ويؤكد مؤلفو « تاريخ القرون الوسطى المؤلف فى كمبردج » « أن أفراد السبط اليهودى الاكثر نفوذا فى أسبانيا ، وهم يهود قرطبة ، قد « اتخذوا لباس، ولغة وعادات العرب » (٢٩) .

أن الامثلة على ذلك كثيرة . ونعتقد أن لا ضرورة لسردها كلها .

وقد قدم فيلون الاسكندرى حصيلة دقيقة لمرحلة استيطان الاسباط اليهودية الذى جرى قبل الميلاد . كتب يقول : «وبالرغم من أن اليهود اعتبروا حضنا أموميا المدينة المقدسة حيث يوجد الهيكل المقدس لأكبر رب فان تلك المدن التى ولدوا فيها (أى المدن خارج فلسطين ــ ى.٠١) وحيث ولد آباؤهم ، وأجدادهم وأجداد أجدادهم ــ وفى كل حالة على حدة ــ كانت ، حسب اعتقادهم ، وطنهم ومسقط رأسهم .. » (٣٠) وقد قيل هذا فى القرن الاول الميلادى .

أشار كارل ماركس الى أن « اليهودية بقيت ليس خلافا للتاريخ بل بفضل التاريخ » (٣١) .

ان القوميين اليهود القصيرى النظر يعلنون بصراحة وبغير مواربة أن ماركس لم يكن ساميا . وقد حاول ممثلو نفس الاراء الماكرون ويحاولون أن يحولوا مفهوم ماركس عن « اليهودية » الى عبارة « النزعة المركنتيلية التجارية البورجوازية » ، أو بالاحرى طبقة التجار البورجوازية ضمن اطار عصر الراسمالية الذى درسه ماركس (*) .

ويفترض أساتذة البهلوانية الكلامية ، كما يبدو ، أن تزويرهم سيبقى خافيا .

نود أن نذكر بما كتبه كارل ماركس : « أن اليهودية ثبتت الى جانب المسيحية ليس فقط كنقد دينى للمسيحية ، وليس فقط كشك مجسد فى المنشأ الدينى للمسيحية ، بل وكذلك لان الروح اليهودية ـ اليهودية ـ بقيت عمليا فى المجتمع المسيحى بالذات وحتى انها بلغت هنا أعلى مستوى فى تطورها » (٣٢) .

ومن الطبيعى أن لا يصمد ، أى الا يختفى فقط ذلك الذى كان موجودا حتى ذلك الحد حين نشأت قضية مواصلة الحياة أو الاندثار . وبالتالى فان مفهوم « اليهودية » (لا يعطى صورة كاملة لعبارة طبقة المركنتيلية البورجوازية) يتعدى الحدود المؤقتة للمجتمع الراسمالى ويرتد الى أعماق القرون .

ان عبارة اليهودية ، النزعة المركنتيلية التجارية البورجوازية ، مصوغة بدقة بالغة فى اللغة الالمانية الى حد يمكن بواسطته عند الضرورة وصف نوع نشاط التجار الفينيقيين والارمن واليهود وغيرهم فى العصر ما قبل الرأسمالى ، وصفا اجماليا . الا أن ماركس لم يفعل ذلك . أن أحد أسباب الكراهية التى يكنها الصهاينة لماركس يمكن تفسيره بأن مفهوم « اليهودية » الذى استخدمه ماركس بالاضافة الى عنصر الجمع يحتوى أيضا على وصف حسى يكشف القناع عن الاوساط القائدة فى الاسباط اليهودية بصفتها الاكثر نموذجية فى طبقة التجار ، الحاملة الحسية للواء « اليهودية » .

(*) ان قضية التشويه لدى ترجمة عبارة « Judentum » « اليهودية » التى استعملها ماركس ، الى بعض اللغات تستحق كذلك اهتمام الباحثين الماركسيين .

كتب سيسيل روت يقول : « لا يمكن أن نتصور القضية على هذا الشكل ، وهو أن الاسباط اليهودية فى أوروبا قد ظهرت كنتيجة استيطان السبايا ، وحسب ، ان التجارة فى هذه القضية هى عامل أهم بكثير من الحرب . هذا بالرغم من أنها ، وهذا محتمل ، أقل لفتا للنظر » (٣٣) .

واخذت الجاليات اليهودية تظهر فى أوائل العصر الوسيط ، فى أكثر بلدان أوروبا . ومن الصعب شرح هذه العملية عن طريق الرواية الصهيونية حول الاضطهادات ، اذ أن الامبراطورية العثمانية ، كما هو معلوم، التى اشتد ساعدها فى ذلك العصر احتضنت جميع أولئك الذين كان يجرى أضطهادهم فى أوروبا لاسباب دينية .

ويؤكد بن هالبيرين على سبيل المثال ، وهو باحث صهيونى أميركى : « كان اليهود – من رعايا السلطان ، فى الامبراطورية العثمانية – يتمتعون بحرية تامة سواء فى الدخول الى فلسطين أو الخروج منها . وكانوا يتنقلون بدون عقبات فى جميع ارجاء اراضى الامبراطورية الممتدة من افريقيا الشمالية حتى البلقان . وكانت السلطات الامبراطورية أكثر ترحيبا ازاء النازحين من أوروبا المسيحية . الا أن المهاجرين الأوروبيين والرعايا اليهود كانت تجذبهم تلك المناطق من الامبراطورية حيث الظروف الاقتصادية والسياسية أكثر ملاءمة : اسطنبول ودمشق أو القاهرة ، أكثر من فلسطين » (٣٤) .

ويعتقد الكثير من المؤرخين أن التجارة فى نشاط الاوساط الحاكمة فى الاسباط اليهودية فى الظروف الخاصة لاوروبا القرون الوسطى تتخلى عن مكانها للربا .

لقد حرمت الكنيسة المسيحية فى القرن السادس الميلادى تسليف المال بالربا . وفى القرن الثانى عشر أصبحت القوانين التى تعاقب من يتعاطى الربا قاسية جدا . (لنشر الى ان الاسلام كذلك منع العمليات المالية من هذا النوع) (٣٥) . ولذلك ، كما يؤكد مؤلفو « تاريخ القرون الوسطى ، المؤلف فى كمبردج » ، « فلم يكن بوسع القوانين التى صدرت ، مهما تكن غير كاملة ، الا ان تساعد على انتقال هذه الحرفة الى أيدى أولئك الذين لم يمنعهم **الدين** من مثل هذا النوع من النشاط » (التشديد منى – ى.أ.)

(٣٦) . وبكلمة أخرى الى أيدى اليهود (*) .

ان تشريع القرون الوسطى قد عرقل فى عدد كبير من البلدان دخول اليهود في الطوائف التجارية . الامر الذي ساعد كذلك على ان تنتقل السلطات الحاكمة فى الاسباط اليهودية الى ممارسة الربا . وكما ذكرنا من قبل كان طابع الاسباط اليهودية يحدده طابع نشاط فئاتها الحاكمة التى كان يخدمها الناس من دين واحد ، الكثيرو العدد والواقعون فى تبعية لها ، والذين لم يكن يجمعهم أى جامع بنشاط ومكائد الطبقة الحاكمة .

وجاء فى « تاريخ القرون الوسطى المؤلف فى كمبردج » أنه « كان بوسع الماليين أن يصبحوا زعماء للاسباط . الا أنهم كانوا يشكلون أقلية لا تذكر . وكان يحيط بهم عدد كبير من المرعوسين المرتبطين بهم مباشرة أو غير مباشرة ورجال الدين الذين ساعدوهم فى الاعمال ، والحاخامات الذين يصلون لربهم ، والكتبة الذين كانوا ينسخون وثائقهم التجارية ، وكذلك المؤلفات الادبية والدينية ، والاساتذة الذين كانوا يعلمون الاولاد ، والاطباء الذين كانوا يسهرون على المرضى ، والخدم الذين يقومون بشؤون البيت ، واللحامون والخبازون الذين كانوا يعدون الطعام طبقا لمتطلبات الطقوس .. » (٣٧) .

وكان التكوين الاجتماعى ــ الاقتصادى فى بلدان أوربا الاقطاعية الذى حدد المستوى العالى لمجالات نشاط وانغلاق الجماعات الاجتماعية داخل كل طبقة (دون التطرق الى الطبقات بشكل عام) ، السبب الرئيسى لانعزال الاسباط اليهودية الشديد وظهور جدران المحاجر المنيعة حولها .

وتجدر الاشارة الى أن الاقليات المالية الحاكمة فى هذه الاسباط لم تعرقل قيام مثل هذا النوع من الانعزال الاقتصادي والاجتماعى والجسدى البحت ، اذ أن الانعزال كان يعنى ((**صيانة الدين اليهودى وكل ما كان يشمله**)) (٣٨) ــ (التشديد منى ــ ى.أ.) . وكما يزعم هـ . م . ساشار الباحث الصهيونى

(*) « التقى يحب ماله اكثر من جسده » ، « دع المال دائما قيد التداول » استشهاد عن Sota Xiia, Baba Meyia. 42a (A. Leon The Jewish question Mexico, 1950, p. 33)

الانجليزى » اقيمت المحاجر الاسبانية والصقلية فى اوائل القرون الوسطى بناء على طلب اليهود أنفسهم ..» (٣٩)وكتب أ. ليلنتال، الباحث الصحفى الاميركى أستنادا الى سالو بارون : « .. أصر الحاخامات على الانفصال لأسباب سياســية ودينية ولذا فان القوانين الاساسـية التى تنظم حيــاة المحجر قد اتخـذت فى البرتغال بطلب من اليهود المقيمين فيها » .

وكانت الاسباط اليهودية فى انجلترا وفرنسا والمانيا وفى عدد من الدول الاوربية الاخرى تتمتع بحماية العــائلات المالـكة . وكان الملوك لهم مصلحة فى وجودها ونشاطها اذ أن الضرائب المجبية من الاسباط كانت تصل مباشرة الى خزينة الملك . وقد جاء فى « تاريخ القرون الوسطى المؤلف فى كمبردج» أن «مجموع الضرائب المجبيــة من اليهود فى البلدان الشمالية كان يشـكل ، تقريبا ، زهاء واحد من ١٢ من مجموع دخول الملوك » (٤٠) .

وتجدر الاشارة الى أن الاضطهادات الدينية ازاء اليهود فى القرون الوسطى كانت تقوم فى أساسها على أسباب اقتصادية . وبهذا الصدد اشار ت . غايلكمان ، أحد واضـعى الموسـوعة السوفياتية الكبرى قائلا : « كانت السلطة الملكية ، دون أن تكتفى بالاموال الطائلة المبتزة من اليهود ، تتصرف أيضا بصك الديون الموقعة باسمهم . وهكذا فان ممتلكات أكبر صيرفى يهودى وهو هارون لنكولن فى نهاية حكم هنرى الثـانى ، والـذى كان الملك مدينا له ب ١٠٠ ألف ليرة استرلينية ، تحولت الى ملك لخزينة الملك مع السندات الموقعة باسمه ، وقطع الاراضى التابعة له . وكانت مواقف الطبقات الحاكمة ازاء اليهود قد تجلت بصـورة ساطعة فى المذبحة التى جرت قبيل الحملة الصليبية الثالثة ، فى عام ١١٩٠ ، حين أحرق النبلاء الانجليـــز المدينون للمرابين اليهود صكوك الديون المتوجبة لليهود » (٤١) .

ويضيف ت . غايلكمان قائلا : « أن المزاحمة بين اللومبارديين خلال القرن الثالث عشر قد ازالت الحاجة الى الرساميل اليهودية .. وحتى نهاية القرن اخذت تتضاعف أعمال الكنيسة ضد اليهود وفى عام ١٢٩٠ طرد جميـع اليهــود من انجلترا بأمر من ادوار الاول » (٤٢) .

وبالرغم من الاضطهادات التى تعرضت لها الاسباط اليهودية

في البرتغال واسبانيا وانجلترا وبعض البلدان الاخرى فان طرق نزوحها كانت في القرون الوسطى كذلك مخيبة للآمال بالنسبة للصهاينة . واذا كان وادي الفرات في القرنين الثامن والتاسع ، كما كتب سيسيل روث ، مركزا للديانة اليهودية . فان بولونيا اصبحت ذلك المركز في القرن السادس عشر (٤٣)

وقد حاول الصهاينة الذين كانوا يعرفون كل هذه الوقائع (وخاصة حين يجري الحديث عن القرون الوسطى) ان يتدخلوا في الدائرة التي يسعى لطردهم منها حتى يومنا الراهن الحاخامات — المتشددون الذين لا يزالون موجودين في بعض البلدان ، ومنها اسرائيل. واذ وجد الصهاينة أنفسهم أن ليس بامكانهم أن يناوروا ازاء القرون الوسطى بحجج كـ « سبي بابل » أو « هدم الهيكل ثانية من قبل الرومان » ، تعلقوا بفكرة الخلاص — فكرة « قدوم المسيح واجتماع شمل المشردين » ، زاعمين أن هذه الفكرة تشكل ، من ناحية ، « تعبيرا عن الروح القومية لدى اليهود » ، ومن ناحية اخرى « تأكيدا على استعدادهم الحي أبدا للعودة الى فلسطين » .

الا ان اللاهوتي منسى بن اسرائيل (١٦٠٦ — ١٦٥٧) يضع الصهاينة ، هنا ، في موضع حرج . واذ كان يضع نصب عينيه ، بالضبط ، فكرة قدوم المسيح ، فقد التمس من كرمويل السماح للاسباط اليهودية بالاستيطان في انجلترا. وكان مجرى استدلالاته بالشكل التالي تقريبا : لا مسيح . ان الله وحده يعرف متى سيظهر ، الا انه جاء في الكتاب المقدس انه يجب ان يسبق عودة اليهود الى « الارض المقدسة » تشتتهم الكامل الذي لا يمكن اعتباره تاما بما أن اليهود لا يعيشون في انجلترا (٤٤) . وقد استؤنف اسكان اليهود هناك من جديد .

ان فكرة قدوم المسيح التي اقتبستها الديانه المسيحية والاسلام من اليهودية (كما اقتبست اليهودية في حينه المفاهيم الرئيسية من الزرداشتية) (*) قد أعلنت كما اثبت ذلك مرارا ، بغية دوام المجتمع الطبقي ونظام الاستثمار وذلك لحرمان المستثمرين الثقة بامكانية النضال من أجل مستقبل افضل . ويحاول الصهاينة أن يصوروا فكرة قدوم المسيح كرمز

(*) دين سكان ايران القدماء .

لتعلق اليهود الفكرى والمادى بفلسطين ، واظهار لـ « حنينهم الدائم » .

ان الانفعالات العاطفية ، وخاصة حين يتعلق الامر بملايين الناس الذين يعيشون فى مختلف القارات والذين يتكلمون بلغات مختلفة ، والذين يتعرضون لمختلف انواع التأثيرات — هى ميدان لا نرغب الدخول فيه بوقاحة الصهاينة ، والاكثر من ذلك الادلاء بأقوال قطعية .

أما فيما يختص بالتعلق المادى بفلسطين فقد كان موجودا كما تدل على ذلك الوقائع فى شكل مثبط للعزم شيئا ما (بالنسبة للصهاينة) : كانت القوانين تتطلب من أجل القيام بعدد من العمليات المالية ، أن يملك كل يهودي قطعة أرض . وبهذا الصدد **« أصدر رجال الدين اليهود لأول مرة فى بابل مرسوما يستطيع بموجبه كل يهودى أن يعلن عن امتلاكه أربعة فدادين وهمية فى فلسطين » (٤٥)** . والاحداث اللاحقة المرتبطة ب « سبى بابل » معروفة بالنسبة الينا .

وقد اشار سالو بارون بحق الى أنه « فى مراحل التوتر ازدادت الدعوات عن مجيء المسيح .. وفى الاوقات الاكثر هدوءا، لم يستعجلوا المسيح ، حتى أن كثيرين ، كما يبدو ، بدأوا يشكون فى ضرورة فكرة الخلاص للحفاظ على الدين اليهودى » (٤٦) .

لنتح للصهاينة فى هذا المجال امكانية مواصلة المناظرة مع الحاخامات المتشددين وسالو و . بارون .

أخذت الاسباط اليهودية ، لخيبة أمل أنصار نظريات التعلق الازلى بفلسطين ، تنزح الى روسيا من بولونيا . وحسب شهادة هايمسن (٤٧) كان السكان اليهود فى فلسطين يشكلون قبيل عام ١٧٧٠، من بين ملايين اليهود الذين سكنوا مختلف بلدان العالم ، خمسة الاف فقط فى الوقت الذى كان فيه عدد السكان من أصل يهودى فى روسيا وحدها أكثر بمرات عديدة .

وقد عرضت القيصرية فى روسيا اليهود المعدمين بالاضافة الى الفئات القومية والشعوب الاخرى للاضطهاد والاستثمار الوحشى . وأقامت السلطات القيصرية لهم ما يسمى بـ « حدود الاقامة » التى لخص ت . غايلكمان تاريخ نشوئهما .

كتب المؤلف يقول : « اشتكى التجار الموسكوبيون فى عريضتهم

من أن اليهود « يمارسون بيع البضائع الاجنبية التى جلبوها معهم من الخارج بالمفرق مع تخفيض أسعارها بالنسبة للاسعار الحقيقية ، وبذلك يلحقون بالتجارة العامة هنا ضررا فادحا للغاية الى جانب البلبلة . وهذا البيع الرخيص للبضائع ضد جميع التجار الروس يدل بجلاء على أن هذه البضائع مهربة لاتخضع للرسوم الجمركية » . وأضاف ت . غايكمان « أن التجار الموسكوبيين لا يرون ان من الضرورى الاختباء بورقة تبين الدفاع عن الدين . بل هم على العكس يشيرون الى أنهم « لا يطلبون مطلقا منع اليهود من ممارسة التجارة ونفى الذين سبق وأقاموا ، وطرد الذين تسجلوا سرا فى سجل تجار موسكو بسبب أى كراهية أو ازدراء بسبب الدين . بل بسبب الضرر المادى الكبير » . ويضيف المؤلف « وقد استجابت كاترين الثانية لهذا المطلب واعترفت بأن « اليهود يحق لهم أن يتسجلوا فى جمعية التجار ضمن بيلوروسيا ومنطقة ايكاتيرينوسلافل وولاية تافريا فقط . وبهذا القانون (١٧٩٦) أقيم ما يسمى بالحدود الحضرية اليهودية » (٤٨) .

والتاريخ يعرف انه بعد زمن قصير تجاوز الطواغيت أمثال آل بولياكوف وغينتزبورغ وغيرهم حاجز الـ « حدود الحضرية » واستأجروا دورا فخمة فى موسكو وبطرسبرج فى الوقت الذى بقى فيه ، فى الجانب الآخر من « الحدود » ، عشرات الالوف ، وفيما بعد مئات الألوف من العمال اليهود يعيشون فى فقر وظلم .

ولابد لنا هنا من العودة قليلا الى الوراء . أن الزعم ، حسب اعتقادنا ، بأن شعبا أو قوما ، أو جماعة قومية « قد تعذب أكثر من أى كان على الارض خلال تاريخ الانسانية بأسره » لا يعنى تشويه وقائع الماضى عمدا ، اشباعا لمطامع القومية الخسيسة ، وحسب ، بل الوقوف عن وعى الى جانب العنصرية ، المموهة ، وتغذية الكراهية السافرة أو المستترة ازاء الجميع وازاء كل شىء ، وزرع الشقاق .

وقد اختار الزعماء الصهاينة بجهد دائب هذه الطريق بالضبط فى محاولة منهم ، لصالح المستثمرين ، لكى يرصوا حول راية الكتاب المقدس « الامة التى عاقبها الله ، ولكن المختارة من الله » كبار أصحاب الملايين من آل بولياكوف واوبنهيمر وروتشيلد

والعمال اليهود والحرفيين ومواجهة العمال اليهود بعمـــال غير يهود . وفى اعتقاد الصهاينة ان عصر الـ « **الحـدود الحضرية** » أن هو الا موضوع مضاربة وقحة على حساب آلام العمـال اليهود (التى يمكن أن نسميها حقا صعبة الغاية فى بعض مراحل التاريخ وفى نطاق بعض البلدان) ، و « ذريعة » لاثبات ان « آلام الشعب اليهودى العالمى خلال جميع الازمان لا يمكن مقارنتهـا بآلام أى شعب » .

من المعروف أن تاريخ الحروب والصراع فى المجتمع المقسـم الى طبقات متناحرة ، مشحون بالاعمال الوحشية . وفى ذاكرة كل شعب سلسلة من الاحداث المرتبطة بالعنف ، وبأعمال التنكيل والاضـطهاد والوحشـية الدموية ، وبفقر الجماهير وحرمانها . ولذلك فان امتهان الصهاينة للنواح يثير انطباعا ضعيفا لدى أولئك الذين يعرفون ويذكرون أحداثا تاريخية كحادثة « سمل عيون البلغار » و « الخوزقة » أو نقل ملايين الافريقيين الى أميركا فى عنابر السفن التى كان من بين أصحابها أسـلاف الصهاينة من الوجهة الطبقية ـ أى التجار وأصحاب البنوك اليهود . وكانت مصائر العمال اليهود مرثية بقدر ما كانت مرثية مصائر الشعوب التى عاشوا بينها والتى أصبحوا أكثر فأكثر يشكلون جزءا منها فى العمل المشترك والنضال ضد المضطهدين .

وليست أساطير الصهاينة وانما وضع الاشـيـاء الواقعى هو الذى أتاح الامكانية لليونارد شتاين ، الذى وصف السنوات التى سبقت مباشرة ظهور الصهيونية ، لكى يعلن أن فلسطين بالنسبة للاكثرية الساحقة من اليهود قد « كفت عن أن تكون منذ زمن بعيد فلسطين الواقع . لقـد كانوا يعرفون القليل أو لا يعرفون شيئا عن موقعها الجغرافى أو كيانها الطبيعى . ولم يكونوا مرتبطين بهذا البلد بأواصر التعلق الخاص ، ولم تلازمهم رؤى مناظره .. وبقى جمع شمل النازحين بالنسبة لهم جمع شملهم بكل معنى الكلمة . الا أن هذا ليس من عمل الانسان ـ ان الله هو الذى يقوم بذلك فى مستقبل لا يدرك بالبصر ، حين يأتى المسـيح » (٤٩) .

وبكلمة أخرى كرر ل . شتاين بعد ١٨ قرنا ما كان قد زعمـه فيلون الاسـكندرى ، وكان من الصعب الا يكرر ذلك : فوقائع التاريخ دامغة .

ان انهيار النظام الاقطاعى ، وتطور الرأسمالية العاصف ، ونمو طبقة البروليتاريين فى أوروبا ، والثورة البورجوازية الفرنسية ، ان كل هذه الخضات الجبارة والتقدم فى مصائر شعوب العالم كله كانت ذات قوة مؤثرة لم تأخذها بالحسبان أسوار المحاجر اليهودية فى القرون الوسطى .

كتب هاورد ساشر يقول « ان الاسباط اليهودية » فى تلك المرحلة ، « بالرغم من ان اكثريتها قد استطاعت الاحتفاظ بسلامة أنظمتها الداخلية : الدين ، والتعليم ، والمحاكم ، **وجدت نفسها مع ذلك على حافة الافلاس والصراع الطبقى المكشوف » (٥٠)**

(التشديد منى — ى . ا .) .

وفى عصر الرأسمالية انهارت أسوار المحاجر اليهودية ، الامر الذى أتاح حرية سير عملية تمثل اليهود النشيط بين شعوب البلدان التى عاشوا فيها ، هذه العملية التى توقفت لمرحلة قصيرة نسبيا فى القرون الوسطى .

كتب فلاديمير ايليتش لينين يقول : « ان انهيار القرون الوسطى وتطور الحريات السياسية سارا فى أوروبا كلها جنبا الى جنب مع تحرر اليهود السياسى وانتقالهم من الرطانة الى لغةذلك الشعب الذى يعيشون بين ظهرانيه ، وبشكلعام مع التقدم الثابت لاندماج اليهود بالسكان المحيطين بهم » (٥١)

وفى معرض وصفه لهذه المرحلة أشار ل . شتاين فى كتابه « الصهيونية » الى « أن اليهود المنعتقين فى الغرب لم يعودوا يستطيعون أن يعتبروا أنفسهم نازحين يعيشون فى عالم منفرد . لقد كانوا مرتبطين ارتباطا لا أنفصام له بالبلدان التى ولدوا فيها والتى ربطهم بها ليس التعلق السياسى وحسب ، بل المصالح الحميمة والعواطف .. ولم يعودوا يعتبرون يهودا فقط ، فهم شأن الانجليز والفرنسيين والالمان وغيرهم ساروا بطرقهم المختلفة . ولم تعد ترضيهم مذاهب العالم القديم حول **« النفى والانهيار » ، التى كانت تنبع من فكرة عن اليهود . عن شتات شعب لا مأوى له » (٥٢)**

ان عملية التحرر العاصفة التى أشـار اليهـا فلاديمير ايليتش لينين ، حطمت فى طريقهـا جميع الحواجز ، وبدأ يتزعزع أيضـا السـند الرئيسي لاصحاب البنوك واصحاب المعامل والتجارالیهود، الا وهو اليهودية .

وفى المؤتمر الوطنى العام لممثلى الكنيس اليهـــودى الذى أدخل عليه الاصلاح والذى جرى فىبيتسـبورج عام ١٨٨٥ أعلنالمندوبون بالاجماع : « نحن لاننتظر العودة الى فلسطين .. ان اميركا هى صهيوننا » (٥٣) .

وقبل ذلك ، أى فى عام ١٨١٨ أوصى الحاخام اسرائيلياكوبسن فى همبـــورج باســـتعمال الارغن فى الكنيس ، واداء الاغانى بالالمانية (٥٤) . وقد سبق ذلك حذف كل مايذكر بصهيون من جميع الصلوات . وأعلن أحد زعماء اليهودية فى المانيـــا قائلا : « شتوتجارت هى أورشليمنا ! » (٥٥)

ان استقطاب القوى فى الاسباط اليهودية التي انهارت تحت ضربات أحداث العصر الجديد ، سار بوثائب سريعة .

وكان العمال اليهود بين الــ ١٥ الف ثائر الذين نفتهم السلطات الفرنسية دون محاكمة وتحقيق بعـــد ثورة ١٨٤٨ . وفى ذلك الوقت كان « الروتشيلديون والباتلمانيون يقدمون قروضا الىبابا روما ، والى الجنرال لويس كافينياك فى فرنسا ، قامعثورة١٨٤٨، والى مترنيخ فى النمسا .. » (٥٦)

« اننـــا (العمـــال اليهـــود ــ ى.ا.) نندمـج فى جيش الإشتراكية .. » (٥٧) ــ ان هذا النداء قد دوى فى احتفالات أول مايو ١٨٩٢ . ولم يكن هـــذا مجرد كلام : فلقـــد نما اشتراك العمال اليهود فى الحركات الاضرابية لعمال أوروبا وأميركا بدون انقطاع . وفى الوقت نفسه كان الرأســـمالى اليهودى يدعو الى مســـاعدة البوليس لقمع الاضرابات كما هرع لمســـاعدته الحاخام أيضا من على المنبر ضد « المشاغبين» .

وقدم جوراتسى غينتسبورج ، ابن « ملك » الحانات فى روسيا ايفزل غينتســبورج ، وأحد أصحاب مناجم الذهب فى لينا ، الى عائلة القيصر الهدايا دلالة امتنان لاعدام « المتمردين » ، أما العمال العمال اليهود فى الــ « حدود الحضرية » فقد أضربوا تضامنا مع عمال لينا .

وقد أشار ف . ا . لينين محللا نضال عمال روسيا ضد نير

الحكم القيصرى الى أن « حركة اليهود للتحرر كانت أكثر عمقـا واتساعا فى روسيا بفضل استيقاظ الوعى الذاتى البطـولى فى أوساط البروليتاريا اليهودية .. » (٥٨)

***

يكفى ما سبق لتفسير رغبة الصهاينة فى التستر بثياب القدم. الا ان الاستنتاجات حول الاسباب التى حملتهم على وضع الخرافة عن قدم الصهيونية ظهرت غير كاملة ، دون أن تتطرق الى احداث أخرى لاتقل أهمية وتتعلق مباشرة بالقضية .

قبل المحاولات الاولى التى قام بها تيودورهرزل واضرابه بوقت طويل للعمل لفكرة « تأسيس الدولةاليهودية » برز آخرون ، وكما يقال ، صهاينه حقيقيون تعود لهم (فى الواقع) الأولوية ليس فى طرح هده الفكرة وحسب ، بل فى وضع خطط حسية لاستعمار مختلف مناطق العالم حيث يشكل اليهود تلك القوة الحيويه التى عليها ان تتحمل أولى مصائب النازحين الجدد القاسية . وقد حاول هؤلاء الصهاينة ـ غير اليهود الترويج لـ « ضرورة » من هذا النوع ، وبحثوا فى أوساط اليهود عن شخصيات ذات نفوذ كاف بوسعها أن تضفى على فكرة استيطان وتمركز الذين من أصل يهودى الطابع « القومى » .

وكان زعماء الاوساط الحاكمة فى الامبراطوريات الاستعمارية ، الصهاينة الاول .

« باذن وتحت حماية الشركة الهولندية « وست ـ انديا » منحت الاراضى المزروعة فى جزيرة كوراساو ، فى عـام ١٦٥٢ ، الى جوزف نيونيز دا فونسكييه وآخرين بغية انشاء مستعمره يهودية فيها . الا أن المحاولة لم تكلل بالنجاح » (٥٩) .

وفى عام ١٦٥٤ شاءت انجلترا أن تسكن اليهود فى مستعمرتها سورينام ، وفرنسا فى كايان .

وفى عام ١٧٩٩ قام نابليون بونابرت ، لأغراضه الاستراتيجية ، بالمحاولة الجدية الاولى لاستعمار فلسطين عن طريق اسـكان اليهود فيها ، الا أن هذه المحاولة باءت بالفشل ، كسابقاتها .

كتب المؤرخ الصهيوني ناحوم سوكولوف ، وهو يعلق على ذلك بأسف : « بما أن الحملة كلها قد فشلت (حملة نابليون من مصر على سوريا – ى . ا .) فان الرأى العام اليهودى قد انقسم هو أيضا . وليس ذلك فيما يتعلق بالمبدأ ، بل فيما يتعلق بالامكانية الحالية والوسائل » (٦٠) .

وقبل دعوة نابليون لاستعمار فلسطين بقليل نشرت فى فرنسا رسالة مغفلة ، كتبها ، كما يزعم ، أحد أعضاء السبط اليهودى الى صديق له : « انى أقترح باذن من فرنسا – احتلال البلاد التى تشمل مصر السفلى ، وكذلك المنطقة التى تمتد حدودها من **بتوميلى** حتى بحيرة **أوسفالتو** أو البحر الميت ، من الطرف الجنوبى لهذه البحيرة حتى البحر الاحمر » .

وذكر كاتب الرسالة الذى لم يذكر اسمه ، الاسباب التالية لاحتلال هذه الاراضى فزعم أنه « بعد أن نحتل موقعا يشكل أنسب المواقع فى العالم نصبح ، بفضل البحر الاحمر ، ملوك التجارة مع الهند والجزيرة العربية وأفريقيا الجنوبية والشرقية والحبشة وهى أغنى البلدان التى زودت الملك سليمان بكميات كبيرة من الذهب والعاج والحجارة الكريمة .. » (٦١) واقترح فى الرسالة طبعا اقتسام هذه الثروات كلها مع فرنسا .

ويعترف ن .سوكولوف نفسه بأن الرسالة قد نشرت « بناء على نصيحة أولئك الذين كانوا فى ذلك الوقت فى الحكم فى فرنسا » (٦٢) .

ولكن اذا كان بالامكان تسمية محاولات المستعمرين الفرنسيين لاستغلال اليهود لاغراضهم فى الشرق الادنى بأنها حادثة تاريخية فقط ، فينبغى أن ننظر الى جهود الاوساط الحاكمة فى انجلترا فى هذا الاتجاه بأنها ليست سوى تنفيذ دائب لخطة وضعت باحكام .

وفى عام ١٨٤٠ درست الدول الاستعمارية الاوروبية الكبيرة ، المتصارعة من أجل النفوذ فى الامبراطورية العثمانية المريضة قضية مستقبل سورية المحتلة من قبل الجيوش المصرية . فكتبت « تايمس » اللندنية فى ١٧ أغسطس ١٨٤٠ مقالا بعنوان « سوريا ونهضة اليهود » جاء فيه :

« ان اقتراح اسكان اليهود (مثل هذا الاقتراح ، كما هو

معروف ، لم يتقدم به أحد ــ ى . ا .) فى وطن آبائهم وتوطينهم هناك تحت حماية خمس دول لم يعد يشكل قضية موضع مناقشة ، بل أصبح بالاحرى مادة لمناقشة جديدة » .

ولئن كانت الـ « تايمس » الجريدة الانجليزية شبه الرسمية، قد اضطرت أن تتحدث بلغة ديبلوماسية وتشير الى انها مهتمة كذلك بالمستعمرين الاخرين ، فان الاوساط الأخرى فى انجلترا لم تجد أنه من الضرورى فى هذه القضية اخفاء آرائها ورغباتها الحقيقية .

وكتب الشخصية السياسية الانجليزية البارزة شافتسبورى فى رسالة الى وزير خارجية انجلترا بالمرستون يقول انه من الضرورى تحويل سورية الى دومينيون انجليزى . وأشار الى أن ذلك يتطلب راسمالا ويدا عاملة أما « الرأسمال فهو بطبيعته يرسل دائما بدون رغبة كبيرة الى كل بلد لاتكون فيه الممتلكات والحياة فى أمن » . واقترح شافتسبورى فى ختام رسالته « لو أننا أمعنا التفكير فى قضية عودة اليهود على ضوء اقامة أو استعمار فلسطين لاكتشفنا أن ذلك هو أرخص وأضمن طريق لتزويد هذه المنطقة القليلة السكان بكل ما هو ضرورى » (٦٢) .

ان صراع الدول الاستعمارية على النفوذ فى الشرقين الادنى والاوسط فى المرحلة التى سبقت بناء قناة السويس وبعد انتهاء بنائها ، كان عنيفا للغاية . وقد كتب الدكتور ادوارد روبنسون فى معرض وصفه للصراع العنيد بين الدول الاستعمارية فى هذه المنطقة من العالم « ان فرنسا تعتبر منذ زمن بعيد حامية الكاثوليك .. وكانت روسيا تجد دائما فى شخص الارثوذكس حلفاء يوثق بهم .. ولكن فى شخص من تستطيع انجلترا أن تجد لها حلفاء فى هذا الجزء أو ذاك من الامبراطورية التركية ؟ » (٦٤) . وقد حاولت انجلترا أن تضمن لنفسها دعم اليهود الشرقيين (واتخذت فى هذه المرحلة قانونا حول الوصاية عليهم) واقناع اليهود الاوروبيين بضرورة الاستيطان (تحت رعايتها) فى فلسطين .

وفى ٢٥ يناير ١٨٥٣ أعلن فى البرلمان البريطانى العقيد جيورج هاولر الحاكم العام السابق لجنوبى اوستراليا ، وبالتالى موظف استعمارى محنك : « ان العناية الالهية وضعت سورية

ومصر فى طريق انجلترا نحو المناطق الاهم فى تجارتها الاستعمارية الخارجية ، الهند والصين والارخبيل الهندي واوستراليا .. ان الاصبع الالهى يشير الى انجلترا أن تغمل بقوة لخلق ظروف ملائمة فى كل من هذين البلدين .. ويد انجلترا يجب ان تجدد سورية بواسطة الشعب الملائم لهذه المهمة ، والذى يمكن أن تستخدم طاقته دائما وبصورة فعالة ، اى بواسطة الابناء الحقيقيين لهذه الارض ، ابناء اسرائيل » (٦٥) .

وهنا تجدر الاشارة الى أن الدكتور ن. أدلر - الحاخام الاكبر فى بريطانيا العظمى ، قاوم فى رسالته عام ١٨٥٤ الدعوات المشابهة المستعمرين البريطانيين ، فكتب أن مصائر اليهود فى يد الاله الذى أمر بأن « لايستغاث به ، وأن لا يثار حبه حتى تلك الساعة التى يختارها هو نفسه » (٦٦) .

ولكن مع الزمن ازداد عدد الذين يرغبون فى ايقاظ يهوه المتهاون . ففى عام ١٨٦٦ اقترح هنرى دونانت مؤسس جمعية الصليب الاحمر الدولية انشاء جمعية الشرق الدولية بغية تطوير فلسطين « باشتراك شعب اسرائيل » . وأشار دونانت الى أن « الناس ذوى النفوذ فى فرنسا وانجلترا وغيرهما من البلدان يقفون من هذا المشروع موقف الرضا » (٦٧) .

الا أن مثل هذا النوع من « الملكية الجماعية » لم يكن يرضى الانجليز بأى شكل كان . وفى اواخر حياته ، أشار الشخصية السياسية الانجليزية شافتسبورى ، الذى سبق ذكره ، فى الصحافة الى أن « سورية بعد تحويلها ستصبح على الاغلب بلدا تجاريا ، ومن هم على الاغلب تجار فى العالم ؟ ترى هل يوجد مكان آخر أكثر خصبا ، وميدان ملائم ، حيث يمكن لليهودى أن يظهر مؤهلاته ؟ وهل ياترى لاتوجد لدى انجلترا مصالحها الخاصة بها من أجل تحقيق الاصلاح الضرورى ؟ ان انجلترا ستصاب بضربة اذا ما استولى احد من خصومها على سورية »

ومن الصعب الافتراض بأن القس المحترم جيمس نيل ، مواطن شافتسبورى كان يعرف ان الله وحده بواسطة المسيح المخلص « يجب ان يجمع شمل جميع اليهود فى ظلال جبل صهيون المقدس » بموجب قوانين اليهودية . الا ان هذا الواقع ، لم يربكه ، مع ذلك .

فقد كتب فى عام ١٨٧٧ فى كتابه « الهجرة الى فلسطين أو جمع شمل اسرائيل » مدركا مصالح الاوساط الحاكمة فى انجلترا « العجوز الطيبة » انه « من الصعب أن يستطيع الانجليز استعمار فلسطين بمثل النجاح فى اميركا الشمالية بسبب الحر . والمصاعب التى يخلقها العرب ، وعدم وجود حماية فعالة وغير ذلك الكثير » . ولذلك فقد اقترح استخدام اليهود لهذا الغرض .

ويشهد رئيس وزراء انجلترا هربرت أسكوين فى مفكرته تقريبا على مثل هذا « المنطق » لخلفه لويد جورج . فكتب بصدد بحث احدى الخطط العديدة للاستيلاء على فلسطين : « انه لمن الغريب ان يكون لويد جورج واحدا آخر من المدافعين عن الاقتـــراح . ولست ملزما بأن أقول انه ليس بحاجـــة أبدا لا الى اليهـــود ولا الى ماضيهم . ولا مستقبلهم ، ومع ذلك فهو يعتقد أن انتقـــال الاماكن المقدسة الى وصاية فرنسا .. « الملحدة » يمكن أن يكون كارثة » (٦٨) .

وفى السبعينات من القرن التاســع عشر تشكلت فى انجلترا « الشركة الاستعمارية السورية ـ الفلسطينية » التى ترمى الى « ضمان استعمار سورية وفلسطين والبلدان المجاورة من قبل أشخاص ملائمين من المسيحيين واليهود على حد سواء » (٦٩) . ولم يبق للصهيونية ، كما يقال ، سوى أن تظهر ، والا « اضطرت بريطانيــــا لابتـــداعها » حسب تصريح ماكس نورداو ، الزعيم الصهيونى فى أوائل القرن العشرين (٧٠) .

وفى عام ١٨٩٧ ، كما ذكرنا ، تأسست المنظمـــة الصهيونية العالمية . وفى عام ١٩٠٢ نشأت الشركة المساهمة الصـــهيونية العالمية ـ التروست الاستعمارى اليهودى ، الذى يشكل أداة مالية للحركة الصهيونية فى تحقيق الهدف الرئيسى ، وهو « التطوير الصناعى والتجارى لفلسطين والبلدان المجاورة » (٧١) .

كتب ناحوم سوكولوف معلقا على هذه الاحداث : « ان جميع انتصارات بريطانيا ، الكبيرة ، فى مكتسباتها السلمية (!) ابتداء من انشاء **صناديق الارصدة** أو التروست ، كانت مثالا للصهاينة . وسيسيل روت الذى بدأ من مليــــون ليرة استرلينية أسس روديسيا التى تبلغ مساحتها ٧٥٠ الف ميل مربع . وكانت الشركة البريطانية لفتح بورنيو الشمالية تملك رأسمالا قدره ٨٠٠ الف ليرة استرلينية ، وهى اليوم تسيطر على أراض مســـاحتها ٣١

الف ميل مربع . والشركة البريطانية ــ الافريقية الشرقية التى كانت تملك ٢٠٠ الف ميل مربع بدأت نشاطها بنفس المبلغ من المال شأن التروست الاستعمارى اليهودى ، وهو ٢٥٠ الف ليرة استرلينية » (٧٢) .

وفى البدء صدرت أسهم التروست الاستعمارى اليهودى بمبلغ مليونى ليرة استرلينية . وأثارت المبادرة الاستعمارية الصهيونية من حولها ضجة غير قليلة . وسعى زعماء الصهاينة بكل الوسائل الى اظهار الشركة التى انشأوها كأنها ملكية ووليد « يهودى قومى عام » . الا أن ذلك كان ثرثرة صريحة تعتمد على السذج .

وعلى ضوء أقوال ن . سوكولوف الصريحة يتضح جيدا ان الصهيونية لم تنشأ كحركة وأكثر من ذلك كحركة شعبية ، وانما كمؤسسة رأسمالية ، وكان الشركاء فى هذا الاتحاد هم رجال الاعمال الكبار فى بلدان عديدة والجوالين التجاريين ــ الزعماء الصهاينة . وتكونت الصهيونية تنظيميا كمؤسسة استعمارية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالاوساط الامبريالية ، يدرس حاجاتها اتحاد الصهاينة العالمى .

وقد أتاح مثل هذا الوضع الامكانية لـ « البارون » ادمون روتشيلد لكى يصرح قبل الحرب العالمية الاولى بمدة قصيرة : « ما كان الصهاينة استطاعوا أن يتقدموا خطوة واحدة من دونى ، وما كان لاعمالى من دون الصهاينة قيمه »

لقد نشأت الصهيونية كظاهرة غريبة ليس بالنسبة للعمال اليهود الذين ناضلوا مع الطبقة العاملة فى بلدانهم من اجل مستقبل أفضل وحسب ، بل كذلك بالنسبة للاكثرية الساحقة من الناس من أصل يهودى الذين عاشوا فى مختلف أنحاء الكرة الارضية . وهذا الوضع بالذات قد أتاح لليونارد شتاين أن يزعم : « كانت الصهيونية بالنسبة لليهودى المتحرر ، والذى كان يتمنى أقل من أى شيء آخر . أن ينظروا اليه باهتمام متزايد ، الولد الرهيب . وكانت الصهيونية ، بالنسبة للاصلاحى الذى لم يكن يرى فيها مصدرا للمشاكل وحسب بل خطرا على القيم الروحية التى حافظ عليها باخلاص ، غير مرغوبة . أما بالنسبة للمتشدد المتطرف ، اذا ما نظرنا الى الطرف الآخر من السلم فان الصهيونية كانت تشكل

لا اكثر من مدنس للايمان يسعى بتصنع الى دفع يد القادر على كل شيء » .

ومع ذلك فقد نشأت الصهيونية . فما هى الاسباب الرئيسية لذلك ؟ فلنحاول بتلخيصنا كل ما كتب عن ذلك ، أن نحددها باختصار :

١ ــ ان التناقضات بين انجلترا وفرنسا ، وفيما بعد المانيا التى توطدت ، فى منطقة الشرق الادنى الذى كان لا يزال فى اطار الامبراطوريةالعثمانية العجوز ، والصراع من أجل تقسيمها النهائى أرغمت كلا من الدول الاستعمارية (التى كانت تعتقد أن ذلك لم يعد زمن الاغتصابات الاستعمارية الباطلة ، وانما تخوم القرن التاسع عشر والقرن العشرين ، حين يهدد كل « مكسب استعمارى » جديد باثارة تدابير عسكرية معاكسة واسعة من قبل الخصوم) ، على البحث عن ذرائع ملائمة لتوسيع مواقع نفوذها .

أن فكرةهجرة اليهود الى فلسطين (وكما سنرى فيما بعد الى أى بلد من البلدان يشكل مصلحة مباشرة) والتى تنفر منها الاوساط الحاكمة الانجليزية ، تبدو أفضل صيغة للاستعمار الملائم » . (وكان بسمارك أيضا ، الذى خطط لاسكان اليهود على طول الخط الحديدى برلين ــ بغداد يعتزم استثمار هذه الفكرة) . ولتحقيق مثل هذا النوع من المشاريع كان لابد ، مع ذلك من موارد بشرية ، سعت انجلترا بوجه خاص لتأمينها عبثا خلال سنوات طويلة ...

وبالتالى كانت هناك مصلحة محسوسة لدىالامبرياليين فى بريطانيا وفرنسا والمانيا فى تأييد القوى التى أخذت على نفسها دور المنفذ العملى فى تحقيق المؤسسة ذات النفع المتبادل : استعمار فلسطين أو ، كما خطط بسمارك ، استعمار مختلف أجزاء الامبراطورية العثمانية .

٢ ــ اشتداد الصراع الطبقى على أعتاب القرن العشرين وضع الامبريالية أمام ضرورة توطيد ودعم جميع القوى التى تحارب بهذا الشكل أو ذاك، الحركة البروليتارية الاممية والتضامن الطبقى ، ونضال جميع العمال .

وبالتالى كانت توجد مصلحة موضوعية لدى حكام جميع الدول الاوروبية الكبرى بدون استثناء ، فى مثل هذه الظاهرة ، كالصهيونية .

٣ ـ عملية التمايز الطبقى وانهيار الاسباط اليهودية وطموح العمال اليهود للخروج من تحت اشراف زعماء الاسباط فى كل بلد فيه سكان يهود ، كونت من بين الناس المنتمين الىالفئات الحاكمة فى السبط ، جماعات من أناس ذوى تفكير واحد سعوا بأى شكل كان لكى يقيموا ويعززوا الهيمنة السابقة ، ويضمنوا الاشراف على جماهير العمال اليهود .

وبالتالى كان هناك أيضا ظروف سياسية محسوسة لتشكيل المنظمة الصهيونية العالمية .

وبكلمة أخرى نشأت الصهيونية كمحاولة .. حسية فى التروست الاستعمارى اليهودى والمنظمة الصهيونية العالمية ، من جانب البورجوازية اليهودية الموالية للامبريالية لاعادة سيطرة زعماء الاسباط اليهود (الطبقات البورجوازية حاليا) ، التى ضاعت ، على جماهير السكان اليهود ، وكبح « التقدم الاكيد ـ كما أشار لينين ـ لاندماجهم بالسكان المحيطين بهم » ، وتأمين الاحتباطيات السياسية والمادية ، فى نطاق كل بلد وعلى النطاق العالمى ، التى يمكن استخدامها لاغراض الحليف الرئيسى والشريك القديم للصهيونية ، أى الدولة الامبريالية الاكثر جبروتا فى هذه المرحلة التاريخية .

وبدهى تماما أن شعار « الدولة اليهودية » قد اتسم فى الظروف الحسية لنهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين بالطابع « الادائى » الصرف .. وكان الزعماء الصهاينة يتصورون دائما تشكيل « الدولة اليهودية » ليس كهدف ، بل كوسيلة لبلوغ أهداف أخرى أوسع بكثير : اقامة الاشراف على الجماهير اليهودية ، الاثراء بجميع الوسائل باسم السلطة والرخاء الطفيلى ، والدفاع عن الامبريالية وتعزيزها .

ان اخفاء الجوهر الطبقى الحقيقى للصهيونية ، ومطامعها الحقيقية ومخططاتها ، ومحو التاريخ الحقيقى لولادتها وأسباب ظهورها الى النور من الذاكرة ، واقناع السكان اليهود فى بلدان العالم بأن الصهيونية هى ما تمنوه طول حياتهم ، ولكن دون أن يعوا ذلك تماما ـ هذه هى الاهداف التى ترمى اليها الاسطورة المنتشرة حتى يومنا هذا حول مايسمى بقدم الصهيونية .

الفصـــل الثانى

« لتفريق الحجارة وقت
ولجمع الحجارة وقت »(*)

منذ زمن غير بعيد نسبيا أجرى العالم الاميركى ه. تامارين، الذى عمل مدة طويلة فى اسرائيـــل ، استفتاء جاء بنتائج بليغـــة وذات مغزى كبير ..

أعد تامارين ١٠٦٦ استمارة ذات محتوى واحد ، اجاب عليها كتابة ٥٦٣ فتى و ٥٠٣ فتيات من مختلف الصفوف فى مختلف المدارس . وقد تطرقت الاستمارة لـ « سفر يشوع بن نون» فى الكتاب المقدس ، الذى يدرس فى المدارس الاسرائيلية من الصف الرابع حتى الثامن .

« انك تعرف جيدا المقتطفات التالية من « سفر يشوع » : « فهتف الشعب وضربوا بالابواق . وكان حين ســمع الشــعب صوت البوق ان الشعب هتف هتافا عظيما فسقط السور فى مكانه وصعد الشعب الى المدينة كل رجل مع وجهه واخـــذوا المدينة . وحرموا كل من فيها بين رجل وامرأة وطفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف » (يشوع ، ٦ ، ٢٠) .

« واخذ يشوع مقيدة فى ذلك اليوم وضربها بحد الســيف وحرم ملكها هو وكل نفس بها . لم يبق شاردا وفعل بملك مقيدة كما فعل بملك أريحا . ثم اجتاز يشوع من مقيدة وكل اسرائيل معه الى لبنة وحارب لبنة . فدفعها الرب هى أيضا بين اسرائيل

(*) سفر الجامعة ، الاصحاح الثالث .

مع ملكها فضربها بحد السيف وكل نفس بها . لم يبق بها شاردا وفعل بملكها كما فعل بملك أريحا » (يشوع ، ١٠ ، ٢٨ — ٣٠) .
أجب ، من فضلك ، على السؤالين :

١ — هل تعتقد أن يشوع بن نون والاسرائيليين قد تصرفوا تصرفا صحيحا أو غير صحيح ؟ أشرح لماذا لديك مثل هذا الرأى بالذات .

٢ — لنفترض أن الجيش الاسرائيلى احتل خلال الحرب قرية عربية . فهل هو جيد أو سيء ان يتصرف على هذا النحو مع سكان هذه القرية ، كما تصرف يشوع بن نون مع شعب أريحا .. اشرح لماذا ؟ » .

وكتب تامارين : « أن ابادة الناس بالجملة التى قام بها يشوع ابن نون ، ليست المثل الوحيد من هذا النوع فى الكتاب المقدس . ولقد اخترته لان « سفر يشوع بن نون » يحتل مكانا خاصا فى نظام التعليم الاسرائيلى » (١) .

وقد وزعت هذه الاستمارة فى مدارس تل أبيب وقريةبالقرب من الرملة وفى مدينة شارون ومستعمرة معوتشد ، الخ ..

ولنذكر بعض الاجابات . كتب تلميذ من مدرسة فى مدينة شارون : « كان هدف الحرب هو الاستيلاء على البلاد من أجل الاسرائيليين . ولذلك فقد تصرف الاسرائيليون تصرفا حسنا باحتلالهم المدن ، وقتلهم سكانها . وليس من المرغوب فيهأن يكون فى اسرائيل عنصر غريب . ان الناس من مختلف الاديان يمكنأن يؤثروا تأثيرا لا حاجة اليه على الاسرائيليين » (٢) .

وكتبت فتاة من مستعمرة معوتشد : « لقد تصرف يشوع بن نون تصرفا حسنا ، بقتله جميع الناس فى أريحا ذلك لانه كان من الضرورى احتلال البلاد كلها ولم يكن لديه وقت لاضاعته على الاسرى » (٣) .

كانت الاجابات من هذا النوع تشكل ما بين ٦٦٪ و٩٥٪ حسب المدرسة والمستعمرة أو المدينة .

وعلى سؤال : هل يمكن فى عصرنا ، تصفية جميع سكان قرية عربية محتلة . أجاب ٣٠ بالمائة من التلاميذ بشكل قطعى « نعم » .

ونورد فيما يلى بعض ما كتبه الاولاد : « اعتقد أن كل شيء قد جرى بشكل صحيح . اذ اننا نريد قهر أعدائنا وتوسيع

حدودنا . ولكننا نحن أيضا قتلنا العرب ، كما فعل يشوع بن نون والاسرائيليون » (٤) (الصف السابع) .

وكتب تلميذ من الصف الثامن : « فى رأيى يجب على جيشنا فى القرية العربية أن يتصرف مثل يشوع بن نون لأن العرب هم أعداؤنا . ولذلك فهم حتى فى الأسر سيفتشون عن امكانية ليبطشوا بحراسهم » (٥) .

هذه فقط بعض الثمار المحسوسة لـ « التعليم » الصهيونى . وهى لم تنضج تلقائيا ، وانما نمت على الشجرة الحقيقية للايديولوجية الصهيونية التى أرخت جذورها العميقة جدا والتى نكرس هذا الفصل لدراستها .

***

تساءل فلاديمير ايليتش لينين فى عام ١٩٠٣ : « هل ياترى يمكن تفسير ذلك الواقع وهو أن القوى الرجعية بالذات فى أوروبا كلها ، وخاصة فى روسيا تتألب ضد اندماج اليهود ، وتحاول تكريس عزلتهم نهائيا ، بأنه مجرد مصادفة ؟ » (٦) .

يتبين من وضع السؤال بالذات ان لينين لم يعتبر قط هذا الواقع بأنه مصادفة .

أن أسوار محاجر القرون الوسطى ، التى أمنت أشراف زعماء الاسباط اليهودية على الجماهير اليهودية ، قد انهارت . ولم تصمد اليهودية ـ المحجر الروحى ـ تحت ضربات عصرنا الشديدة ، ولذلك كانت جميع مساعى القوى ذات المصلحة فى الحفاظ على نصيب من النفوذ ، وعلى شىء من الاشراف ، وجزء من الهيمنة الغابرة ، تؤول الى احياء أشكال المحجر الروحية والتنظيمية الجديدة الملائمة للزمن الجديد ، وضمان فاعليتها .

وكان الاتحاد الصهيونى ، الممثل بالمنظمة الصهيونية العالمية والتروست الاستعمارى اليهودى ، أحد هذه الأشكال التنظيمية .. وصيغت الايديولوجية الصهيونية بوصفها احد أشكال المحجر الروحى الجديد .

فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر كان ٨٦٫٥٪ من

اليهود يعيشون في اوروبا (٧) ، وفي كل بلد منها نمت على حد سواء (في أوساط اليهود وغير اليهود) قوى ناضلت ، على حد قول لينين ، من أجل التقدم الأكيد لاندماج اليهود بالسكان المحيطين بهم ، وقوى وقفت ضد هذه العملية .

« لا يوجد بلد آخر نخلص له كهذا البلد . اى وطن آخر يدعونا الى ان نكون تحت حمايته ؟ نحن لم نهاجر الى المانيا ، بل ولدنا هنا . ولذلك فنحن اما المان واما أناس لامأوى لهم . يوجد مبدأ واحد فقط في الامة وهو الدم المراق في النضال المشترك من أجل حرية وطننا » (٨) .

ان هذه الكلمات التى طرحت كتحد للبروسيين اللاساميين في نهاية القرن الماضي لم تعبر عن مشاعر الاكثرية الساحقة من اليهود وحسب ، بل كانت أيضا جزءا من طريقة التفكير .

وكتب المؤرخ بن هالبرين « أن خصوم تحرير اليهود لم يعودوا قادرين على الدفاع بصراحة عن التمييز الدينى الذى كان موجودا في « النظام القديم » . ولذلك ابتكروا سببا ، لا يمكن على اساسه منح اليهود الجنسية المتساوية ـ ذريعة يمكن الدفاع عنها ، أذا صح التعبير ، من مواقع المبادىء الليبرالية ، ولأن اليهود بالضبط .. **امة خاصة تقف منعزلة عن اكثرية سكان هذا البلد ..** » **(٩)** (التشديد منى ـ ى. أ.)

وقد أصبحت هذه الفكرة بالذات ، فكرة « الامة اليهودية »، الكاذبة تماما ، كما اشار ف . أ. لينين ، والرجعية بجوهرها ، والتى تخلق لدى العمال اليهود مباشرة وغير مباشرة شعورا معاديا للاندماج ، شعور « المحاجر » (١٠) ، أصبحت في آن واحد نقطة انطلاق لعقائد اللاساميين والسند الرئيسي لايديولوجية الصهيونية التى أقيمت عليها جميع التراكيب النظرية ـ الفكرية الصهيونية .

ولا يجوز أن نخلط مفهوم « الامة اليهودية العالمية » الذى استخدمه الصهاينة ولا يزالون يستخدمونه من أجل اقامة الاشراف الفكري والسياسى على مواطنى شتى البلدان ، مع قضية الامة الاسرائيلية (التى سيجرى بحثها في الفصول التالية) . أن هاتين القضيتين موجودتان في مجالين مختلفين تماما ، ومحاولات اقامة اى اتصال بينهما غير مشروعة . ذلك أن كثيرين

من الانجليز والايرلنديين قدتحولوا منذ زمن بعيد الىأوستراليين ونيوزيلنديين تماما كما تحول كثيرون منالاوكرانيينوالفرنسيين ، واليهود والروس الى كنديين بعد أن أخذوا جميعالصفاتالمميزة لهذه الأمة .

لنبحث بايجاز الحجـــج الاكثر نموذجيـــة لايديولـوجيى الصهيونية . (*) لصالح ان مواطنى مختلف الدول اذا كانوا من اصل يهودى يشكلون « الامة اليهودية العالمية » (*) :

كتب موزيس هس (*) ، أحد ايديولوجيى الصـــــهيونية القدماء : « ان أكثر امراثارةللعواطف فى الصلوات اليهوديةالقديمة هو انها ، فى الحقيقة ، تشـــكل تعبيرا عن الروح اليهـــودية الجماعية ، انها لا تصلى لشخص واحد ، انها تدافـع عن الجنس اليهودى كله » : « ان اليهودى الجديد الذى ينكر وجود الامـــة

(*) فى هذا الفصل سنبحث معتقدات ومفاهيم النظريين الصهاينة الاكثر شهرة انطلاقا من ان هذه المفاهيم فى شكلها الاصلى حتى يومنا هذا تقوم بتسليح الصهيونية العالمية .

(* يسعى باحثو ما يسمى ب « الحركةالصهيونية » البرجوازيون ، لالغرض الدراسة ، ولكن بغية تشديد البلبلة فى مسالة تمثل فى اساسها الصهيونية ، الى وصفها كمجموعة من التيارات المختلفة « ظهرت مستقلة الواحد عن الاخر » والتى اخذت تتصارع . أنهم يميزون أنصار الصهيونية الروحية ، والصهيونية السياسية ويتكلمون عن التوسعيين الصهاينة والمحرفين الصهاينة الخ .. ان مثل هذا التشعيب ، وهو لا يمكن ان لا يكون مشروطا بشكل خاص قادر فقط فىجميع الظروف على مساعدة دراسة تكتيك الصهيونية ، وطابع الاوهام التى تؤدى الى تضليل الصهاينة العاديين . وهذا التشعيب ، لدى اكثر النوايا طيبة ، ممكن فقط بعد ابانة جوهر الصـــــهيونية كظاهرة ، ككل ، وبعد ابانة اهـــدافها الستراتيجية .

«*» ولد موزيس هيس فى المانيا عام ١٨١٢ . وهو احد انصـــــار دمج اليهود المتحمسين . اشترك فى ثورة ١٨٤٨ . هرب الى فرنسا بعد فشل الثورة، حيث تعرضت اراؤه خلال فترة قصيرة لتغيرات جذرية . وضع كتـــاب « روما واورشليم » ١٨٦٢ .

اليهودية ليس فقط مرتدا من الوجهة الدينية وحسب ، بل خائن لشعبه ، ولجنسه وحتى لعائلته » (١١) .

وشيئا فشيئا استخلص م . هس ، الذى يدعى انه « ثورى» سابق ، مفهوم « الامة اليهودية العالمية » من «الروح اليهودية الجماعية » بشكل خاص ، واليهودية بشكل عام .

وبهذا الصدد كتب أيديولوجي صهيونى آخر هو ل . بينسكر (*) ، في مؤلفه « التحرر الذاتي » انهم لا يعتبرون اليهود أمة لانهم فقدوا ميزاتها الجوهرية ، الا أن « الشعب اليهودى .. بقى موجودا روحيا كأمة . وقد عرف العالم فيهذا الشعب الشبح المشؤوم للجثة التائهة بين الاحياء » .. وأشار بينسكر الى أنه « اذا كان شعور الخوف امام الشبح ليس الا تبريرا غريزيا فى الانسان ، قائما الى درجة معينة فى عالمه النفسى ، فلا غرابة فى الانسان ، قائما الى معينة فى فلا غرابة النفسى ، فلا غرابة فى انه يظهر امام هذه الامة الميتة ، والتى لا تزال تعيش » (١٢) .

أن الناس المحيطين باليهود لا يعتبرونهم ، حسب ل. بينسكر، أمة الا انهم ، أى اليهود ، خلافا لذلك يشكلون أمة بحكم «الوحدة الروحية » . انهم يشكلون « أمة مختارة روحيا»خاصة ،لايدرك كنهها ، مثيرة لمخاوف الشعوب الاخرى .

ويعانى أيديولوجي صهيوني آخر بارز هو أحد هاعام مفهوم الكتاب المقدس الصرف « الامة اليهودية المختارة من اللهوالمشردة فى كل العالم ، وذات الرسالة الخاصة » .

ويعتقد ليون سيمون أن « فكرة اسرائيل التى تشكل هدفا لا يتجزأ للتعلق القومي » تحول اليهود الى أمة (١٣) .

وأخيرا ، يتحدث الفيلسوف الصهيونى المعروف مارتن بوبر عن التفوق الاقصى « للامة اليهودية العالمية » . فاليهود ، حسب أعتقاده ، هم « الشعب الوحيد فى العالم » الذى تكون خلال الأزمنة الغابرة كأمة وكسبط دينى ، فى آن واحد . ومعذلك فان السبط الدينى اليهودى ، من وجهة نظره هو « رمز التكوين » ، فى الوقت الذى تشكل فيه « الامة اليهودية العالمية » ظاهرة مترابطة .

(*) ل. بينسكر « ١٨٢١ – ١٨٩١ » كاتب صحفى روسى ، واحد واضعى الايديولوجية الصهيونية .

هذه التشكيلة من المفاهيم الصهيونية كانت تعتمد على التلقين من على المنابر . وليس من قبيل المصادفة ان هرزل ، أحد « أجداد » الصهيونية ، والذى كان يعرف جيدا **عدم الجدوى التام لعملية الاقناع العلمى للمتاع النظرى** الصهيونى ، قد تعهد فى فجر نشاطه : « من أجل الدعاية لآرائنا ، لا فائدة لنا من عقد الاجتماعات وما يتخللها من ترترات ، أن هذه الدعاية تدخل كجزء متمم فى الخدمة الدينية » (١٤) .

أن الصهاينة الذين وجدوا أنفسهم أمام ضرورة رفع جدران محجر روحى جديد لم يكونوا عازمين ، بدهيا ، على تعميم موضوعة ف. انجلس القائلة بأن « ما يسمى بالكتاب المقدس اليهودى ماهو الا تسجيل للتقاليد الدينية العشائرية العربية القديمة .. » (١٥) لقد كانوا مشغولين بشىء اخر ..

وتجدر الاشارة الى أن أحد الاسباب التى لم تذكر فى الفصل السابق ، عن نشوء الخرافة حول قدم الصهيونية كان ضرورة التجسد فى الدين ، التى كان يدركها جيدا الايديولوجيون الصهاينة (**هؤلاء البراغماتيكيون بروحهم الى حد كبير**) ، هذا الدين الذى تخلى عن الكثير من مواقعه وتحول بأغلبيته الى يهودية اصلاحية والذى بقى واسطة مباشرة للاتصال مع عدد كبير من الذين لم يؤمنوا بقدسية صهيون (بالرغم من أن عددهم يتضاءل) ومع ذلك ما زالوا مؤمنين .

ان تجسد الصهيونية فى اليهودية مهما بدأ فى البدء مزيفا لأنصار الديانة اليهودية ، كان له هدف رئيسى واحد هو اخضاع اليهودية التى لم تعد قادرة بصورة فعالة على تنفيذ وظيفة المحجر الروحى ، للصهيونية ، واستخدامها كوسيلة ثانوية .

ولقد تحدث عن ذلك بكل وضوح الصهاينة انفسهم . ففى اجتماع لانصار الصهيونية عقد فى سنسيناتى عام ١٩١٤ أعلن البروفسور سولومون متشتر انه « اذا اردنا ان يكون لليهودية وجود ، أية يهودية كانت ، اصلاحية أم متشددة ، فيجب علينا الحفاظ على الصهيونية .. ان اليهودية فى وضع يرثى له لا فى أميركا وحسب بل فى أوروبا أيضا .. » (١٦) . ومن البدهى أن البروفسور الموقر فى حديثه عن الصهيونية ، كشرط لا بد منه

الحفاظ على اليهودية ، قد استرشد لا بحب جمالات القداس فى الكنيس . بل لقد أعلن بصراحة وبكل بساطة أن الشكل القديم للمحجر الروحى قابل للعيش أطول بنتيجة تعزيز شكله القديم،

وسبق أن حذر أحد هاعآم ، أحد نظريى الصهيونية البارزين من خطر فشل الأشكال القديمة للمحجر الروحى ، وضرورة الحفاظ عليها عن طريق تشكيل وسائل جديدة للتأثير على عقول الناس . فكتب بهذا الصدد : «لم يغادر اليهودوحدهم محاجرهم ، بل غادرتها كذلك اليهودية . أن خروج اليهود جرى ضمن اطار تلك الجدران التى يعيشون بينها ، وكان يشكل نتيجة للصبر . واليهودية تتحرر هناك حيث يجرى تماسها مع الثقافة المعاصرة التى تجتاح التحصينات الدفاعية لليهودية من الداخل مما يؤدى الى أن اليهودية لا تعود قادرة على البقاء فى عزلة ، والعيش كالسابق » .

وأضاف ، معبرا عن مخاوفه بأن اليهودية لن تكون قادرةعلى التطور بسبب التأثير الشامل « للروح القومية السائدة » فى هذا البلد أو ذاك : عندما تفادر اليهودية جدران المحجر فانها تتعرض لخطر زوال « أنا » ها الملموسة أو على الاقل سلامتها القومية ويمكن أن تتشتت الى أنواع مختلفة جدا من اليهودية . لكل منها طابع كيان خاص كبلذان الاستيطان اليهودى » (١٧) .

ان التمارين اللاهوتية للنظريين الصهاينة لم تكن قط . بهذا الشكل ، فارغة من المحتوى . فهى فى الحقيقة ، تنحصر فى محاولة انشاء ما هو وسط **مقبول** بين « نظرية » سيسيل روت الاستعمارية وبين دعاية الحاخام العادية ، لكى يتم عن طريق الاولى « تجديد تكوين » الحاخامات ، وبواسطة هؤلاء الفوز بالرعية .

ان الزعماء الصهاينة ، وهم كقاعدة عامة ، اناس مثقفون ، على معرفة باكتشافات عصرهم الكبيرة فى ميدان العلوم الطبيعية وبنظرية القيمة الزائدة لكارل ماركس وبمؤلفات ف. أ. لينين لم تربكهم أبدا اهتماماتهم التلمودية . لقد كانوا بحاجةالى الكنيس ولكن ليس كحليف متكافىء بل كجهاز تابع .

ولذلك فان المزاعم بأن احد هاعآم وسومو لنسكين ومارتن بوبر وشركاهم كانوا يتوقون الى « التوفيق » بين اليهودية والصهيونية شأن المحاولات المبذولة من أجل تصويرهما كقوتين

متعادلتين ، هي ، من وجهة نظرنا ، تفتقر الى اساس . فالنظريون الصهاينة لم « يوفقوا » بل « حاولوا » تماما كما يفعل الفارس قبل ان يمتطي ظهر جواده . أن اصعب القلاع مناعة لليهودية الإصلاحية الاميركية قد استسلمت للصهيونية في أوساط الثلاثينات من القرن العشرين ، تحت ضغط الرأسمال الاحتكاري ، وليس بتاثير اي سبب عاطفي آخر) ..

اما بالنسبة للناس البعيدين عن التصوف والدين فان الصهاينه يعدون تشكيلة أخرى من الذرائع لمصلحة وجود « الامة اليهوديه العالمية » . وقد أشاح ح. وايزمن وجاستس ل. براندس و ن. سوكولوف و ب. بوروخوف وغيرهم باعطائهم النضل لفكرة تفرد وتعوق « الأمة اليهودية العالمية » . الى « وحدة اليهود الثقافية » و « ماضيهم التاريخي الخاص » و « نمط تفكيرهم الخاص » الذي لا يزال باقيا حتى بعد أن « لم يعد الدين يشكل قوة فعالة .. » (١٨) وعقب هذه الذرائع وجدت حجة أخرى تزعم ان اليهود يمثلون « الأمة اليهودية العالمية » لأنه « يوجد اقتناع العالم الخارجي بأن هو هذا الواقع » (١٩) .

وقد سبق ان تحدثنا باختصار في الفصل السابق على اساس المعطيات ، وبشكل رئيسي معطيات أولئك الباحثين الذين لم يسجلهم الصهاينة ابدا في لائحة اللاساميين ، عن مصير مختلف أنواع الاسباط اليهودية . وحتى مثل هذا العرض الوجيز يشهد على أنه لا أساس للحديث عن وحدة ماضي اليهود التاريخي باستثناء اقدم الازمنة الغابرة .

أن كتاب سيسيل روت « تاريخ اليهود » . وهو واحد من المؤلفات الكثيرة حول هذا الموضوع (٢٠) . يشكل دليلا جيدا على عقم محاولة توحيد تاريخ مختلف الأسباط اليهودية بهذا الشكل أو ذاك . أن لائحة الأبحاث التي استخدمها والتي عرضها على القارىء تبين بوضوح وهن مغامرة روت : « تاريخ يهود روسيا وبولونيا » ، و « اليهود والعرب وصلاتهم على مر الأجيال » ، و « المحجر ويهود روما » و « تاريخ اليهود في أميركا » و «يهود اسبانيا » و « اليهود في مصر وفلسطين » الخ .

وبصدد « الوحدة الثقافية » لليهود أعلن ماكس نورداو الذى

امتاز بالصراحة الهرزلية : « سنحافظ على الثقافةالاوروبية التى تشربناها خلال الالفى سنة الاخيرة ، ولا يسعنا الا ان نهزأ بالنصائح للتحول الى آسيويين . **وسنتحول ، من حيث تاريخ الانسان الطبيعى والثقافة الى آسيويين بقدر ما تحول الانجلو ساكسون فى أمريكا الى هنود حمر ..** « التشديد منى — ى . ا . » يجب أن يكون هدفنا أن نفعل فى آسيا الصفرى ما فعله الانجليز فى الهند .. » (٢١)

وردا على احابيل الصهيونيين التى تنضح منها بجلاء كاف رغبتهم فى توحيد مواطنى مختلف البلدان تحت راية « الأمة العالمية » استشهد ف. أ. لينين فى جدله مع قيادة البوندالتى تسلحت بعدد من آراء الصهيونية ، بألفردناكه الذى كتب يقول : « هل يشكل اليهود شعبا خاصا ؟ بالرغم من أنهم كانوا بلا شك فى الماضى السحيق شعبا فانى اجيب على هذا السؤال ب «لا» قطعا . ان مفهوم الشعب يفترض شروطا معينة ، لا وجود لها قطعا فى الحالة الراهنة . فلم يعد لدى اليهود لا أراض ولا لغة مشتركة . أن اليهود الألمان والفرنسيين لا يشبهون ابدا اليهود البولونيين والروس . أن السمات المميزة لليهود لا تملك أى شىء يحمل سمة أمة » .

واضاف ف. أ. لينين مؤيدا هذا الرأى : « لم يبق لدى البونديين الا أن يضعوا فكرة الأمة الخاصة لليهود الروس ، التى تشكل اللهجة الرطينة لغتها ، والحدود الحضرية أرضها » (٢٢).

ومن بين مفاهيم الصهاينة فيما يتعلق ب « الأمة اليهودية العالمية » تمتاز موضوعة تيودور هرزل المعدة لتوجه لاكبر عدد من المستمعين . فقد أكد « أن الأمة » ، حسب اعتقادى ، هى جماعة من الناس تشكلت تاريخيا ووحدتهم التى تتمتع بسمات مميزة ، والتى ما زالت باقية كوحدة تامة بفضل وجود العدو . واذا اضفنا الى ما سبق أن ذكرت كلمة « يهودية » فستدركون ماذا اعنى حين اتكلم عن الامة « اليهودية » (٢٣) .

من المحتمل ان ت. هرزل لم يستوعب مسألة السمات المميزة للامة كقضية حيوية والا لاعتبر أنه من الضرورى معالجتها بالتفصيل أما فيما يتعلق بال « عدو » فأن هرزل قد أشار أكثر

من مرة الى ان هذا العدو كان ولا يزال وسيبقى اللاسامية .

وحسب منطق هرزل فأن « الأمة اليهودية » لن يعـود لها وجود فى الحالة التى تزول فيها اللاسامية . ولكن الصهيونيين يقولون ان .. اللاسامية أبدية .

وبما أن « الأمة اليهودية » لن يعود لها وجود الدائم للعـدو
وبما أن « الأمة اليهودية » موجودة نتيجة الوجود الدائم للعدو « اللاسامية » فيمكن القول أن اللاسامية تعيش فى أوســاط جميع الشعوب التى تعيش جنبـا الى جنب مع اليهود . ويؤكد الصهاينة قائلين « أن هذا لا يكفى . فانها لاتعيش وحسب » !

« ان **الشعوب** (التشديد منى — ى. أ.) التى يعيش اليهود بينها تشكل جميعا معا أو عـلى حـدة لاساميين ســافرين أو مستترين » (٢٤) .

على أى أساس يقوم هذا التأكيد ؟ كان ل. بينسكر يؤكد أن اللاسامية مرض نفسى عضال . كتب يقول « أن اللاسامية هى نفسوز (نوع من الهستيريا — هيئة التعريب) واذ اصبحت هكذا وراثية وكمرض انتقل بالوراثة خـلال ألف سنة ، فقد أصبحت مرضا عضالا » . واستطرد يؤكد ، محاولا مد جسر الى العنصرية، أن « على العموم ، ما من شعب يشعر بالعطف نحو الغرباء وهذه الظاهرة قائمة على أساس عرقى ولذلك فلا يمكن لوم أحـد من الشعوب » (٢٥) .

وفى غضون ذلك كتب لوسيان ولف (يهودى انجليزى) ، الشخصية الاجتماعية البارزة ان « اللاسامية مرتبطة فقط بقضايا الحياة السياسية الأوروبية . وينبغى بحث منشئها لا فى الصراع الطويل الذى استمر سنوات عديدة بين أوروبا وآسيا ، ولا فى الصراع بين الكنيسة والكنيس الذى ملأ صفحات كثيرة من صفحات التاريخ القديم وتاريخ القـرون الوسـطى ، بل فى الظـروف الاجتماعية التى نشأت فى اوساط القرن التاسع عشر فى أوروبا نتيجة تحرر اليهود » (٢٦) .

الا أن الصهاينة لم يكن يلائمهم حتى مثل هذا الوضع العـام للمسألة : فالاعتراف باللاسامية ظاهرة اجتماعية عابـرة يعنى بالنسبة اليهم التوقيع على افلاس ذرائعهم لصالح « الأمة اليهودية العالمية » . ولذلك ردد الصـهاينة ، الذين يملكون القابا علميـة

رفيعة (منهم مثلا ح . وايزمن) بالحاح وعناد غير موفق أن «السبب الرئيسي للاسامية يتلخص فى أن اليهود موجودون » (٢٧) .
واكد وايزمن مطوراً هذه الفكرة : « ان اللاسامية هى جرثومة يحملها معه فى كل مكان كل انسان (التشديد منى — ى.أ.) بغض النظر عن الاقتناعات بالعكس .. » (٢٨) .

هكذا صاغ الايديولوجيون الصهاينة المفهوم الثانى « الاساسى» لحجر روحى جديد ، مفهوم « اللاسامية الازلية » .

ان اضعاف الوعى الطبقى للعمال اليهود ، واقناعهم بأن المتمول اليهودي أقرب اليهم روحا وهدفا من العامل الروسى او الألمانى، ومجابهة اليهود بالشعوب كلها كلاسامية ، واثارة الشكوك ، وتسعير الكراهية ازاء غير اليهود ، عندما يكون ذلك ممكنا ، والارغام على الامتثال لارادة « الانبياء » الكذبة (أى الصهاينة) هذه هى الأهداف التى صيغ لأجلها هذا المفهوم المعيب والمزيف تماما . ومع ذلك فان مفهوم « اللاسامية الأزلية » كان شاملا لدرجة أن أخذ يستغله جميع الذين يرمون الى عزل العمال اليهود لهذا الغرض أو ذاك .

وقد كتب لينين فى رده على محاولة البونديين اتهام البروليتاريا الروسية باللاسامية فاضحا هذا الاختلاق المغالى فى الرجعية :

« لو أن البونديين فكروا قليلا ، فى هذه القضية ، بدلا من غضبهم الطائش والمضحك ضد لجنة ايكاترينوسلافل، واستشهدوا ولو بكراس كاوتسكى الذى اصدره ، والمكتوب بلغتهم الرطينة حول الثورة الاجتماعية لادركوا العلاقة الاكيدة بين اللاسامية، ومصالح الفئات البورجوازية من السكان ، بالذات لا العمال . ولو زادوا امعانا فى التفكير قليلا لادركوا أيضا أن الطابع الاجتماعى للاسامية المعاصرة لا يتغير من واقع اشتراك ليس فقط عشرات بل مئات من العمال غير المنظمين وتسعة اعشار العمال الجاهلين تماما ، فى هذه أو تلك من المذابح .

لقد وقفت لجنة ايكاترينوسلافل (وكانت وقفتها مشروعة) ضد حكايات الصهاينة حول اللاسامية الأزلية ، اما البوند بتعديله الساخط ، فقد شوش المسألة وحسب ، وزرع فى أوساط العمال اليهود أفكارا تؤدى الى كبح وعيهم الطبقى » (٢٩) .

لقد أولى الصهاينة دائما أهمية من الدرجة الاولى لادخال فكرة

« ازلية اللاسامية » فى وعى العمال اليهود . ان يهوه العجوز ورسوله الذى لم يظهر أبدا لم يستطيعا بشكل تام أن يبررا فى العصر الجديد الامال المعلقة عليهما (وكما رأينا ، فقد تحدث الزعماء الصهاينة بالذات عن ذلك) . ولذلك أصبحت اللاسامية واضطهاد اليهود الرب الحقيقى والامل الواقعى بالنجاح ، ورهانا عمليا لحياة الصهيونية ، بالنسبة لزعمائها .

ولقد سبق لتيودور هرزل أن قال متأملا قبل أن تظهر بعد الى الوجود المنظمة الصهيونية العالمية ، والاتحاد الاستعمارى اليهودى : « ان توسيع الحركة لا يكاد يتطلب الان بذل جهود كبيرة . ذلك أن اللاساميين يقومون بذلك عوضا عنا » (٣٠) .

وردا على سؤال عما يدفع اليهود « للنزوح من بلدانهم وتأسيس الدولة اليهودية » ، أجاب هرزل فى كلمته أمام اللجنة الملكية البريطانية عام ١٩٠٢ ، بصورة قاطعة « أنهم اللاساميون » (٣١) .

وليس منطق تفكير الصهاينة وحده يؤدى الى فكرة أنهم نظروا الى اللاسامية كخير . فقد صرح الزعماء الصهاينة أنفسهم بشكل سافر بأن اللاسامية مفيدة ، وهم بهذا الشكل يمدون اليد الى اللاساميين لعقد تحالف لم ينتهك قط خلال كل تاريخ وجود الاتحاد العالمى الصهيونى .

وكتب ت. هرزل فى يومياته : « أصبحت فى باريس أنظر بشكل أوسع الى اللاسامية التى بدأت أفهمها الان تاريخيا ، واعذرها . وأكثر من ذلك اعترف بغطرسة وعدم فائدة النضال ضد اللاسامية .. وزيادة على ذلك تلحق اللاسامية باليهود أذى عندما تصبح قوة جبارة ، أكثر منها قوة شبه واعية . واعتبر حركتها مفيدة لتطوير الفردية اليهودية » (٣٢) .

ان هرزل الذى لم يسلم حتى فى المنام بامكانية انتصار الاشتراكية فى أى مكان من الكرة الارضية كتب علنا عن فائدة وازلية اللاسامية دون أن يعرف كم سيتكلف فيما بعد (بعد ثورة اكتوبر في روسيا ، وخاصة فى عصرنا) جهاز الدعاية الصهيونية من أعمال وجهود ، محاولات جعل « بط » الصهيونية الميت منذ الولادة كـ « رد جماهير العمال اليهود على اللاسامية والمذابح » ، يطير .

بيد أن المناداة بأن اليهود هم « أمة يهودية عالمية » « مختارة من الله » ، « لا يدرك كنهها » ، « مثيرة للرعب » وتصوير جميع الشعوب التى يعيش اليهود بينها باللاسامية كانا غير كافيين بالنسبة لخالقي جدران محاجر روحية جديدة . ويقوم الصهاينة ببناء حصن آخر ، ويصوغون فكرة عن « نقاوة » جنس اليهود ، ويسعون تدريجا الى غرسها فى أذهان سامعيهم .

وقد حاول ل. بينسكر أيضا أن يروج فكرة « نبل » الجنس اليهودى فكتب انه « ينبغى على اليهود ، شأن الزنوج ، وشأن النساء ، أن يكونوا متحررين أيضا . وسيكون أسوأ بالنسبة اليهم اذا كانوا بعكس الزنوج يمتون الى الجنس النبيل .. » (٣٣) .

« .. لا توجد أجناس نقية نقاوة مطلقة ، ولكن اليهود نسبيا هم بدون ادنى ريب انقى عرق بين جميع امم العالم المتمدنة ..» (٣٤)

وقد أشار لينين الى أن « ليس الميزات القومية وحتى العرقية لليهود فقط تدحضها الدراسات العلمية الحديثة .. » (٣٥) . الا أن الصهاينة تجاهلوا عمدا وبعناد ، وكتموا أو شوهوا كل ما من شأنه أن يحول دون نشاطهم المتضعضع . وكانوا يعرفون كاناس متعلمين ، ان سلاحهم هو الاعتماد على الجهالة « الكنيس » والرهان على الخوف («أزلية » اللاسامية) ، والدعوة الى الطموح الشوفينى (الانتماء الى « انقى عرق بين جميع أمم العالم المتمدنة ») .

لقد انشأت البورجوازية اليهودية الايديولوجية الصهيونية عمدا كمصدر للمشاعر الخسيسة ، وللغرائز الخسيسة : « أن اليهودى يملك مراسا أشد وامكانات كبيرة بالمقارنة مع الاوروبى المتوسط ، فضلا عن جميع هؤلاء الاسيويين أو الأفريقيين الخاملين .. » (٣٦) وقد أدلى م. نورداو بهذا التصريح العلنى فى عام ١٨٩٧ .

« .. بوسعنا أن نعتز بمثل هذه الصفات التى لاتتمتع بها بالقدر ذاته أية أمة فى العالم » (٣٧) .

هذا تصريح صهيونى من طراز عام ١٨٩٩ . ونود أن نشير الى أن الايديولوجيين النازيين قد صاغوا مايشبه ذلك فقط فى أوائل الثلاثينات من القرن العشرين .

وكان على « الجنس الانقى » الذى « خلقه الله » و « الأمة

اليهودية العالمية الخاصة » المعرضة لـ « اللاسامية الازلية » أن تسمع الـكثير من أفواه الزعماء الصهاينة . قال تيودور هرزل : « عبثا كنا أمناء ، وفى بعض الأحيان كنا وطنيين متحمسين للغاية ، وعبثا قدمنا تلك التضحيات بالدم والممتلـكات كمواطنينا ، وعبثـا نحاول تضخيم مجد أوطاننا فى العلوم والفنون ، ومضاعفة ثرواتها بالتجارة والمبادلات » (٣٨) .

ويقترح هرزل بشكل واضــح تماما ، فى عبارات دقيقة على المواطنين من أصل يهودى فى مختلف بلدان العالم أن يطرحوا جانبا الوطنيةوان يعملواباسم أهداف الصهيونية طبقالموضوعةاللاساميين القائلة بأن اليهود فى كل دولة هم « عنصر دخيل » .

وقد اثار مثل هذا الموقف بصراحته المفــرطة بعض القلق بين أتباع هرزل وأضرابه . فصاغ ناحوم سوكولوف بسرعة موضوعة عن « الوطنية الازدواجية لليهود » فكتب : « نحن اليهود ، مواطنو الدول التى نعيش فيها . فمصالحالبلدان التى نشكل جزءامنهاهى فى الوقت نفسه مصالحنـــا . ولا يوجــد لدينـــا أبدا ما يتناقض ومصالح بلدنا » . (هــذا ، فى الحقيقـــة ، من جانب ، ومن جانب آخر ..) « .. لاتشكل الفكرة الوطنية اليهودية تقليدا تاريخيا وحسب ، انها برنامج للاستهلاك الخـــارجى والداخلى . فهى فى الخارج تتجلى فى النضال القوى من أجل البقاء ، وفى الداخل ــ فى اتحاد يهود جميع البلدان ، بغض النظر عن مستوى الثقافة أو الانتماء الحزبى ، فى النضال حول جميع القضايا المتعلقة باليهــود واليهودية » (٣٩) .

الا أن حاييم وايزمن ، مكمل هرزل فضــل ، بتجاهله موضوعة ن. سوكولوف حول الازدواجية ، أن لايدع أى مجال للشك حول موقف الصهاينة من المســألة الراهنة . فكتب متذكرا حديثــه مع اللورد الانجليزى بلفور الذى تباحث معه حول شكوى أرملة المؤلف الموسيقى فاغنر بأن « اليهــود فى ألمانيا قد اســتولوا على المسرح والصحافة والتجارة والمؤسسات التعليمية العليا » : « كان بوسعى أن أوافق السيدة فاغنر بصدد الواقع فى حد ذاته ، ولكنى تمسكت بالرأى المعاكس بصدد الاستنتاجات .. ان جوهر المأساة اليهودية يتلخص فى أن اليهود الذين أعطوا قواهم وعقلهم للألمان ، قد أغنوا بهذا الشكل الألمان انفسهم ، وليس اليهود » (٤٠) .

وتجدر الاشارة الى ان وايزمن قد ترأس المنظمة الصهيونية فى سنوات اتصالاتها الوثيقة مع النازيين ، وفيما بعد سخر فى مذكراته من اليهود الذين بالرغم من انفلات النازية فى المانيا ظلوا يعتبرون هذا البلد وطنا لهم .

ان جميع المهندسين المعماريين اليهود للجدران الجديدة للمحجر الروحى قد أشاروا بهذا الشكل أو ذاك الى ان المواطنين من أصل يهودى فى مختلف البلدان موجودون « فى المنفى » .. وان تحررهم مستحيل ، وأن مساواتهم فى الحقوق مع الشعوب الأخرى لا يمكن تحقيقها .

وقد زعم موزيس هيس فى كتابه « روما وأورشليم » أن « تحرر اليهود بين الشعوب الأخرى غير واقعى » وقال بينسكر « اليهودى هو عنصر منعزل .. واليهود يشكلون بين الشعوب التى يعيشون معها عنصرا دخيلا .. » (٤١) .

ويعلن الصهاينة بصوت واحد أن « القضية اليهودية لا يمكن حلها فى بلدان المنفى » . وأشار ل. سيمون ، أحد النظريين الصهاينة بحزن الى أنه « حتى فى انجلترا حيث اللاسامية غير معروفة عمليا ، توجد على كل خال قضية يهودية لأن معابد اليهود تشفر ، والجيل الجديد لا يبدو أبدا يهوديا كما كان أهله ، ويبدو جنوح الى الاندماج والى الزواج المختلط » (أ) (٤٢) .

فما هو المخرج الذى اقترحه الصهاينة على الانسان المضلل من قبلهم ، والذى آمن بهم ؟ هل هو الانعتاق الاجتماعى ؟ أم النضال المشترك مع الشعوب الأخرى من أجل خلق مجتمع عدل ومساواة ؟ انه من الصعب انتظار مثل هذه التوصيات من أنصار « نقاوة الجنس » ، وبشكل رئيسى من المشتركين فى الاتحاد الاستعمارى اليهودى .

لقد سبق أن كتب هرزل فى رسالة منه الى البارون دى هيرش فى حزيران ١٨٩٥ : « لن أقبل أبدا بأية قرارات تافهة على غرار العشرين الفا من أرجنتينيكم أو **باعتناق اليهود الاشتراكية** » (٤٣) .

وكما كتب ف. ا. لينين ، فان الصهيونى رقم واحد بما يتصف به من تعنت (الذى أصبح الآن موضوعا لاهتمامات كبيرة من جانب مكمليه) قد كشف أهداف « جميع القوى الرجعية فى أوروبا » .

فقد كتب هرزل ان « شبيبتنا كلها - وكل من يتراوح عمره بين العشرين والثلاثين سنة سيتخلون عن اتجاهاتهم الاشتراكية الغامضة ، وينضمون الى » (٤٤) .

ان دائرة آراء الصهاينة حسب قوانين المنطق كان يجب أن تقفل هكذا بالضبط : صوفية اليهودية ، ونشر العداء ازاء الجميع وكل شيء ، والدعوة الى التخلي عن الوطنية . والتغني ب « نقاوة الجنس »و« الاستثنائية » ، والمعاداة للأممية ، والمعاداة للشيوعية .

✠ ✠ ✠

ما هو المخرج الذي اقترحه الصهاينة على « الأمة اليهودية العالمية » التي أعلنوا عنها (وكذلك أعلن عنها اللاساميون) ؟ فهل اقترحوا انشاء « الدولة اليهودية » أو بالأحرى دولة اسرائيل ؟ كلا .

ولنتذكر أيضا ، في معرض تذكرنا لمن تعود الأولوية في الواقع في طرح فكرة استعمار هذه المنطقة أو تلك من مناطق العالم ، باستخدام اليهود « كقوة حية » ، ان الصهيونية قد تكونت تنظيميا كمنظمة صهيونية عالمية واتحاد استعماري يهودي ، أي كمؤسسة راسمالية . وكان هدفها السياسي الرئيسي (مع كل ما ينجم عن ذلك من عواقب : مواجهة الشعوب الأخرى بمحاولات شق الحركة الثورية ، وبانشاء قاعدة لنشاط شبكة عملاء الامبريالية ، الخ) عزل اليهود واقامة الاشراف عليهم بغية الاثراء عن طريق الاستعمار (لأنه سريعا ما تشكل التروست الاستعماري اليهودي) ، ومسألة العزل بالذات على حد سواء . وكانت « جميع القوى الرجعية في أوروبا ، وبنوع خاص في روسيا » ذات مصلحة في عزل اليهود لا تقل عن الصهاينة .

لقد كان الصهاينة يعتبرون دائما « الدولة اليهودية » كوسيلة فقط لبلوغ أهدافهم الرئيسية . وليس ذلك مطلقا عن طريق حشد اليهود جميعا أو أكثرية اليهود في هذه الدولة اذ أن القضية ستفقد حينذاك معناها الذي وضعه الصهاينة وحماتهم الذين كانوا يعتمدون على انشاء احتياطي من مخربي الحركة الثورية وشبكة عملاء امبريالية أخرى . وكانت القضية تتعلق بانشاء « مركز » يمكن عن

طريقه التأثير على « الأطراف » . **ولذلك فان المسألة الحسية حول مكان انشاء مثل هذا المركز حتى قيام الاحداث الثورية فى روسيا ،** لم تكن ذات أهمية مبدئية بالنسبة للأكثرية الساحقة من الصهاينة.

فلنوضح الخطط فيما يتعلق بـ « المركز » و « الأطراف » .

كان ل. بينسكر يعتقد أن هجرة اليهود الى « المركز اليهودى الوطنى » يجب أن تكون محدودة : « ان عدد اليهود فى كل بلد يجب أن ينخفض فقط فى الحدود التى تفرضها الظروف الاقتصادية للسكان الأصليين » . وأعلن أنه « لا يجوز حتى مجرد التفكير بالهجرة العامة للشعب » (٤٥) .

وأشار أحد هاعآم الى أن « الدولة اليهودية » ضرورية كعامل معنوى فقط . وزعم « أن « أنا » نا القومية بحاجة الى مركز روحى وثقافى سيكون حلقة وصل بين جميع الاسباط المشتتة لشعبنا وسيحفزها عن طريق التأثير الروحى نحو حياة قومية جديدة » . وبالاضافة الى ذلك أعتقد انه لا داعى للسرعة بشكل عام لانشاء دولة ، وانه من الضرورى فقط انشاء مركز للتأثير الفكرى . وكتب « ان روح اليهودية ستنتشر من هذا المركز فى جميع التخوم الشاسعة وتبلغ جميع الاسباط ، وتبث فيها قوة جديدة ، وتوطد وحدتها » (٤٦) .

وبهذا الصدد أشار ناحوم سوكولوف قائلا : « ان الصهيونية لا تجادل مع خصومها الا لأجل الاعتراف بالطابع القومى لليهود اذ أنهم يشكلون وحدة عرقية وتاريخية وثقافية وكذلك نظرا لهدفهم المشترك لبعث حياة قومية كاملة فى وطن آبائهم » (٤٧) .

ان محاولات اسدال النقاب واخفاء الدور الثانوى لفكرة تأسيس « الدولة اليهودية » حتى يومنا هذا تؤدى الى تصريحات تقول ان « الواضع » الرئيسى للمذهب حول « الدولة اليهودية » ، هرزل ، لم يتكلم قط عما يلمح اليه بينسكر واحد هاعآم بشكل واضح كفاية. فلقد دعا هرزل ، الذى « نسق » آمال جميع اليهود ، على حد الزعم ، الى « الهجرة التامة لليهود من بلدان المنفى » واستيطانهم فى مركز واحد .

الا أن هذا ايضا لا ينطبق على الحقيقة . ذلك أن هرزل حاول فى الواقع ، فى خطبه العامة أن يلعب دور موسى التوراة الذى

دعا الى « الخروج الجماعى من مصر » . الا انه أشـــار مباشرة فى يومياته الى أن خططه لا تؤدى « الى أكثر من تسوية القضية اليهودية وليس الى هجرة اليهود جميعا .. » (٤٨) .

وبصدد الطابع الثانوى الاداتى لفكرة « الدولة اليهودية » فان المسألة المتعلقة بمكان انشاء « مركز التأثير » ، وكرر ذلك، لم تكن ذات أهمية كبيرة من وجهة نظر الصهاينة . فقد كتب ل. بينسـكر انه « ينبغى أن لا نستقر هناك بالضبط حيث حياتنا فى نطاق دولة قد تحطمت وأزيلت فى زمن ما .. فنحن لسنا بحاجة الى أى شيء سوى منطقة من الأراضى تصبح ملكا لنـا .. وسننقل الى هنـاك أقدس الأقداس الذى أنقذ لدى انهيار وطننا القديم ، أى فكرة الله والكتاب المقدس اللذين حولا ، وحدهما ، وطننا الى أرض مقدسة ، وليس نهر الأردن وأورشليم » (٤٩) .

« اذا وافقت الدول الكبرى على اعطاء الشعب اليهودى الحـق فى السيادة فى بلد حيادى ، فان الجمعيـة (المنظمة الصـهيونية العالمية ــ ى. ا.) ستباشر فى المحـادثات حول البـلد الذى سيقع عليه الاختيار » (٥٠) .

وقد وقفت الدول الامبريالية الكبرى ذات المصلحة فى استعمار هذا أو ذاك من رؤوس الجسور الحسـية موقفـا أكثر جدية ، ازاء هذا الموضوع .

وفى بداية القرن الماضى كانت أوساط معينة من البورجوازية الانجليزية مهتمـة باسـتعمار أوغنـدا بشكل أقوى ، وكانت تضم قسما من كينيا الحـالية (« الهضاب البيضاء ») ومن جديد لم يتكلم احد ، مثل هرزل ، بهذا الصدد ، حين خطب فى المؤتمر العالمى السادس للصهاينة اذ قال : « .. انى لا أشك فى أن المؤتمر ، كممثل للجماهير اليهودية ، سيوافق على هذا الاقتراح الجديد بامتنـان حار . أن الاقتراح ينص على اقامة مستعمرة يهـودية ذات حكم ذاتى فى أفريقيا **الشرقية** ، يديراليهود شؤونها ، ولها حكومة يهودية محلية على رأسها حاكم أعلى يهـودى ، وكل ذلك ، بالطبـع تحت الاشراف البريطانى » (٥١) .

وبصدد القضية المتعلقة باختيار مكان لـ « الدولة اليهودية » كتب ح. وايزمن بأنه برزت صيغ ، منها ما هى ذات مناخ بارد جدا

ومنها ذات مناخ حار جدا . وكان الأمر يتعلق بالأراضى التى يمكن احياؤها فقط بعد عشرات السنين من العمل بتكاليف غير معقولة (٥٢) . وبكلمة أخرى ، لم تكن المشاريع ، من وجهة نظر رجال الأعمال ، ذات ريع .

وتجدر الاشارة الى أنه كانت فى قيادة الاتحاد الصهيونى فئات تمثل مصالح مختلف الدول الامبريالية الكبرى . وعلى سبيل المثال كان الزعيم الصهيونى الدكتور نوسيغ يدافع عن مصالح الامبريالية الالمانية التى كانت تجهد بجميع الوسائل لتحقيق نفوذ لها فى الامبراطورية العثمانية . وقد كتب أحد الزعماء السياسيين فى اسرائيل هو الدكتور م . سنيه : أن نوسيغ أسس بمساعدة غليوم الثانى شركة استعمارية مستقلة لاسكان اليهود فى أراضى الامبراطورية العثمانية خارج فلسطين (٥٣) .

وفى نهاية الأمر حلت نهائيا مسألة اين ينبغى تأسيس « الدولة اليهودية » ، تحت تأثير عاملين ، بشكل رئيسى . كان العامل الأول هو الصراع (ونتائجه) بين مختلف فئات الزعماء الصهاينة الذين كانوا يمثلون مصالح الامبرياليين الانجليز والألمان والفرنسيين .

وكان هذا الصراع ، حتى حول مسائل كان يخيل أنها ثانوية ، حادا لدرجة يشهد عليها ح. وايزمن .

قبيل الحرب العالمية الأولى انشأ فيسوتسكى « ملك الشاى » فى روسيا ، مدرسة مهنية فى مدينة جيفا (فلسطين) لتعليم الشبيبة اليهودية . وعقب انتهاء أعمال البناء برز سؤال وهو نفوذ من سيكون المسيطر فى هذه المدرسة المهنية التى بنيت بأموال الممول الروسى الكبير ــ أنفوذ الانجليزى أم الألمان (وطبقا لذلك برز سؤال حول لغة التعليم) . كتب وايزمن « لكى نفهم أهمية هذا الصراع ، ينبغى أن نتذكر أن ذلك كان أيام « الاستسلام » على الأراضى التركية . فكل مؤسسة غير تركية فى الامبراطورية التركية المتفسخة والتى أصابها الانحلال ، وضعت نفسها تحت اشراف الدول الأوربية الكبرى المتصارعة على النفوذ والمكانة فى الممتلكات التركية . وقد استخدم اليهود (بشكل خاص) فى هذه المكائدالكبيرة ككلابات قرصنة .. كانت هناك منظومة مدارس يهودية تحتاشراف « التحالف الاسرائيلى العالمى » (باريس) وطبعا كانت اللغة هناك ،

الفرنسية . واعتمد الألمان على « تحالف اليهود الالمان » الذى كان يملك منظومة من المدارس التى تساعد المكائد الالمانية فى الشرق الأدنى . وكان التدريس فى هذه المدارس يجرى باللغة الالمانية وكانت انجلترا (وهنا ينعكس اهتمام وايزمن الشخصى ، الذى ربط حياته بشكل وثيق بالامبريالية البريطانية كارتباط نوسيغ بالامبريالية الالمانية ــ ى.ا.) متخلفة فى هذه المنافسة العامة .. » وأشار ح. وايزمن فيما بعد الى أن مدرسة فيسوتسكى المهنية وضعت تحت حماية الدكتور تسيمرمان ــ « اليهودى الامبراطورى » (هكذا كان الصهاينة ذوو الاتجاه الانجليزى يسمون اليهود الالمان) ، وتقرر ان نكون اللغة الألمانية لغة التدريس ، وأما هو نفسه ، أى وايزمن ، فقد « مثل الاقلية بصوت واحد عند التصويت » (٥٤) .

وفى الصراع بين الزعماء الصهاينة الذين كانوا يعكسون مصالح مختلف الدول الامبريالية الكبرى انتصرت فى نهاية الأمر الجماعة الموالية لانجلترا وعلى رأسها وايزمن . وقد حدث ذلك عندما برزت فى الاوساط الحاكمة البريطانية بالذات فئة كانت فلسطين تشكل بالنسبة لها الهدف الأقدم (*) .

(*) فى السنوات الاولى من القرن العشرين اصرت اوساط معينة من الامبريالية البريطانية ، كما أشير الى ذلك ، على استعمار اوغاندا وقد أيدتها الصهاينة الموالون لانجلترا تأييدا كليا .

وبهذا الصدد فقد شق زانغويل ، وهو زعيم صهيونى موال لانجلترا ، بعد قرار المؤتمر العالمى السابع للصهاينة (١٩١٥) لصالح فلسطين ، المنظمة الصهيونية العالمية وشكل منظمة معارضة لها بغية تحقيق الاقتراح الافريقى الشرقى او تأسيس اتحاد يهودى ذى حكم ذاتى .

وبعد تعديل الاتجاه داخل الاوساط الحاكمة فى انجلترا ، التى ايدت استعمار فلسطين ، أعلن زانغويل بالذات : « ان المنظمة الاقليمية اليهودية (المنظمة التى شكلها بعد الانشقاق) لايمكن أن تقف ضد اى مشروع عملى ، والا كان ذلك ليس خيانة للشعب اليهودى وحسب ، بل وخيانة لبرنامجنا الخاص

وتوقف الانشقاق فى صفوف الصهاينة .

بيد أنه كان هناك عامل آخر ، سبب آخر ، رجح كفة الميـزان لصالح « أرض كنعان » بالذات .

كتب ف. ا. لينين فى يونيـو عام ١٩٠٥ : « ان الانتفـاضة والمعركة المسلحة خلف المتاريس فى لودزى ، والمعركة فى ايفانوفو ـ فوزنيسنسك ، والاضرابات العامة ، واطلاق النار على العمـال فى فرصوفيا وأوديسا ، ـ النهاية المشينة للمهزلة لوفد الزيمستفو (ادارات محلية وريفية منتخبة من قبل النبلاء وأوسـاط الأثرياء فى روسيا القيصرية ـ هيئـة التعريب) ، هـذه هى الاحـداث السياسية الرئيسية فى الأسبوع المنصرم ..

ان البروليتاريا هى فى غليان مستمر وخاصة بعد التاسع من يناير ، دون أن تعطى للعدو دقيقة واحدة للراحة ، مناضلة فى الغالب بشكل اضرابات ، متحاشيـة الاصطـدامات المبـاشرة مع القـوات المسلحة القيصرية ، ومجمعة قواها من أجـل المعركة الكبيرة ، الحاسمة » (٥٥) .

وفى المانيـا ، وأوروبا الشرقية حيث كانت متمركزة الاكثرية الساحقة لأكثر من ٨ر٥ ملايين يهودى من سكان أوروبا نمت قوى الثورة بشكل عارم . وكانت البروليتاريا المتعـددة القوميات فى روسيا القيصرية ، كما كتب ف.ا. لينين ، تستعد « للمعركةالكبيرة الحاسمة » . وخلف المتـاريس فى لودزى كان العمـال اليهـود يناضلون جنبا الى جنب مع العمال البولونيين . وخـلافا لمواقف قيادة البوند ، الانفصالية ، القومية ، كان العمـال اليهود يتجهون أكثر فأكثر نحو حزب العمال الاشتراكى الديمقراطى الروسى بقيادة لينين ، ويناضلون بشكل أوسع مع العمـال الروس والاوكرانيين والبيلوروسيين والبولونيين . ومن المعروف جيدا ، أيضا ، أن القوى الرجعية فى أوروبا الشرقية ، وخاصة فى روسيا القيصرية ، قد عولت ، فى الـكفاح ضد حركة الجماهير ، الثورية ، على تسـعير الشقاق القومى ، واستثارت الصدامات بين العمـال من مختلف القوميات . وكانت المذابح اليهودية احدى وسائل نشاط الرجعيـة هذا ، المعادى للثورة .

وفى مثل هذا الوضع يستنتج الزعماء الصهاينة وأنصارهم أن الصيغة الفلسطينية بالنسبة اليهم أكثر تعقـلا من وجهـة نظـر

جاذبية فلسطين ، الدينية الرمزية . وكانوا ، شأن الحاخام س. موجيليفر الذى جاء على ذكره ناحوم سوكولوف ، يعتقدون أن « استعمار فلسطين كان قد أوصى به كالتزام دينى ، ولذلك يجب أن يكون الدين العامل الرئيسى .. » (٥٦) بيد أنهم كانوا يدركون اهمية هذا العامل بشكل خاص نوعا ما . وكان على لاسامية الثورة المضادة ، التى ، حسب قول هرزل « تسهم فى تعزيز الشخصية اليهودية » ، أن تطرد ، حسب حساباتهم ، قسما معينا من السكان اليهود من أوروبا الشرقية . وأمل الصهاينة ، الذين اتكلوا للغاية على الثورة المضادة ، باستخدامهم رمز فلسطين الدينى أن يوجهوا سيل ضحايا المذابح الى منطقة قناة السويس بالضبط .

بيد أن الآمال الكبيرة لرؤساء الاتحاد الاستعمارى اليهودى لم تتحقق الا بمقدار صغير . وقد ذهبت أدراج الرياح المبالغ الطائلة التى انفقوها على الدعاية للنزوح الى فلسطين .

وقد اندفع سيل اللاجئين ، ضحايا الثورة المضادة الى أميركا ، وليس الى الشرق الادنى . وفى عام ١٨٩٧ كان عدد اليهود فى اميركا ٩٨٦ الف شخص ، وحتى أواسط العشرينات من القرن العشرين بلغ عددهم ٤ر٥ ملايين شخص . فى حين أن عددهم فى آسيا فى المدة نفسها قد ازداد من ٤٠٠ ألف الى ٦٠٠ ألف شخص فقط .

فما هى اللوحة التى رسمها الصهاينة للعمال اليهود لـ « الدولة اليهودية » المفروضة ؟ أعلن ت . هرزل : «... «هناك» ينبغى تدبير كل شىء ، حسب الامكان ، مثلما هنا » . ولم يكن عازما على اشاعة الوهم بصدد طبيعة الدولة المعدة فى المشاريع الصهيونية للجماهير اليهودية . وزعم هرزل انه « سيكون بوسع اليهود الأغنياء المضطرين الآن لاخفاء كنوزهم ، ولاقامة الولائم خلف الستائر المسدلة ، أن يتمتعوا هناك بالحياة ، بحرية » (٥٧) .

ولم يدع ل. بينسكر أيضا أى مجال للشك فى هذا الصدد : « يجب أن تعود المبادرة فى قضية الانبعاث القومى الى مؤتمر المواطنين اليهود الاكثر احتراما ... ودقق — .. انافضل قواناهم الماليون ، والعلماء والناس ذوو النشاط العملى .. » وأشار بينسكر كذلك الى أن « هذه الادارة وحدها مع الرأسماليين ،

كمؤسسين للشركة المساهمة التى ستنشأ بالتالى ، ينبغى أن تشترى قطع الأرض .. » .

✠✠✠

ان من أكثر الخصائص البارزة للتراث النظرى الصهيونى هى مرونته المستخدمة بشكل واسع من قبل الزعماء الصهاينة الحاليين أيضا .

وبالنسبة اليهم كان لقضيتى بسط الاشراف على اليهود والاثراء عن اى سبيل أهمية مبدئية . وهذه ، اذا صح القول عناصر ثابتة لمفهومهم . أما فيما يتعلق بالمبادىء الفكرية أو المعنوية ـ الاخلاقية فان موقف الزعماء الصهاينة فى القضية الراهنة قد أدى عمليا ويؤدى الى أن يؤمنوا لأنفسهم الحياة فى كل حال ، بمختلف « المبادىء » التى يمكن استخدامها عند الظروف المتقلبة على افضل وجه . « أقصى الوقاحة وأدنى المنطق » ـ هذا الوصف الذى أطلقه ف. ا. لينين على مسلك البوند ، ينطبق أكثر على الصهاينة أيضا .

نحن نقرأ لدى بينسكر : « أن المخرج الوحيد الصحيح والحقيقى هو فى تكوين الأمة اليهودية ـ الشعب الذى يعيش على أراضيه الخاصة به ، أى التحرر الذاتى لليهود ، تحررهم كأمة بين الامم عن طريق تشكيل وطن قومى هو ملكهم » (٥٨)

وأشار أحد هاعام الى أنه « بعد أن تتقوى روح اليهودية فى المركز القومى سيظهر ـ فى البلاد ـ اناس قادرون ، فى ظروف ملائمة ، على تأسيس دولة .. » .

وكرس ت. هرزل « جد الصهيونية » كتابا كاملا هو « الدولة اليهودية » لكى يبرهن على ضرورة تأسيس دولة كوسيلة وحيدة لحل جميع قضايا « الأمة اليهودية العالمية » .

وفى الوقت نفسه أعلن ناحوم سوكولوف بشكل قاطع : « لقد أكد اللاساميون ويؤكدون الى يومنا هذا بعناد أخرق أن هدف الصهيونية هو انشاء « دولة يهودية » مستقلة . ان هذا كذب تام. فالدولة اليهودية لم تكن أبدا هدف البرنامج الصهيونى » . (✱)

(✱) ن. سوكولوف « تاريخ الصهيونية » المجلد ١ . ص٢٤ ـ ٢٥ .

لقد انطلق هس وبينسكر وهرزل ووايزمن ، كما سبق ان بينا، من مفهوم « ازلية اللاسامية » ، ومن واقع — كما اشار وايزمن — ان « السبب الرئيسي للاسامية .. يقوم فى أن اليهودى موجود ».

وفى الوقت نفسه (عند زوال اللاسامية ، لا سمح الله) يصاغ موقف آخر : كتب أحد هاعآم ، مناقشا بصدد « الفرق فى جوهر المسألة اليهودية » فى أوروبا الشرقية والغربية ، ان المسألة اليهودية فى أوروبا الشرقية هى « وليدة اللاسامية ، وان وجودها مرتبط بهذه الأخيرة ، والمسألة اليهودية فى أوربا الغربية هى نتاج خطة قومية صرف ، ونتيجة الصلة الحقيقية لليهود بثقافة يعود تاريخها لألف سنة خلت . وستبقى هذه الصلة قوية كالسابق حتى لو زالت جميع نكبات اليهود فى العالم أجمع ، **ومن ضمنها اللاسامية** (التشديد منى — ى٠١) حتى لو اخذ اليهود فى كل البلدان مناصب ملائمة، واقاموا أكثر العلاقات الودية مع جيرانهم واشتركوا معهم على قدم المساواة التامة فى جميع ميادين النشاط السياسى والاجتماعى » (٥٩) .

لقد سبق أن أشير الى انه بالاضافة الى المطلب بترك كل تعلق بأوطانهم ، وطرح الوطنية جانبا صاغ الصهاينة مفهوم « الوطنية المزدوجة » . وزعم بعضهم أن اليهود هم « أمة عالمية » خلافا لرأى المحيطين بهم هم « أمة عالمية » . الخ «لتفريق الحجارة وقت ولجمع الحجارة وقت . للمعانقة وقت وللانفصال عن المعانقة وقت ، للحب وقت وللبغضاء وقت » (*) . وانطلاقا من منطق الكتاب المقدس هذا يصوغ ايديولوجيو الصهيونية عمدا سلسلة كاملة من المفاهيم المتناقضة لكي يتمكنوا فى أى ظرف كان من « الاحتفاظ بمظهر جيد فى لعبة رديئة » .

ان نشوء الايديولوجية الصهيونية سجل بدء ازمتها فى الوقت نفسه . فافلاس هذه الايديولوجية قد حصل قبل وقت طويل من انشاء دولة اسرائيل ، التى يبين واقعها بشكل أجلى وادق فقر مطامع الصهاينة النظرية .

(*) سفر الجامعة ، الاصحاح الثالث .

لقد عكست الآراء الصهيونية امنية ورغبة البورجوازية اليهودية فقط، من أجل استعادة الاشراف الذى فقدته على الاسباط اليهودية المنهارة . وهذه الآراء لم تكن تنطلق من القوانين الموضوعية لتطور المجتمع الطبقى الذى كانت الاسباط اليهودية تشكل جزءا لا يتجزأ منه ، وانما من الرغبة الذاتية للقوى الرجعية فى الحيلولة دون اتحاد جماهير العمال اليهود مع عمال القوميات الأخرى . وبحكم هذا لم تستطع الايديولوجية الصهيونية الا تتحول ، مباشرة عند مصادرها ، الى عقيدة حاجة عملية . (*)

وسبق أن أشير كيف أن ت. هرزل ثار ضد مجرد التذكير **بالاشتراكية** . واعتبر مكمله نورداو الاشتراكية « علامة انحلال » بالاضافة الى « الهيغلية واللاسامية » (٦٠) بيد أن الاتحاد الصهيونى ، بعد مرور بضع سنوات فقط على نشوء المنظمة الصهيونية العالمية وفى معمعان تعديل وصايا الكتاب المقدس على نمط « عصرى » ، يبذل جهودا لكى يظهر أمام الجماهير اليهودية وبشكل خاص فى أوروبا الشرقية ، باللباس « الثورى » و « الاشتراكى » .

« ان الدولة اليهودية يجب أن تصبح ، اذا شكلت ، دولة اشتراكية . ويجب أن تنصهر الصهيونية بالاشتراكية من أجل أن تصبح مثالا للشعب اليهودى بأسره ـ للبروليتاريا ، والطبقة المتوسطة والمثقفين ، وبنفس القدر ، للمثاليين (المراد هنا «المثاليين ـ الرأسماليين » ى . ا .) ويمكن للصهيونية ، بعد انصهارها بالاشتراكية ، أن تصبح مرغوبة أكثر .. ان الحلم بمجىء المخلص الذى دغدغ كل يهودى يقطن خارج الدولة اليهودية ، يمكن أن يتحول الى عامل سياسى ملموس » (٦١) .

ان مثل هذا الشكل من الانعطاف المخالف للطبيعة وبالدرجة الأولى من وجهة نظر مؤسسى الصهيونية ، فرضته الآن الضرورة العملية . كتب م. ساشر واصفا سنوات بدء هذا القرن : « ان الاشتراكية الماركسية (ولا شىء هنا مثير للدهشة) كانت بسبب تركيب الاقتصاد اليهودى ، القوة الجاذبة للمشتركين فى حياة اليهود السياسية » (٦٢) .

(*) وصف قدمه ك . ماركس لليهودية بشكل عام .

وكتب موريس ادلمان ، واضع سيرة بن جوريون السياسية أن « الحركة الثورية فى عام ١٩٠٥ كانت حركة احتجاج ضد حرمان الجماهير الشعبية من حقوق الانسان الاولية . أن مبادىء هذه الحركة قد شملت اليهود أيضا » (٦٣) .

لقد كانت هذه اعترافات غير مباشرة بواقع حقيقى وجلى تماما وهو أن موجات الحركة الثورية ، التى ازدادت فى اوروبا الوسطى والشرقية ، قد جرت خلفها أوسع جماهير العمال اليهود تاركة وراءها الفلك الصهيونى جانحا بسكانه القليلى العدد . ان مثل هذه الظروف بالذات قد أرغمت الصهاينة على أن يشرعوا بسرعة بوضع« نظرية » « الاشتراكية » الصهيونية أو الصهيونية « الاشتراكية » واول من حاول القيام بذلك هو ناحوم سوكولوف السابق ذكره .

بدأ سوكولوف بتحليل طبقى لاتتصف به الصهيونية ، وبالاعتراف بدور العمال . وفى نفس الوقت طرح موضوعة يقسم العمال اليهود ، طبقا لها ، الى جماعتين : **الوطنيين** - اللامبالين الذين يعترفون فقط بالمصالح الطبقية ، **والوطنيين** الثابتين الذين « يحافظون على موقفهم الخاص بالرغم من تعاونهم مع العمال الآخرين فى النضال من أجل زيادة الاجور والتحسين العام لمستوى الحياة » (٦٤) .

وأشار سوكولوف بدعوة الصهاينة للترسخ فى أوساط العمال من « الفئة الثانية » والتغلغل عن طريقها فى الاولى الى انه « **اذا أصبح العمال صهاينة ، فانهم ، اذا صح القول ، سيشكلون قوة متينة وفعالة يمكن الاعتماد عليها فى كل لحظة » (٦٥)** .

واضاف بصفاقة تقليدية : « ان العمال اليهود هم حلفاء طبيعيون للصهيونية بيد انهم سيصبحون حقا حلفاء نشيطين فقط شرط تأسيس منظمة مستقلة (صهيونية) ، للعمال » (٦٦) . ومع اعترافه ولو بشكل غير مباشر بأن الصهيونية هىعنصر غريب بالنسبة للعمال ، أشار بشكل خاص الى ضرورة العمل الدائب العنيد بغية شق صفوف الطبقة العاملة . فكتب : « بالرغم من أن العمال اليهود يتحسسون العنصر الوطنى ، ليس مطلقا بسبب حبهم للصهيونية ، مع مرور الزمن فيمكن أن يصبحوا سريعى الادراك وطنيا بالمعنى الصهيونى ، وهذا الانتقال ممكن بشرط

الانتقال من التحسس الباطنى الى الادراك الواعى لوحدة المصالح ، الطبيعية » (٦٧) .

وبكلمة أخرى ، كان سوكولوف يؤكد أن « لا بد من تحريك الحجر ليجرى الماء من تحته » ، وكان يدعو الصهاينة الى بذل نشاط قوى جدا بغية تفكيك صفوف العمال اليهود من اجل عزلهم عن الجيش المشترك للعمال المناضلين فى سبيل عتقهم كطبقة . وأشار الى ان « اليهودية الصهيونية هى ايضا ليست غريبة عن مبادىء مثل هذا التطور .. » (٦٨) .

وكان بير بوروخوف نظريا آخر معروفا لـ « الاشتراكية » الصهيونية . وقد كتب أن « الانسانية تنقسم الى أمم وطبقات . وكانت الامم موجودة قبل أن تتجزأ الى طبقات . وتبقى الامم فى حين تتغير الطبقات .. وقد تعرضت الامم من وجهة نظر الثقافة لمختلف التأثيرات والتغيرات ، ولكنها بقيت فى أساسها كما كانت سابقا ... » (٦٩) ويؤدى بوروخوف بالقارىء تدريجا الى فكرة تقول ان اليهود ، بالرغم من أنهم مشتتون فى مختلف بلدان العالم ، يشكلون أمة واحدة .

الا ان حصان طروادة الصهيونية « الاشتراكية » ، كما يبدو ، لم يجر طويلا عبر السهوب . لقد أقفلت الحلقة .. « لقد بحثت الجماهير اليهودية كالاعمى ، طوال مئات السنين عن الطريق التى يمكن أن تعود بها الى الارض . وأخيرا وجدناها . الصهيونية هذه هى طريقنا الوحيدة » (٧٠) وسبق بوروخوف « الاشتراكى » اعتمادا على أحد هاعام استنتاجات المتصوف م . بوبر . « .. الامة منذ قديم الزمن ... »

زعم ب . بوروخوف أن « العمال ينظرون الى عمليات **استعمار** (التشديد منى — ى . ١٠) فلسطين ونمو البروليتاريا باعتبارهما مرتبطين الواحد بالآخر . ولا ينطلق الوعى الطبقى لعاملنا من المصالح الانسانية الضيقة ، الغريبة أو التى تتنافى ومصالح الامة كلها ككل » (٧١) . وبكلمة أخرى ، يوجد ، حسب بوروخوف عمال « نا » و « لا » عمال « نا » ، مع العلم أن « لا » عمال « نا » هم الانانيون الطبقيون ، وعمال « نا » هم الناس **الوديعو الاخلاق** الذين يجب أن يكون لديهم ، طالما أنهم يهود ، ادراك لوحدة المصالح مع أمثالهم من

اليهود ولكن .. الرأسماليين . ولنشر الى أن ب. بورخوف ليس مبتكرا مطلقا . فال « اشتراكى » بوروخوف يطلى بلون وردي الملكى هرزل الذى كتب : « لقد جعلوا منا فى المحجر طبقة متوسطة ما ، أصبحت فيما بعد مزاحما مخيفا لكل الطبقة المتوسطة . وبهذا الشكل وجدنا أنفسنا بعد الانعتاق في دائرة البورجوازية .. ولم تكن البورجوازية المسيحية ضد رمينا فريسة للاشتراكية الا أن ذلك ماكان ليساعدها كثيرا .. وفى الحقيقة لا يمكن اتخاذ أى شيء ملموس ضدنا . ففى الماضى ، انتزعوا من اليهود مصاغهم ، والآن بأى شكل يمكن انتزاع أموالهم المنقولة حين تكون معبرة عنها على قصاصات الورق المحتفظ بها فى مكان ما ، وربما حتى فى الخزائن المسيحية .. ونحن نتحول ، اذ نفلس ، الى بروليتاريين ثوريين ، ممونين جميع الاحزاب الثورية بضباط صف فى الوقت الذى تزداد فيه **قوتنا النقدية** .. نحن نشكل جماعة تاريخية يسهل معرفتها بسبب تلاحمها .. » (٧٢)

كلا ، ليس من قبيل المصادفة أن « جميع القوى الرجعية فى اوروبا ، وبنوع خاص فى روسيا ومن بينها جميع المشتركين فى الحفلة التنكرية الصهيونية ــ من « الصهاينة التلموديين » حتى الصهيونيين ــ الاشتراكيين » ، ــ قد استهدفت بمثل هذا الاصرار عزل اليهود فى عصر أدت فيه المسألة بكل معنى الكلمة الى من سيقف الى هذا الجانب ، ومن سينتقل الى الجانب الآخر من المتاريس الثورية .

ومهما يحاول الصهاينة واضرابهم الفكريون أن يموهوا جوهر المسألة ، **فقد اصبحت المسألة** : هل سيتمكن الصهاينة والقوميون اليهود الآخرين (بتأثير اللاساميين) من تحويل العمال اليهود فى كل بلد ، حيث عاش اليهود ، الى عنصر « يعى اختلافه العنصرى وعزلته » ، الى احتياطى للبورجوازية ، وقاعدة لشبكة عملاء للامبريالية أو هل ستكون الحركة الثورية والتضامن الأممى الطبقى للعمال فى نضالهم ضد العدو المشترك ــ طبقة المستثمرين حجر عثرة فى طريق مثل هذه المحاولة . وبكلمة أخرى كانت القضية فى كل بلد معلقة على نتيجة تصارع قوى الثورة والثورة المضادة . ان الصهيونية وايديولوجيتها كانوا ولا يزالون يشكلون احدى القوى النشيطة المعادية للثورة .

وكان لابد أن يجد مؤسسو الاتحاد الاستعمارى اليهودى ، بصورة شرعية ، انفسهم محاطين بالمعادين للثورة• وأصبحت الثورة الاشتراكية التى كان هرزل ، الرئيس الأول للمنظمة الصهيونية العالمية ، والذى ندد بشكل مكشوف بالاشتراكية ، ينبذ دائما التفكير بها ، رمزا لفاجعة آتية بالنسبة لمكمليه ، الذين شهدوا أحداث عام ١٩٠٥ الرهيبة . ولهذا بالضبط تنقل الفخاخ الفكرية الصهيونية بمثل هذه السرعة من الأسواق المحلية والكنائس الى الورش والمستودعات والمعامل والمصانع •

وبعد أكثر من ستين سنة ونيف بعد المحاولات المباشرة الأولى للصهيونيين لجعل العمال اليهود وخاصة العمال اليهود فى روسيا ، تحت سيطرتهم ، وبعد خمسين سنة من انتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى التى بددت هباء كل ما يسمى بنظريات الصهيونية « الاشتراكية » ، أذاعت محطة اذاعة « صوت اسرائيل » يوم ٤ سبتمبر ١٩٦٧ فى محاولة منها لتبرير النظريين والمطبقين للصهيونية « الاشتراكيين » ، ما يلى :

« ان مبدأ الصهيونية القومى ليس فقط لا يتعارض مع النظرية الاشتراكية بل على العكس ، تسعى الصهيونية الى أن تصهر فى حركة واحدة أفكار التحرر الوطنى لليهود وأفكار التحرر الاجتماعى للجماهير المستثمرة • وعلى اساس جمع الاشتراكية بحركة التحرر الوطنى الصهيونية انما وضع برنامج حزب العمال الصهيونى **« عمال صهيون »** (« بوالي تسيون » ـــ ى. ا.) ، هذا البرنامج الذى تم اقراره فى المؤتمر الأول لعموم روسيا لهذا الحزب ، الذى انعقد فى بولتافا عام ١٩٠٦ . وقد صاغ هذا البرنامج ب. بوروخوف.. ان الموضوعة الرئيسية للصهيونية الاشتراكية تؤدى الى أنه غير ممكن **بالنسبة لليهود فى بلدان التشتت ، مهما تكن الأنظمة فى هذه البلدان ، لا تطور الجماهير الاشتراكى التام ، ولا تطورها المستقل الذاتى الوطنى »** . (التشديد منى ـــ ى. ا.) .

ويبقى أن نطرح السؤال التالى : من اى درجة من السذاجة والصفة العرضية لتفكير مستمعيهم ، لا يدرك كنهها أبدا ، انطلق أصحاب مثل هذه التصريحات الواضحة التى تفضح نفسها بنفسها !؟

لقد عرض « صوت اسرائيل » بكلمـاته برنامج لجنة « بوالى تسيون » فى مينسك الذى جاء فيه ان الثورة الروسية لايربطها أى رابط بالنضال من أجل مستقبلنا ، لأنها لن تحل المسألة اليهودية حتى بالنسبة لليهود فى روسيا ، ولن تقربنا من الصهيونية » (٧٣) وبهذا الصـدد كتب الجلاد زوباتوف الى قسم الشرطة : « يجب مساندة الصهيونية وبشكل عام ، الضرب عـلى وتر المشـاعر القومية » (٧٤) .

وقد أشارت اللجنة التنفيذية للأممية الشيوعية محددة جوهر نشاط « بوالى تسيون » الذى حوله الصهاينة على أساس أفـكار بوروخوف الى منظمة عالمية ، الى أن « مشروع فلسطين ، ومحاولة صرف جماهير العمال اليهـود عن النضـال الطبقى بالدعاية الى الهجرة الجماهيرية الى فلسطين ، ليسا فقط قوميين وبورجوازيين صغيرين ، بل هما أيضا فى جوهرهما معاديان للثورة . . » (٧٥)

وفى الأول من ابريل عام ١٨٩٥ ، اليوم العالمى لتضامن العمال ، انتهج مارتوف ، المعروف (الاسم المستعار لـ ى. ا. تسيدرباوم) أحد زعماء المناشفة العتيدين ــ الذين لا يسمون أنفسهم صهيونيين أو من محبى فلسطين ، الفكرة التالية فى خطابه : « لقد انتظرنا كل شىء فى السنوات الاولى من حركة الطبقة العاملة الروسية ، وكنـا ننظر الى أنفسنا كذيل وحسب للحركة الروسـية العامة . . كان ينبغى علينا بعد أن وضعنا الحركة الجماهيرية فى قلب البرنامج أن نكيف دعايتنا وتحريضنا الطبقى ، أى أن نجعلهما أكثر يهودية » . وأشار مارتوف الى أن « الطبقة العاملة اليهودية تمثل جمهورا على درجة كافية من التلاحم قادرا ، بعد أن يصبح منظما ، أن يشـكل قوة كبيرة جدا » . واستطرد الخطيب قائلا :« يجب ان نأخذ بعين الاعتبار أن الطبقة العاملة الروسية ستواجه فى تطورها الطبقى نوعا من العقبات بحيث سيكلفها كل مكسب ، مهما يكن تافها ، بذل جهود هائلة . ومن الجلى فى مثل هذه الحالة ــ كما تكهن مارتوف ــ أنه حين سيضطر البروليتـارى الروسى للتضحية ببعض مطـالبه من أجل تحقيق شىء ما ، فانه على الأرجح يضحى بالمطالب التى تتعلق بشكل خاص ، باليهود » . ويستنتج مارتوف (من تفكيره الخاص) قائلا : « ولهذا ينبغى علينا أن نعترف بحزم بأن هدفنا ، هـدف الاشتراكيين ــ الدمقراطيين العاملين فى الوسط اليهودى ، يقوم

بشكل خاص فى انشاء منظمة عمال يهودية .. » (٧٦)

أما قيادة البوند الذى تشكل فى عام ١٨٩٧ فقد جادلت بحسد أولوية مارتوف فى طرح الافكار الانفصالية ، أفكار عزل العمال اليهود ، استنادا الى أمثلة أقدم حسب الترتيب الزمنى .

أما الصهاينة فلم يكن بوسعهم بشكل عام ان يتحملوا بهدوء أى مزاحمة، وقد أعلنوا بلسان أحد زعمائهم البارزين ف. جابوتينسكى: « ان الطبقة الاعدادية **لدى المدرسة الصهيونية النموذجية** ، هذا هو الدور التاريخى ، موضوعيا ، للبوند فى الحركة العمالية اليهودية ، اذا واصلنا مقارنتنا التربوية . فالبوند والصهيونية ليسا نباتين من جذر واحد ، انهما جذع كبير وواحد من نبتاته.. وحين سيكتب الباحث العتيد تاريخ الحركة الصهيونية المترابط ، سيثير فصل واحد بشكل خاص فى عمله اهتمام القارىء .. فى البدء سيقابله القارىء بأنه تكرار لأفكار بينسكر ، وفى النهاية بأنه الاعلان الأول لـ « بوالى تسيون » . وسنروى فى هذا الفصل احدى مراحل الصهيونية ، وسيكون عنوانه « البوند » » (٧٧) .

وقد أشار ف. ا. لينين الى خطر المحاولات المتنامية لعزل العمال اليهود ، متوجها اليهم فى عام ١٩٠٥ فكتب « ان ظروف حياة البروليتاريا الواعية فى العالم بأسره موجهة لخلق روابط أوثق واتحاد أشد فى النضال الاشتراكى ـ الديمقراطى المنتظم للعمال من مختلف القوميات .. ان عمال جميع القوميات فى روسيا يعانون اضطهادا اقتصاديا وسياسيا لا وجود له فى أى دولة ، وبنوع خاص أولئك العمال الذين ليسوا من القومية الروسية . وبقدر ما يكون نير هذا الاضطهاد ثقيلا ، بقدر ما تكون أقوى الحاجة الى اتحاد أوثق قدر الامكان بين بروليتاريى مختلف القوميات لأنه بدون اتحاد كهذا يستحيل النضال الظافر ضد هذا النير » (٧٨) .

ان هذه الفكرة اللينينية بالذات القائلة أن اليهود الى جانب الجماعات القومية والقوميات والشعوب المضطهدة الأخرى ـ متساوون فى الآلام ، ومتساوون فى النضال ـ لم ترق أبدا للصهاينة الذين أقاموا على « مبدأ » الاستثنائية جميع صروحهم النظرية الفكرية ابتداء من الأصل الالهى لـ « الأمة اليهودية العالمية » وانتهاء بالمزاعم حول ضرورة اشتراكيتنا » .

وبهذا الشكل انتهى عمليا فى بداية القرن العشرين خلق اللوحة الفكرية الصهيونية . وقد قام الصهاينة بعناد على أعتاب الاحداث الثورية العظمى فى روسيا بتلوين واجهة الاتحـاد الاستعمـارى الصهيونى باللون الاحمر مخفين بغـلالة مجموعة الالوان القـاتمة المفضلة ۰ ولكن لم تكفهم الأصباغ ولا القوة ، فلقد سبقهم الزمن ، وحل عام ۱۹۱۷ .

الفصل الثـالث

متاهة بدون سقف

في الثاني من مايو عام ١٩١٨ ، افتتح في جو تحيطه السرية التامة مؤتمر احدى المنظمات الصهيونية الواسـعة الانتشار والتي تحمل اسم «تسيرى تسيون» وحضر المؤتمر ممثلون عن بتروجراد ، وموسكو ، وفيتيبسك ، وفورونيج ، وفولوغـدا ، وريبينسـك ، وساراتوف ، دبروفكا ، وكامبوف ، وبوريسوغليبسك ، وليفنى ، وكينيتسا . وايلنس ، وساراما ، وريازان .

وفي فترة انعقاد المؤتمر تلي التقرير الذى كانت موضـوعاته قد نوقشت مسبقا بشكل متقن وتم اقرارها : « المعضـلة الأسـاسية السياسة الروسية ــ قضيـة الثورة الروسية ، تجارب الثـورة الاشتراكية ــ تجارب البلاشفة في مضـمار الصناعة ، والمـال ، والاقتصاد الحكومى ، والسياسة الخارجية .. نتـائج التجارب ــ انهيار الدولة ، وتدهور الاقتصاد .. رد الفعل العنيف في الغرب ، وضع الشعب اليهودى ، الانحطاط الاقتصادى وافتقـار الوسطاء والتجار والمستخدمين والحرفيين نتيجة لمصادرة الأملاك في الأجزاء المحتلة من روسيا ، ونفس العمليـة تجرى في روسيا الاشتراكية حيث تجرى تجارب البلاشفة الذين خنقوا التجارة والصناعة .. ومطالبنا السياسية تبقى كالسابق : انشاء حكومة ائتلافية يستبعد منها البلاشفة ... » (١) .

ودارت حول التقرير مناقشات حامية . فنـوه الدكتور ريس في خطابه : « لقد قال البلاشفة أن عليهم أن يرسخوا دكتاتورية البروليتاريا . كيف سيتسنى لهم تحقيق كل هـذا .. واى خط سنتبع بالنسـبة للبرهة الراهنة ؟ علينا أن نتشبث بالنهج اليهودى : ولصالح اليهودية يجب أن تنشأ جمهورية روسيا الاتحادية .. كيف ينبغى أن نتصرف ، ــ استطرد الخطيب ــ هل سـنذهب لخدمة

البلاشفة ؟ نعم ، اذ أن هذا ليس اعترافا سياسيا بسلطتهم ، بل مسألة خبز » (٢) .

اما ليزلى فقد قال فى خطابه : « ان البلشفية لا تزال تتمتع بالقوة ، ولهذا ينبغى تحديد أساليب النضال ضدها ، وفى حياتنا اليومية نصطدم باستمرار بالمؤسسات البلشفية ، أما الفئة المثقفة فقد قالت كلمتها ضد التخريب ، والى حد ما ، يجب علينا أن نتخلى عن التخريب وأن لانتأخر عن العمل فى كافة فروع الحكومة البلشفية التى نستطيع أن نشتغل فيها » (٣) .

وأكد مندوب استراخان زيلبرغ قائلا : « ان نضالنا هو تنظيم لجميع العناصر الديمقراطية من أجل القبض على زمام السلطة بعد سقوط البلشفية .. ان التنظيم اليهودى يبدأ من الوحدة » (٤) .

فكما هو واضح ، أن وراء الأبواب الموصدة تختنق عند الصهاينة كل رغبة فى مناقشة القضايا المرتبطة « بقدسية » جبل صهيون ووصايا التوراة عن « حب القريب » . وكان الحقد على الأممية والحكم السوفياتي وحزب لينين هو محور جميع انفعالاتهم النفسية فى عصر اكتوبر العظيم . ان صياغة المخططات الملموسة وتجسيدها للنضال ضد الشيوعية هما نقطة انطلاق نشاطهم العملى . فمن غير المعقول أن يحدث شيء آخر مع انصهار « العقيدة » التى تصف الاشتراكية بقولها « عبر تاريخ حياتها الطويل لم تبتل اليهودية بمثل هذا العدو .. ان الاشتراكية هى العدو اللدود لليهودية ولأفكارها القومية ...

ان خطر **الاشتراكية** يكمن فى مذاقها المر المطلى بالذهب وفى انها تأتى الى الشعب اليهودى السيء الحظ متوشحة برداء « الصديق » ، وتقول له : « تعالوا الى أيها البؤساء وأنا أريحكم » . على ان الاشتراكية ليست بتلك « الغيرية الافلاطونية » بل انها تتطلب « دفعا » لقاء لمجهودها .

ماذا تطلب الاشتراكية من اليهود ؟ يستطرد مؤلفو الوثيقة — . انها تطلب الكثير . فهى تطلب أولا ، التضحية بالجسد والدم ، الاشتراكية بقولها « عبر تاريخ حياتها الطويل لم تبتل اليهود بمثل الانقلابات غير معقولة بدون اهراق دماء .

لقد خطت الاشتراكية على رايتها ما يلى : « ان تاريخ الانسانية،

هو تاريخ الصراع الطبقى ، أى أن المادية الفظة ومتطلبات الامعاء هى عامل التاريخ الوحيد ، وتقريبا ، قانون الحياة الخارق . فمهما يكن الشكل الذى ستتبلور فيه الاشتراكية ــ أمميا كان أو قوميا ــ فإن مصيرها ، على أى حال ، الهلاك . أما اذا قدر لليهودية أن تعيش حياة تاريخية أطول ، فما عليها الا أن تستخرج من أعماقها مادة لمحاربة سم الاشتراكية .

هذا ما حدث ، عندما نشأت الحركة المعروفة باسم الصهيونية بين يهود العالم كترياق . **ان الصهيونية خلق وبعث ، والاشتراكية هدم وانحلال .**

الصهيونية ، تعنى **السلم** ، والاشتراكية تعنى الضغينة :
الصهيونية ، تعنى توحيد جميع اليهود ، والاشتراكية تعنى نضال طبقة ضد أخرى داخل اليهود .

الصهيونية ، تحتاج الى النظام المعاصر (الرأسمالية ــ ى. ا.) ، أما الاشتراكية فانها تشهر سيفها فى وجه هذا النظام .

ان الاشتراكية تعترض سبيل الصهيونية ، فلذا فانهما ليسا نقيضين فحسب ، بل هما عنصران **ينفى أحدهما الآخر نفيا تاما .** فى كل مكان فيه يهود يقتضى وجود الصهيونية ، وهناك ، حيث تجرى ، اضافة الى ذلك ، عملية الاختمار فى رؤوس اليهود ، فان الصهيونية أمر ضرورى » (٥) .

لقد أقر الصهاينة كليا الاتصالات التى جرت مع القيصر الروسى نقولا الثانى عن طريق وزيره بليفه وستاليبين . وأجرى هرزل مباحثات ناجحة مع بليفه وفولغزون ، وأتباع هرزل ــ مع ستاليبين . واستجابت الحكومات المناهضة للثورة لكافة مطالب الصهيونيين والأميرلفوف وكيرنسكى . وطبقا لشهادة ن. سوكولوف ، فان المؤتمر السابع للصهاينة الروس الذى انعقد فى بتروجراد ، قد أيد باجماع ٥٢٢ صوتا كيرنسكى « ضد أعدائه » ، وأعرب عن تعاضده مع قضية « استيطان فلسطين » . . وفى روسيا لم يرق للصهاينة الحكم السوفياتى ، والنظام الاجتماعى والحكومى الجديد الذى كان يترسخ تحت قيادة فلاديمير ايليتش لينين والبلاشفة ليضع نهاية لاستغلال الانسان لأخيه الانسان . ان هذا النظام لم يرق للصهاينة بنفس الدرجة التى لم يرق فيها لحماتهم الامبرياليين .

لقد كتب ريتشارد كروسمان في كتابه « انبعاث الأمة » :
« والآن ، وحيث أن الدولة الشيوعية فى الشمال تهدد مصالح انكلترا الحيوية ، فعلى الأخيرة أن تقدر أهمية الوطن اليهودى بالنسبة لها » (٦) .

وفى ١٧ نوفمبر عام ١٩١٧ ، تلقى صهيونيو كييف برقية مستعجلة من بتروجراد جاء فيها : « بمزيد من السرور نعلن اليوم عن استلامنا من المنظمات الصهيونية المفوضة فى لندن نص البيان الذى أذاعته الحكومة البريطانية فى ١٠ نوفمبر ، والذى ينص حرفيا على « أن حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف الى انشاء مركز قومى للشعب اليهودى فى فلسطين » . ان فعل الحكومة البريطانية النبيل يفتح عهدا جديدا ويحقق وصية هرزل. « انشروا الخبر على نطاق واسع بين يهود منطقتكم ، واقيموا الاجتماعات الشعبية ، واتخذوا القرارات . أبرقوا . ميركاز » (٧) .

وهكذا ، أحاط مركز بتروجراد صهيونى كييف علما بما يسمى ب « وعد بلفور » ، الذى اتخذته الحكومة البريطانية فى نوفمبر عام ١٩١٧ ، أى ، فى نفس فترة الشروع العملى بالمحادثات بين بريطانيا والحكومات الامبريالية الأخرى حول التدخل المسلح ضد الجمهورية السوفياتية الفتية .

وما أن تلقى صهاينة كييف التعليمات من مركز لندن المتعلقة بالاجراءات الواجب اتخاذها بشأن مرسوم انجلترا التشريعى الذى أكد نيتها الثابتة فى الاستيلاء ، بشتى الوسائل ، على كافة المناطق المتاخمة لقناة السويس ، حتى ظهر فى أوكرانيا المغامر المشهور فلاديمير جابوتينسكى ، الشاعر الروسى والصهيونى ، وعميل عدد من البلدان الكبيرة والصغيرة الذى تمكن ، فى الماضى القريب ، من أن يحوز على ثقة الانجليز المطلقة ، واشترك مع شخص اسمه ترومبلدورف فى تنظيم جماعة من الصهاينة عملت مع الجيوش البريطانية بغية احتلال فلسطين .

ان المستعمرين البريطانيين المحترفين ، بشهادة ك. ى. تشوكوفسكى ، منقح كتاب العقيد بيترسن وواضع مقدمته ، قدروا عاليا جهود عملائهم . وجاء فى المقدمة التى وضعها تشوكوفسكى : « من الطبيعى أن نهتم فقط بتلك الفصول التى

تتحدث عن فصائل المتطوعين الصهاينة الذين التحقوا بالجيش البريطانى لاستعادة فلسطين . ان مؤلف الكتاب بيترسن ليس يهوديا ، بل هو انجلو ساكسونى كريم المحتد ، ومحارب محنك ، وعليم يركن اليه فى كل المعارك . لقد استوعب مهنته فى كل مكان : فى الهند ، فى افريقيا الجنوبية .. فى أوغندا ، فى كلودايك .. ولذا ، فان كيله المديح لمآثر الصهاينة الحربية له وزن هام » (٨) .

وفلاديمير جابوتينسكى أحد ملهمى أشد الافعال حزما فى تأييد الاحتلال البريطانى لفلسطين ، قد أرسل على وجه السرعة الى أوكرانيا لاجراء اتصالات وارتباطات مع بيتليورا .

لنستطرد قليلا . ان تلك الوثيقة الصهيونية «العملية» الباهتة اللون والمكتوبة بخط جلى تستلفت الانتباه العفوى لشخص يسير عبر المتاهات الغريبه الصهيونية فى معمعان الحوادث الكبرى الناتجة عن أول ثورة اشتراكية فى العالم .

فى ٥ ابريل عام ١٩١٤ ، بعث مجلس ادارة الجاليات اليهودية فى مدينة كولونيا الى ابراهام ايتسكوف دوموفيتش ، الذى يعمل كاتب حسابات عند الاخوان شركانسكى ، ويرأس ، فى مدينة لومج ، حلقة من الصهيونيين التابعين لهرزل ، برقية أعمال جاء فيها ما يلى : « بعد أن راجعنا حساب حصالات النقود الخاصة بالتبرعات ، رأينا انك لم ترسل لنا الا ٩٧ حصالة من أصل ١٠٨ موجودة لديك .

فى كل سنة نجمع ٥٠٠,٠٠٠ فرنك ، فيمكن ، بمثل هذا المبلغ ، انشاء عشر مستعمرات . لقد قلنا منذ زمن بعيد ، منذ عام ١٩١١ وعام ١٩١٢ ، ان اليهود الروس يتخذون موقفا حماسيا من هذه القضية ، ولذا نرفع لهم شكرنا . ولكن ، على الرغم من الجهود التى بذلوها فى الآونة الاخيرة ، فان باستطاعتهم ان يقدموا لنا اكثر من ذلك . وحسب المعلومات التى حصلنا عليها ، لم يبدأ ما يقارب الالف مدينة فى روسيا بالدفع بعد ، ويدفع عدد كبير من المدن النزر اليسير وهذه المدن هى فيلنا وجبتومير وكوفنو وريغا .

ان روسيا تعطينا أكبر دخل ، وفى هذا المجال تعد روسيا أول دولة بالمقارنة مع غيرها من الدول ، فاذا قارنا بين السكان اليهود فى روسيا وغيرها من الدول ، فان روسيا تعطينا النزر اليسير . واذا قسمنا جميع الدول حسب نسبة السكان اليهود فيها والايراد

الذى نحصل عليه منهم ، فان روسيا تشغل المركز التاسع عشر .

ان حصة كل يهودى من يهود روسيا من مجموع الدخل لاتتجاوز الكـــوبيكين . أى اذا قسمنا كل ما جمع من أموال فى روسيا على مجموع اليهود القاطنين فيها تكون حصة كل يهودى كوبيكين » (٩) .
فى مدينة جوميـــل وصــلت فى ١٦ يونيـــو ١٩١٤ ، الى ل . كاراو فيتش الذى يسكن فى شارع جينرالسكى ، المنزل رقم . . ، قائمة بدخل المنظمة الصهيونية العالمية ، وذلك بالمارك الالمانى : (١٠) .

روسيا ٢٣٧،٢٨٤،٨٣
النمسا ١٤٤،١٣٣،٢٧
أميركا الشمالية ١٤٣،٧٤٠،٥٠
المانيا ١٠٧،٩٠٥،١٧
كندا ٣٧،٥٦٣،٥٠
افريقيا الجنوبية ٢٠،٧٦٦،٩٧
انجلترا ١٨،٨٦٢،١٤ الخ .

من الواضح أن الوكالة الصهيونية العالمية قد قلصت دخلهـا ، ولكن ، حتى الارقام المخفضة أكثر من اللازم ، تبين ماذا عنى تأميم وسائل الانتاج على سدس الكرة الأرضية الذى كان يجبى منه أتاوات كبيرة للتروست اليهودى الاستعمارى المستقر فى لندن ، وماذا عنى عند الزعماء الصهيونيين ، الذين بنوا حساباتهم بشكل ثابت على اللاسامية فى روسيا ، انتصار المبادىء اللينينية للسياسة القومية فى الجمهورية السوفياتية الفتيــــة . لقـد وجهت ثورة أكتوبر الاشتراكية ضربة ساحقة للوكالة الصهيونية العالمية ، ولذا أخضعت كل جهود الصهيونية للاطاحة بالدولة السوفياتية .

لقد اشترك الصهيونيون ب « حكومات » دينـكين ، والقـائد سكوربادسكي وبيتليورا المزعومة . وقاموا بأعمال نشيطة من أجل خلق الفصائل العسكرية الصهيونية التى شهرت السلاح فى وجه السوفيات . ونشير هنا الى أنه ما بين عام ١٩١٨ و ١٩٢١ ، نظـم اتباع دينكين ، وبيتليورا ، وبولاك ــ بولاخوفيتش نفسه ، وأتبـاع ماخ ، ١٥٢٠ مذبحة عذب وقتل فيها عشرات آلاف اليهود . الا أن هذا النشاط المعادى للثـورة لم يعرقل مطلقا التعاطف الفـكرى

والاقتصادى والعسكرى لقادة الوكالة اليهودية العالمية مع هذا النشاط .

ولم تكن أعمال الصهاينة أقل نشاطا فى مؤخرة الحكم السوفياتى . فبالاضافة الى التخريب ، أعاروا اهتماما جديا لما يسمى ب « الاشكال العلنية » للنضال ضد الدولة السوفياتية ، منظمين بمختلف الذرائع عددا كبيرا من الجمعيات والاتحادات التى أصبحت مركز نشاط معاد للسوفيات .

ومثال على ذلك قصة اللجنة اللينينجرادية اليهودية لتقديم المساعدات (ليكوبو) ، وقد تأسست قبلها « الجمعية الخيرية اليهودية » المسجلة باسم بيتروجوبيسيولسكى فى شهر أغسطس ١٩١٩ و « جمعية التعاضد اليهودية » .

وقد جاء فى نظام تأسيس « الجمعية الخيرية اليهودية » ان « هدف الجمعية هو تقديم المساعدة الى سكان مدينة بتروجراد المعوزين ، وانه لتحقيق مثل هذا الهدف ينبغى تقديم سلفة مالية بلا فوائد ، وتعويضات مالية ، وانشاء مطاعم يهودية » (١١) الخ .

هذا هو الكلام ، واما الأفعال فهذه هى : جاء فى بروتوكول جلسة منطقة المدينة المركزية « لتفتيش العمال والفلاحين » التى عقدت فى العاشر من يناير عام ١٩٣٠ والخاص بالغاء « اللجنة اليهودية اليهودية اللينينجرادية للتعاضد » ، ما يلى : قبل فى الجمعية ، التى أسستها اللجنة اليهودية اللينينجرادية للتعاضد » تجار عليهم مديونية لـ « قسم المالية بمنطقة لينينجراد » ، وبعدها ، قبل ، زيادة على التجار اليهود ، تجار من قوميات أخرى . أن (لوكوبو) «اللجنة اليهودية اللينينجرادية للتعاضد » التى أخذت على عاتقها تقديم المساعدة لليهود الفقراء ، قد دعمت كليا التجار الذين موهتهم تحت ستار مؤسستها . وترأس هذه الجمعيات أشخاص لا يلمون مجرد الملم بالانتاج أمثال آيزبرغ وليسمان . وكانت « اللجنة اليهودية اللينينجرادية للتعاضد » (لوكوبو) همزة الوصل مع المؤسسات الدينية ، تؤيد المشاعر القومية ، وتمارس الأعمال التجارية ، (قاعة البيع بالمزاد) وتحتوى فى صف قيادتها على عناصر غريبة طبقيا » (١٢) .

وفى عام ١٩٢٧ غادر الاتحادالسوفياتى الى ليتوانياالبورجوازية

ى.ش. شنارسون ، كي يتسلم منصبه كحاخام ريفا الأكبر . وبعد مضى بعض الوقت ، التقى شنارسون فى المانيا مع اثنين من ممثلى الرأسمال الاميركى الكبير . وبعد هذا اللقاء ، أصبح شنارسون ، انطلاقا من مصلحتــه الخاصة ، الشخصية الرئيسية التى تقــوم بايصال الأموال الضخمة المرسلة من الجمعية الاميركية ذات النشاط الهــدام « دجوينت » الى عميلتها فى الاتحــاد السوفياتى . وفى الواقع ، كانت « اللجنة اليهودية الليننجرادية للتعاضد » ســتارا يختبىء وراءها نشاط عمـــلاء « دجوينت » على أراضى الاتحــاد السوفياتى .

وانصرمت السنون ، وترسخت الدولة السوفياتية التى صمدت لهجوم العناصر المعادية للثورة فى الخارج والداخل . وبمقدار ما كانت تمنى بالفشل مخططات القضاء على أول دولة للـكادحين فى العالم ، تلك المخططات التى كانت تحوكها الامبريالية وعملاؤها ، كان حقد الرجعية العالمية على اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية يزداد جموحا . لقد كان للصــهيونيين حســابهم الخاص فى باب « الشيوعية » .

وكما كتب عضو البرلمان البريطانى ريتشارد كروسمان : « أن اليهودية لم تف بتعهداتها حول تأمين ملايين المهاجرين فى السنوات الأولى لنشوء الوكالة اليهودية . ومن الطبيعي ، أن تــكون الثــورة البلشفية أهم هذه الأسباب . لقد كانت روسيا دائما فى حســبان الصهاينة المصدر الرئيسى للهجرة الى فلسطين » (١٣) .

واذا ما أضفنا الى التزامات الصهاينة المذكورة (أمام امبرياليى بريطانيا العظمى) عاملا آخر أشد عمقا قد جرى الكلام عنه آنفا هو ســيل الايرادات الذى كان يتدفق من روســيا الى خزينة الوكالة اليهــودية ، فان ســبب الضــفينة التى يضــمرها الصهاينة لبلاد السوفيات يصبح مفهوما تماما .

لقد دعم العمال اليهــود بنشاط ثورة أكتــوبر الاشتراكية ، وانصهروا فى عملية بناء الاشتراكية فى الاتحاد السوفياتى . الأمر الذى حتم أزمة الصهيونية ، التى تفاقمت نتيجة للقضاء على النشاط الصهيونى السرى فى الاتحــاد السوفياتى ورفض عــدد كبير من اليهود التعاون مع الصهيونيين .

ونتيجة لنشوء هذا الواقع ، اندفع القادة الصهاينة لصياغة تكتيك جديد ، وايجاد طرائق جديدة لانقاذ مؤسستهم . وفى هذا الوقت انحسر مؤقتا بعبع « اللاسامية الابدية » وظهرت مكانه شعارات أكثر مرونة . « عندما انشأنا منظمتنا ، لم ننطلق أبدا من الآلام التى تعانى منها جماعتنا فى روسيا أو فى أى مكان آخر » . هذا ما اكده ن. سوكولوف (١٤) .

لقد أجتذبت مسألة صياغة موضوعات نظرية جديدة القوى « الاشتراكية » الصهيونية التى تناقص عددها . فصاغ ممثل هذه الجماعة من الحرس الصهيونى بيرل لوكر — هذه الموضوعة : « أن أمتنا ، وخاصة فى المجتمع الاشتراكى ، لا تقوى على طرح قضية تشردها ، فلذا يجب علينا ، بكل ما لدينا من طاقة ، ان نسعى الى خلق مركزنا فى فلسطين » (١٥) .

لقد أسس الاتحاد الاحتكارى الصهيونى ، معتمدا على دعم انصار من ممثلى التجمعات المالية الامبريالية الكبرى ، عددا من المنظمات كلفت أن تنشر على نطاق واسع وبشكل مستمر الدعاية المعادية للسوفيات بهدف التشهير بأفكار الاشتراكية ، وكذلك بأن تنشيء داخل الدولة الاشتراكية نفسها فئة من «المثقفين الليبراليين» تتجلى حرية « تفكيرها » فى استيعاب وتبنى هذه الأفكار التى كانت تصاغ فى الخارج .

وفى عام ١٩٢١ تم فى انجلترا واميركا فى آن واحد انشاء وكالة الأنباء اليهودية على أيدى الرأسمالى الصهيونى يعقوب لانداو ، والصحفى ميير غروسمان . وكانت وجهات نظر الأول الفكرية تحددها رساميله ، والآخر — شغفه بهذه الرساميل .

وفى الفترة بين عامى ١٩١٣ و١٩١٦ اشتغل جروسمان فى تحرير الصحف والمجلات الصهيونية التى كانت تصدر فى برلين وكوبنهاجن ، وفى عام ١٩١٧ فى كييف ، وفى عام ١٩١٩ حتى ١٩٣١ فى لندن .

وفى عام ١٩٣٣ وصل جروسمان الى نتيجة مفادها أن وجود فئة جابوتينسكى الاشتراكية الشوفينية المفرطة فى رجعيتها داخل الوكالة الصهيونية العالمية لا يكفى ، وأخذ يكون فئة أخرى تحت اسم « الحزب الحكومى اليهودى » ، كرست نفسها لاجتثاث الشيوعية من الصهيونية !

وكان نوع نشاطات وكالة الأنباء اليهودية أكثر من مناسب لطبيعة معطيات سيرة حياة مؤسسيها .

وكان شريك جروسمان ، روبرت شتريكر ، ممثل الوكالة وزعماؤها الصهاينة فى النمسا . فأقام عرى صداقة متينة مع الموظف السابق فى قسم العلاقات اليهودية فى وزارة خارجية ألمانيا الامبراطورية ناحوم جولدمان . (وقد أسس شتريكر ، فى حينه ، معه ومع المهاجر الأبيض سولوفينشيك فئة « الصهاينة الراديكاليين » ومركزها برلين) . وتعددت لقاءات شتريكر وجولدمان ، وتباحثا ، وتأسفا على هبوط هيبة الصهاينة الالمان ونفوذهم فى قيادة الوكالة الصهيونية العالمية (بعد هزيمة المانيا فى الحرب العالمية الاولى) وتناقشا فى امكانية اعادة احياء هذا النفوذ . وخلال مباحثاتهما ، كان يتردد دائما اسم ستيفان وايز الذى اسس عام ١٩٢٩ فرعا للصهيونية العظمى ، ولفتت اليه تصريحاته الحقودة المعادية للشيوعية الانظار .

وقد تألق نجم الحاخام وايز بسرعة . وحين التقى مع شتريكر وجولدمان فى فيينا كان رئيسا لـ « المؤتمر اليهودى الاميركى » ، احدى المنظمات اللاصهيونية المتمتعة فى ذلك الوقت بنفوذ لا بأس به . وكان يسنده رجال المال الاميركيون الذين كانوا ينشدون فلسطين برغبة لا تقل عن رغبة انجلترا .

ان خيبة أمل بعض الدوائر الحاكمة فى انجلترا فى أهلية الوكالة الصهيونية التى تنفذ « مهماتها » ، والمشاحنات فى قيادة هذه الوكالة الصهيونية ، والانخفاض الحاد فى ايرادات الخزينة الصهيونية ، والأهم من ذلك ، رفض معظم الكادحين اليهود فى الغرب التعاون مع الصهيونية .. كل هذا ، ادى الى بروز فكرة تأسيس « منظمة عالمية » لا تمت بصلة الى الصهيونية ، كما يزعم ، مهمتها العمل تحت شعار « الدفاع عن حقوق يهود العالم » .

وكان الهدف الحقيقى لهذه المنظمة مدجسر للرأسمال الاميركى، الذى كان يناهض بعنف « سيدة البحار » فى منطقة الشرق الادنى، ومن ثم اقامة علاقات متينة مع الفاشية المترسخة فى أوروبا ، أى محاولة اللعب على السباقات الرأسمالية بدون خسارة . (فى بداية الثلاثينات كانت الفكرة جديدة ، لكن المبدأ كان قديما . فقبل ذلك

بعشرين عاما ، كانت الصهيونية تغازل فى آن واحد ، بلا حياء اللورد بلفور ، وغليوم الثانى ، وبليفه ، والسلطان التركى ، والملك الايطالى) .

وفى هذه الظروف « بزغ نجم » ناحوم جولدمان ، هذا المنفلت من العقال والوصولى الحريص الذى حددت نجاحه سلفا اتصالاته الواسعة ، والتربية التى تلقاها فى المكاتب المظلمة لوزارة خارجية الرايخ الثانى .

لقد سعى جولدمان فى البداية للحصول على اتفاق مع ستيفان وايز - رئيس « المؤتمر الصهيونى الاميركى » ، بشأن مسألة تأسيس المؤتمر اليهودى العالمى « اللاصهيونى » . وأعطى وايز موافقته بعد أن كسب رأى الممولين الاميركيين - الاصحاب الحقيقيين للمؤتمر الذى يتزعمونه ، مبديا تفهمه للعرض ، وبروح عملية كسب ورقة الاشراف على المشروع ، واعدا مقابل ذلك بتغطية ٥٠٪ من ميزانية المنظمة الجديدة .

واقنع رئيس المنظمة العالمية الصهيونية وايزمان ، الــذى ربط بصورة وثيقة مصيره بانجلترا ، الانجليز بأن مشروع جولدمان،الذى وضع بمعرفته ، سيجلب للتاج البريطانى أرباحا طائلة .

أما الخطوة الثالثة ،فكانت تستوجب ضمان تأييد الفاشيست.

وفى هذا الصدد ، قامت المخابرات الصهيونية بعملية جس نبض. فتحققت الآمال ، وأسرع جولدمان الى روما فى عام ١٩٣٤ ، حيث كان يتوقع الشىء الكثير من حديثه مع موسولينى . وذلك لأن علاقة الدكتاتور الفاشيستى بالمشروع الصهيونى لم تقلق جولدمان فحسب، بل جميع الزعماء الصهيونيين الذين كانوا يتابعون باهتمام زائدمهمة الدبلوماسى الالمانى السابق .

وفى ١٣ نوفمبر عام ١٩٣٤ ، استقبل موســولينى جولدمان ، وجرى بينهما حديث استغرق ثلاثين دقيقة فى جو من الود والتفهم المتبادل . فاستحسن موسولينى فكرة تأسيس المؤتمر اليهــودى العالمى ووعد بتأييدها . فتكللت مهمة جولدمان بالنجاح . وكان هذا بالنسبة لجولدمان شخصيا يعنى الكثير . اذ ظهر اسمه لاول مرة فى الصحافة الاوروبية ، « الواســعة الانتشار » فى ١٤ نوفمبــر ١٩٣٤ ، الى جانب اسم « من أكثــر الشخصــيات قوة فى العــالم الغربى .. »

وهكذا ، تمت « وراء الكواليس » مسألة تأسيس المنظمة الصهيونية العالمية ـ المؤتمر العالمى اليهودى ، الذى أصبح ناحوم جولدمان أحد زعمائه . وحتى وقت قريب ، ١٩٦٨ ، وبعون الله ، بقى جولدمان فى آن واحد رئيسا للمؤتمر اليهودى العالمى والمنظمة الصهيونية العالمية .

وبهذا الشكل ، أسس التجمع العالمى الذى استمال للعمل فيه اشخاصا لم يتقبلوا بادىء ذى بدء العقائد والاهداف الصهيونية ، مؤمنا لنفسه دعما اضافيا من جانب الرأسمال الاميركى والايطالى، وفيما بعد ، من جانب الفاشستية الالمانية . ومن أجل أهدافهم الخاصة واصل زعماء الصهيونية خدمتهم للتاج البريطانى ، لان الاتحاد معه فى تلك السنين كان يحتمه وضع بريطانيا القيادى فى عالم الكواسر الرأسمالية .

وفى عامى ١٩٢٢ـ١٩٢٣ ، قامت عصبة الامم بتخويل بريطانيا العظمى بوضع اشرافها على فلسطين . فناهض السكان العرب فى هذا البلد بحزم النير الاستعمارى مما جعل انجلترا تتكل ، أكثر من أى وقت مضى ، على الصهاينة فى عملية « تجهيز » فلسطين بسكان يكونون مستعدين لانجاز مهمة حراسة المصالح البريطانية. وشجعت بكافة الوسائل الاستيطان الصهيونى ، ولنعد الى الذاكرة ما كتبته الصحف البريطانية فى فترة ما قبل العشرينات . « . . بعد انتقال فلسطين كلية الى اشرافنا ينبغى علينا أن نكرس جهودنا لتركيز سكان يهود هناك ٢٢ ـ هذا ماكتبته «مانشستر جارديان» . اما صحيفة « ايريتس تايمز » فقد نوهت بدورها ، قائلة « ان احسن وسيلة لحماية قناة السويس من وجهة نظر المصالح البريطانية هى تحقيق حشد سكانى موال لنا فى فلسطين » (١٦) .

وعلى مدى عشرين سنة ونيف من الجهود الجبارة (من ١٨٩٧ حتى ١٩١٩) ، تمكنت الدوائر الحاكمة البريطانية والصهيونيون من مضاعفة سكان فلسطين اليهود من ٥ الى ١٠ ٪ (١٧) من المجموع العام لسكان البلاد . ولم تكن هذه العملية سليمة نتيجة الرفض القاطع لاناس من اصل يهودى ، التوجه للعيش فى منطقة قناة السويس فحسب ، بل أيضا ، لكون ٩٠ ٪ من سكان فلسطين العرب اعتبروا الانجليز والمستوطنين اليهود الذين يرسلهم

الصهيونيون الى فلسطين ، مستعمرين يعيشون على حساب الغير.

وتستأثر بالاهتمام ملاحظات أحد هاعام وآراؤه فقد قام فى ذلك الحين بزيارة فلسطين : « اننا نعتبر جميع العرب همجا يعيشون مثل الحيوانات لا يعلمون ماذا يجرى حولهم . الا أن هذا ضلال كبير » . ويتساءل أحد هاعام فيما بعد : « ماذا يصنع ، فى الواقع ، اخواننا فى فلسطين ؟.. ان اليهود يعاملون العرب بوحشية ويحرمونهم من حقوقهم الشرعية ، ويهينونهم دون أدنى سبب ، ويتباهون فوق ذلك بتصرفاتهم . انه لايوجد أحد بيننا يستطيع أن يعارض هذا الجنوح الخطير البشع » (١٨) . (هذه الاقوال ، كما نعلم تخص الايديولوجى المرموق ، الذى ، أحيل فعلا على التقاعد نظرا لعدم الحاجة) .

لقد كان أحد هاعام على شىء من بعد الرؤية كى يتصور الى أية نتائج سيؤدى ، فى نهاية الامر ، الاحتقار والضغينة نحو سكان فلسطين الاصليين ، لاسيما أن الزعماء الصهاينة كانوا يرسخونهما فى شرايين المستوطنين الاوروبيين بشكل مستمر ومفرض . وكان اللوردات البريطانيون آخر من يمكن أن تقلقهم هذه المسألة. فصرح اللورد بلفور جهارا بما عرف عنه من برود وقح : « .. أن مبدأ الحكم الذاتى يدل على صحة (!) الصهيونية على الرغم من انه لايلائم كليا من وجهة النظر التكنيكية الصرفة .. » (١٩)

أن « الاساليب والموجبات التكنيكية » للدوائر البريطانية الحاكمة معروفة لدى جميع الضليعين فى تاريخ الغزاة المستعمرين والحكم البريطانى الاستعمارى .

فقد جاء فى تقرير اللجنة الملكية البريطانية المؤرخ عام ١٩٣٧ ما يلى : « فى أعوام ١٩٢٠ و ١٩٢١ و ١٩٢٩ ، انتفض العرب ضد اليهود . وفى عام ١٩٣٣ (وخاصة فى مجرى انتفاضة ١٩٣٦ — ١٩٣٨ — ى. أ.) ركزوا نضالهم بوجه خاص ضد الحكومة .. وأصبح جليا ومحددا أن الانتداب البريطانى بالنسبة لهم ليس أكثر من محاولة وقحة للحفاظ على سلطة «الامبريالية» البريطانية تحت ستار الدوافع الانسانية نحو اليهود » (٢٠) .

ان جوهر الموضوع واضح ، وعلى ما يبدو لم يتوقع اللورد البريطانى ميلشيت نفسه الذى كتب فى حينه : « لقد كان الشعب

العربى ينتفض ضد جميع الهجرات المتحضرة وضد جميع الاجناس والاعراق والمعتقدات (*) . ان تجربة جميع الدول الاستعمارية الكبرى على شواطىء البحر الابيض المتوسط واحدة فى هذا المضمار . ففى المغرب والجزائر وتونس انتفض المغاربة بشكل مستمر ضد الدخلاء ، ومثل هذه المصاعب ظهرت أمام الايطاليين فى طرابلس الغرب » (٢١) .

وهناك ما كتبه أحد زعماء الصهيونية ح . وايزمان :

« ان المسألة في فلسطين لاتنحصر فى الاختيار بين اليمينيين وغير اليمينيين بقدر ما تنحصر بين عمل أكثر عدالة أو أقل عداله .. » (٢٢) . انه مثال رائع لـ « الديالكتيك » الصهيونى ! ويطور أفكاره بصورة أكثر تحديدا الكاتب الانجليزى الاجتماعى هربرت سايدبوتام .

لقد كتب يقول : « ان الموضوعة التى تقرر أن الارض ملك أبدى لأمة معينة حالما تستوطنها هو مبدأ ديمقراطى أو ليبرالى كاذب . فمن الممكن استيطان هذه البقعة أو تلك ؛ فقط عندما يجلب وجود الامة عليها منفعة للعالم باجمعه ، والا فان الامه تفقد مبرر وجودها الاخلاقى والسياسى اينما حلت . كما انه ليس لهذا العرق أو ذاك حق مطلق فى تقرير مستقبله على أساس الحاق الضرر بمستقبل عرق آخر مؤهل أن يمنح العالم أكثر بكثير .. » (٢٣) .

وهكذا أكملت سعة اطلاع الصهيونيين الفكرى بعقيدة اخرى تتجاوب مع النظريات التى صاغها مفكرو الرايخ الثالث .

قبل عام واحد من وصول الهتلريين الى الحكم فى المانيا ، وقبل عامين من اجراء مباحثات جولدمان وموسولينى ، كان السكان اليهود فى فلسطين يشكلون ١٩٪ (٢٤) من مجموع السكان . وكان هذا كل ما توصل اليه الصهيونيون وحماتهم البريطانيون على مدى ٣٥ عاما من الجهود الجبارة والمصاريف الضخمة .

ولكن حتى هذا العدد — ١٩٪ — لم يكن يعكس فى الواقع نتائج نشاط الصهاينة . ففى عام ١٩١٧ كان السكان اليهود الاصليون فى فلسطين يشكلون نصف الـ ١٠٪ من سكان فلسطين اليهود

(*) وهناك احد الصهاينة المعروفين الذى يعترف بصراحة ، ان نضال العرب ضد الاستعمار لم يكن يتصف بطابع خاص معاد للسامية .

الذين لم يصبحوا هكذا بفضل جهود هرزل وشركاه اطلاقا . وفى وقت لاحق ، استقر قسم معين من اليهود فى فلسطين وبلدان أخرى بحثا عن مأوى، وذلك بسبب وقوعهم ضحية الثورة المضادة فى أوروبا الشرقية ، وفقدانهم المأوى ، وليس لاهداف صهيونية اغتصابية ، لـ « أرض كنعان » . وهكذا فان عدد المهاجرين الى هذه البلاد على مدى ٣٥ عاما و «بتصريح» من الصهيونيين وتشجيعهم، كان هزيلا جدا . وان واقع ظهور الحزب الشيوعى فى فلسطين عام ١٩١٩ الذى ما زال حتى الان ينتهج خط نضال مظفر ، ينطلق من مواقع أممية ، لشاهد على أشياء كثيرة .

« ليس كل من « دان » بالصهيونية يلم الماما جيدا بأهدافها السامية . نحن نعلم ما تنتظرون منا ــ أنتم تريدون منا أن نحمي قناة السويس . علينا أن نؤمن طريقكم الى الهند عبر الشرق الاوسط . نحن على استعداد لانجاز هذه المهمة الشاقة ، لكن يجب عليكم السماح لنا بأن نصبح قوة قادرة على القيام بواجبها» (٢٥). هكذا صاغ فى العشرينات ماكس نورداو بوضوح الالتزامات المتبادلة بين الصهيونيين والبريطانيين .

وقد سعى الانجليز بشكل منهجى الى خلق مثل هذه القوة فى فلسطين . لقد كان الصهيونيون اقتصاديا فئة ضئيلة من السكان اليهود الفلسطينيين ، وبوصفهم ممثلى الاتحاد العالمى اليهودى ؛ فقد شغلوا المراكز المهيمنة . ومن الناحية السياسية والعسكرية ساعدهم بكل حماسة منتدبو عصبة الامم .

وقد وضعت جميع القوى الدمقراطية بين السكان اليهود ، ناهيك عن الاكثرية العربية ، تحت مراقبة متواصلة ، وكانوا باستمرار يتعرضون للتنكيل . وكان الجهاز المتشعب للمؤسسات الصهيونية التعليمية منها والدعائية يأكل الجالية اليهودية فى فلسطين كالصدأ وبشكل مستمر .

فى ذلك الوقت ، كان البريطانيون يسهمون مساهمة فعالة فى تكوين جماعات حسنة التسلح من المستوطنين اليهود يطلق عليها اسم « الدفاع المدني » ، وكان فى الامكان استخدام هذه الجماعات ضد حركة التحرر الوطنى العربية . وحسب اعتقاد ف. جابوتينسكى، دعى «اليهود ذوو التركيب الاستعمارى» الى توجيه دفة البلاد . « ماذا تعنى مسألة الأمن » ــ استنتج جابوتينسكى ــ فى كلمته التى القاها أمام اللجنة الملكية البريطانية . هل أن أمة مثل

امتكم ، كدست تجارب استعمارية خارقة ، لاتعرف أنه لايمكن الوصول الى الاستيطان ببساطة وبدون اصطدامات مع السكان المحليين .. اجعلوا دفاعنا الذاتى شرعيا . تماما كما تفعلون فى كينيا » (٢٦) .

وهكذا تم تعيين عميل الاستخبارات البريطانية المجرب اللورد تشارلز وينجيت ، قائدا لفصائل « الدفاع الذاتى » بغية تحويلها الى وحدات قتالية ، تأديبية محترفة . وكانت احدى المهمات الرئيسية لهذه الفصائل طرد العرب بالقوة من أرضهم الأصلية . وهكذا يصف اسرائيل بير ـ المستشار السابق لبن جوريون ـ نشاط الفصائل التأديبية الصهيونية بعد أن مرت فى مرحلة التأهيل على يدى وينجيت ، (كتب بير عن سحق انتفاضة العرب المسلحة عام ١٩٣٦ ـ ١٩٣٨) : « ان المجموعات الخاصة الليلة ، أكثر من أى قوة أخرى ، ضمنت القضاء على الانتفاضات (العربية ـ ى.ب.ا) التى كانت تستهدف ، حسب اعتراف اللجنة الملكية الفلسطينية ، الانجليز ، أكثر منها اليهود . ولم يكن انشاء الفصائل الخاصة يهدف الى محق حرب الفدائيين ، بل لحماية المنشأة الامبراطورية النفيسة ـ أنبوب النفط العراقى (الذى كان يصب فى مرفأ حيفا ـ ى ١٠) (٢٧) .

« هاغانا » ـ هكذا كانت تسمى هذه القوات المسلحة التابعة للمستوطنين اليهود وكان من أبرز قادتها فيفل بولكس ، الذى كان رئيسا لمركز الاستخبارات الفاشية فى فلسطين وسورية . وكتبت الصحيفة الألمانية الغربية « شبيجل » بهذا الصدد ، فى ١٩ ديسمبر ١٩٦٦ ، تقول : « ان العميل رايخرت ، من مكتب الاستعلامات فى فلسطين ، أقام صلات مع واحد من أشهر رجال المنظمة الصهيونية السرية ، التى شغلت ، كما لم يشغل شىء غيرها (باستثناء المخابرات البريطانية) بال مخابرات المانيا . لقد كانت هذه المنظمة تدعى « هاغانا » وفى المركز الرئيسى لأركان هذا الجيش السرى عمل فيفل بولكس .. وقد وضعت تحت تصرفه كما أشار رئيس قسم مركز الاستخبارات رقم (١١١١٢) المختص بقضايا اليهود « خاغن » الذى حل مكان فون ميتدلشتاين ، **هيئة جهاز أمن اليهود الفلسطينيين بكامله** » (٢٨) التشديد منى ـ ى.ا.) .

وفى نفس الوقت الذى كان فيه فيفل بولكس مع سفاحيه يخدم ، « الاحتياجات » الخارجية لألمانيا الفاشية ، لم يكن الدكتور

نوسيك ، الذى دافع فى زمن حكم غليوم الثانى عن مشروع توطين اليهود فى الدولة العثمانية خارج فلسطين ، أقل نزاهة فى خدمة « الاحتياجات الداخلية » للفاشيين . أن نوسيك الزعيم الصهيونى والكاتب ، والنحات ، والشخصية السياسية ، فى مكتب برلين حيث عملت فى حينه الشخصيتان الصهيونيتان المعروفتان كارتور روبين ويعقوب تون (٢٩) ، قد صاغ وبمعية النازيين خطة القضاء على عجائز اليهود الألمان وفقرائهم وعاش نوسيك حتى الثمانين . وفى هذا العمر ، وحسب شهادة موشيه سنيه ، نفذ فيه حكم الاعدام مناضلو « غيتو ــ فرصوفيا » ، الذين عاموا الكثير عن جرائمه . « هاك الى أى حد ــ كتب سنيه ــ وصل اخلاص الزعيم الصهيونى البارز للامبريالية الألمانية » (٣٠) .

ان جولدمان ، وبولكس ونوسيك ــ حلقات الاتصال المباشر مع الفاشية ــ لم يتصوروا انفسهم بالاشخاص الشاذين . « لقد تقبل الصهيونيون ترسيخ النازيين فى المانيا لاككارثة وطنية ، ــ كتب الصحافى الألمانى هانس خينه ، ــ بل كامكانية تاريخية فريدة لتحقيق النوايا الصهيونية » . وأكد قائلا « حالما رفع الصهيونيون والاشتراكيون القوميون العرق والقومية الى مستوى الأشياء الاخرى ، كان من المحتم أن يمتد بينهم جسر مشترك « (٣١) »

وقد أشار المعلق الصحفى الأمريكى موريس كوهين الى هذا الرأى الذى محضه تأييده ، فقال : « ان الصهيونيين يشاطرون مبدئيا الايدلوجية اللاسامية ، لكنهم يستخلصون من ذلك نتائج مغايرة . فمكان التوتونى حل اليهودى ، الذى يمثل العرق الأنقى والأرفع » (٣٢) .

وفى عام ١٩٣٣ كان السكان اليهود فى فلسطين يشكلون حوالى ٢٠٪ من مجموع السكان ــ ٢٣٨ الف شخص . وما أن حل عام ١٩٣٦ حتى قفز هذا الرقم الى ٤٠٤ آلاف ، اى اكثر من مرة ونصف المرة (٣٣) . فمن السذاجة القول أن أغلبية تدفق المستوطنين الجدد هى نتيجة لـ « انتصار » الأفكار الصهيونية . ان وحشية المذابح الفاشية هى التى أكرهت اليهود على البحث عن ملاذ ، وكانت فلسطين واحدة من المناطق العديدة التى وجد فيها اللاجئون المأوى . وقد اضطر الصهيونى ايدلمان أن يعترف بهذا الواقع اذ قال : « ان اليهود لم يتوجهوا الى فلسطين من أجل هدف محدد لخلق موطن قومى لليهود ، بل سعوا اليها لانقاذحياتهم فقط » (٣٤) .

وفى هذه المرحلة ، فى برلين وبتأييد من السلطات النازية ، عمل مايسمى بالمكتب الفلسطينى بجد بالاشتراك المباشر مع رئيس الوزراء الاسرائيلى فيما بعد ليفى أشكول على « تصنيف » اللاجئين ويشهد جون ودافيد كيمشي ، مؤلفا كتاب « دروب غير منظورة »، بأن المبعوثين اليهود الفلسطينيين « سافروا الى المانيا النازية ليس من أجل انقاذ اليهود الألمان ، بل من أجل انتقاء الرجال والنساء الشباب المتأهبين للتوجـه الى فلسطين ، كى يصبحوا روادا يناضلون ويحاربون » (٣٥) .

ويؤكد هانس خينه ، معتمدا على معطيات وثائقية ، بأن : «.. رئيس قسم مركز الاستخبارات لشئون اليهود رقم(١١١١٢) فون ميتدلشتاين دعم بكل قوته نشاط المنظمات الصهيونية المتعلق بانشاء معسكرات تختص باعادة تربية اليهود الشباب واعدادهم للاستفادة منهم فى التعاونيات الزراعية فى فلسطين . وقد تابع باهتمام عمل الصهيونيين ، وأعطى فى قسمه أمرا بوضع خرائط خاصة يدون فيها نمو الصهيونية بين اليهود الالمان » (٣٦) .

ان هذه المعسكرات المسماة بمعسكرات « اعادة التربية»انشئت فى المانيا الفاشية نتيجة المباحثات التى جرت بين المبعوثين اليهود وايخمان . « لقد كان ايخمان يحتقر اليهود المتجنسين . ويثير حنقه اليهود المتشددون . لكن ايخمان كان يحب الصهيونيين ، وذلك لان المتشددين ، هؤلاء كانوا مثله « مثاليين « (٣٧) ، ـ هذا ما كتبته الصحفية الاسرائيلية حنة أردنت .

وكما نعلم ، كان الصهاينة ينشدون دائما اللاسامية ، فقدعلقوا عليها ، صراحة ، آمالهم ونجاحهم . ولذا ، كان كل شىء طبيعيا لقيام اتحاد سرى بين الصهيونية والفاشية . وسعيا منهم وراء أهدافهم استجابوا على طريقتهم لولائم الفاشية المعادية للسامية ، وكتب الصهيونى البريطانى اللورد ميلتشات ، فى الكتاب الذى اصدره عام ١٩٣٧ ، أن اضطهاد اليهود فى المانيا يشكل عائقا فى طريق قيام تفهم متبادل بين الشعب الالمانى وبقية الشعوب الاوروبية وبهذا الخصوص ، وبغية تحسين الوضع الناشىء ، اقترح ميلتشات اجراء اجلاء جماعى شامل لليهود الالمان وتوطينهم فى فلسطين . لا يجوز ، ولا بأى شكل من الاشكال ، تسمية كتاب ميلتشات وثيقة تفضح وحشية الفاشية (٣٨) .

وكان موقف حاييم وايزمان من أحداث المانيا أكثر برودة

وتساهلا . وجوابا على استفسار اللجنة الملكية البريطانية حول امكانية ترحيل ٦ ملايين يهودى المانى غربى الى فلسطين أجاب :

« لا .. القدماء سيرحلون عن هذا العالم .. انهم الغبار الاقتصادي والاخلاقى لهذا العالم الكبير ــ وسيبقى الشباب فقط»

وبعد مضى ٢٢ عاما على هزيمة المانيا الفاشية ، باح الزعماء الصهاينة بسر الاسباب التى استدعت اتخاذ هذا الموقف الحيادى المخلص . « لو كنا ، نحن (الصهاينة) ، قد راينا مهمتنا الاساسية (التشديد منى ــ ى.أ.) فى انقاذ العدد الاكبر من اليهود ــ هكذا أعلن أحد الصهيونيين المعروفين العازر ليفنيه ــ لوجب علينا التعاون مع الانصار ــ لقد كانت قواعد الانصار منتشرة فى بولونيا، وليتوانيا ، وفى المناطق المحتلة من روسيا ، وفى يوغسلافيا، وفيما بعد فى سلوفاكيا . ولو كان هدفنا الرئيسى (التشدد منى ــ ى.أ.) هو اعاقة القضاء على (اليهود) ، ولو أقمنا ، نحن ، صلات مع قواعد الانصار ، لاستطعنا انقاذ الكثير » (٣٩) .

وبهذا الصدد أعلنت الشخصية الصهيونية حاييم لانداو علانية آراء اسحق غرينباوم ، الذى تراس فى سنوات الوحشية الفاشية، اللجنة الصهيونية التى يطلق عليها اسم « لجنة الانقاذ » : « عندما سئلت ــ كما يستشهد لانداو يقول غرينباوم ــ هل ستعطى الاموال من المجهود الصهيونى لانقاذ اليهود فى بلدان التشرد ، أجبت « كلا» وها أنا من جديد أقول « لا » . أعتقد أن من اللازم مناهضة هذه الموجة التى يمكن أن تفرقنا وتدفع بنشاطنا الصهيونى الى المؤخرة » (٤٠) . لقد انحصرت سياسة زعماء الصهيونية فى التشجيع الصامت للفاشيين (على أساس تواطؤ المبعوثين الصهيونيين مع ايخمان) وايجاد الشروط ، التى تساعد عملية اضطهاد اليهود فى المانيا لتقطع شوطا آخر ممكنا ، والى جانب ذلك ، قامت فى المنظمة ضجة احتجاجات متأخرة بغية كسب رأسمال سياسى أو غيره .

وأشارت حنة أردنت الى الاثار الرئيسية « للاتفاق المتبادل والمرضى الى حد كبير ، بين السلطات النازية والوكالة اليهودية »، فكتبت تقول : « ان النتيجة المباشرة لذلك هى أنه فى الثلاثينيات، وفى الوقت الذى بذل فيه اليهود الأمريكيون مساعى جديدة لمقاطعة البضائع الألمانية ، كانت فلسطين تغرق بالبضائع التى تحمل العلامة التجارية « صنع فى المانيا » (٤١) .

وكتب الصحافى الأمريكى داود فلينكر فى صحيفة « توك مورغان جورنال » بتاريخ ٢٤ ابريل ١٩٦٣ ، مؤكدا على « الاتهام الذى وجه لبن جوريون . وهو على رأس الوكالة اليهودية فى أورشليم ، كونه عقد « صفقة » مع الحكومة الهتلرية بغية استلام أموال المهاجرين اليهود اليهود بضائع المانية . ومن ثم احباط الحصار المضروب حول النازيين .. » . وأكثر من ذلك ، لقد اتهم الكاتب بن جوريون علانية بالصمت المقصود فى تلك المرحلة التى أصبحت فيها وحشية الفاشية معروفة للرأى العام العالمى .

... فى ٢٥ نوفمبر عام ١٩٤٠ ، أدى نسف السفينة «باتربيه» فى مرفأ حيفا ، الى مقتل ٥٠ شخصا من طاقم السفينة و ٢٠٢ راكبا من المهاجرين .

وعلى أحد مفارق المتاهة المعقدة للاحداث فقد هؤلاء الناس حياتهم بدون أن يعرفوا قتلتهم ، ولا أسباب الاجرام الحقيقية . وقد سبقت هذه المسألة سلسلة كاملة من الاحداث . وكانت تبدو وكأنها حلقة من المناورات المعقدة دبرها وأنجزها بطريقة محكمة رؤساء المؤسسة الصهيونية . فالتحدث عن ذلك أمر ضرورى من أجل العودة من جديد الى حادث الانفجار على « باتربيه » .

كان يعقوب ح . شيف وصهره ووريثه فيلكس ل . فاربورج . وابن هذا الاخير ادوارد فاربورج ، يعدون بين كبار أصحاب المصارف الاميركيين « اشخاصا متوقدى المخيلة » . لقد نشر بداية هذه السمعة صاحب مصرف « كون وليب وشركاهما » يعقوب شيف ، الذى اصبح السيد الحقيقى لـ «اللجنة اليهودية الأميركية» المؤسسة عام ١٩٠٦ ، والتى أشهرت قضية « الدفاع عن اليهود فى العالم أجمع » بصفة بند أساسى لبرنامجها . على أن مشروع شيف لم يكن يتميز بابتكاره ، وذلك لأنه لم يكن الا تكرارا للمشروع البريطانى الذى كان يعول فى أوروبا على المؤسسة الصهيونية العالمية التى أسسها هرزل . الا انه كان يبدو لاميركا شيئا جديدا وكان على « اللجنة اليهودية الاميركية » تحت مظهر الاهتمام بمصائر يهود هذا البلد أو ذاك ، أن تسهل تسلل رأسمال « كون وليب وشركاهما » وشركة « الاخوان نيمان وشتراوس » الى مناطق مختلفة من الكرة الأرضية . (ولنلاحظ أن الحاخام الريفى شنارسون كان يلتقى فى المانيا مع ممثلى جماعة الماليين هذه) .

فطبقا لتعليمات رؤسائها ، اتخذت « اللجنة اليهودية الاميركية» بادىء ذى بدء ، موقفا مناهضا كليا للصهيونية ، وذلك لأن

الصهيونيين محضوا حمايتهم لتسلل.رأسمال دولة عظمى أخرى هي انجلترا . على أنه في عام ١٩٢٦ ، قام مصرف « كون وليب وشركاهما » ، و « الاخوان ليمان » وبمشاركة رأسمال أ. مارشال و ل . شتراوس ، بانشاء « الاتحاد الاقتصادي الفلسطيني » . ولمصلحة جيوبهم الخاصة وقفوا كالطود الى جانب الصهيونية . وخلال زهاء عشر سنوات ، « صهر » هذا التكتل المالي بتأييد عدد كبير من كبار ممثلي رأس المال اليهودي ، أغلبية المنظمات اليهودية الأميركية (بما في ذلك الجمعيات الدينية) في منظمات صهيونية أو موالية ، وخلال قرابة عشرين عاما استطاع هذا الاتحاد أن يضاعف رأسماله المساهم خمس مرات ، وان يخضع لنفوذه معظم فروع الاقتصاد الفلسطيني .

وفي عام ١٩٢٩ ، قام ا. مارشال ، أحد المساهمين في « الاتحاد الاقتصادي الفلسطيني » ، باستكمال المحادثات مع قادة المنظمة الصهيونية العالمية الموالين لانجلترا ، من اجل ضم الاميركيين « اللاصهيونيين » ، الى الوكالة الصهيونية الأوربية ــ المجلس الاستشاري ــ التشريعي التابع للمندوب السامي البريطاني في فلسطين * . (وفي عدد الـ ٥٠٪ من « لا صهيونيي » الوكالة، ممثلو كبار رجال الاعمال الاميركيين)

وفي عام ١٩٣٦ ، بدأ يتكون المؤتمر اليهودي العالمي الانف الذكر ــ الفرع « اللا صهيوني » للمنظمة الصهيونية العالمية . وقد هيمن على قيادة المؤتمر اليهودي العالمي بشكل سافر ، ممثلون وعملاء ماجورون لرجال المال الاميركيين برئاسة ناحوم جولدمان .

لقد رأى الزعماء الصهيونيون في تأسيس « المركز اليهودي القومي » في فلسطين ، عملا مؤهلا ليجلب لهم ، بصورة خاصة ، منافع ضخمة . أما المرامي التي استهدفوها بهذا الصدد ، فقد جرى الحديث عنها بشكل مسهب في الفصول السابقة . ان تعاون الصهيونيين الوثيق مع الانجليز حتى عام ١٩٣٩ ، كان يفسر بتطابق مصالح الأوساط البريطانية الحاكمة مع مصالح زعماء الصهيونية في منطقة الشرق الأوسط من ناحية ، ومع المركز القيادي الذي كانت تشغله بريطانيا آنذاك بين الدول الامبريالية الكبرى ، من ناحية أخرى .

(*) يرجى عدم خلطها مع وكالة الانباء اليهودية ــ دائرة الدعاية للصهيونية العالمية ..

ان تنشيط تسلل رأس المال الاميركي الى فلسطين ، ونمو نفوذه داخل الاتحادات اليهودية ، وبنفس الوقت مغازلة الصهيونيين للنازيين والاميركيين ، كانت تضع الاوساط المالية في لندن أمام ضرورة الضغط على قيادة الاتحاد الصهيوني بغية اكراهها على التعاون المطلق معها .

وفي عام ١٩٣٩ اقرت بريطانيا العظمى ــ صاحبة العديد من مشاريع تهجير اليهود لاستيطان فلسطين ــ وبصفة أحد التدابير، قانونا يفرض قيودا صارمة على هجرة اليهود الى فلسطين ، وفي ذات الوقت ، سعت الى استمالة الزعماء الاقطاعيين من سكان فلسطين الأصليين لتنظيم اصطدامات مع المستوطنين اليهود .

وفي ذات الوقت ، استمر الارهاب النازي ضد اليهود بقوة متنامية . وأصبح طريق آلاف الناس في المانيا يمر اما عبر معسكرات الاعتقال واما عبر معسكر « اعادة التربية » وفلسطين . لقد كتب أحد قادة الاستخبارات الألمانية ، هاغن ، مستشهدا براي بولكس ــ العميل الصهيوني والنازي ،يقول : « كان يسود الاوساط اليهودية القومية ارتياح عميق لسياسة المانيا الجذرية تجاه اليهود وذلك لان هذه السياسة تساعد على زيادة السكان اليهود في فلسطين بشكل يصبح معه بالامكان الاعتماد على تفوق السكان اليهود على العرب في المستقبل القريب » . (٤٢)

وأشار هانس خينة الى أن السياسة البريطانية قد اصطدمت بمناهضة الكتلة الصهيونية ، المؤيدة من منظمة «الهاغانا» والتي كان في قيادتها بولكس ، الشخصية الموثوقة عند ايخمان . (٤٣) وقد قامت هذه المنظمة « بتكوين شبكة أوروبية من الرجال الموثوقين، الذين كانوا يسهلون هجرة اليهود بصورة سرية الى فلسطين . وكان رجال جولومب على شيء من القسوة للاستفادة منهم في التهجير بمساعدة رجال الحرس الهتلري الخاص ..» (٤٤)

وفي محاولة لفك عقدة الارتباطات السرية بين النازيين والصهيونيين ، يروي خينة انه « في وقت المجازر اليهودية التي كانت تحمل اسما اصطلاحيا « الليل الشبفاف » ، وصل اثنان من ممثلي المأسادا (*) ــ بينو جينتسبورغ وموشيه افرباخ ، الى رايخ ادولف هتلر ، وعرضا عليه الاسراع في البرنامج الصهيوني الخاص باعادة تربية اليهود الراغبين في الرحيل الى فلسطين ..

(*) الماسادا ، واحدة من المنظمات التي اسسها زعماء « الهاغانا » .

.. وكان على وسائل المواصلات الالمانية التابعة للمسادا التى تنقل اليهود ـ وهذا كان شرط المخابرات الألمانية غيرالرسمى ـ عدم التلميح الى فلسطين كوجهة سفر » . (٤٥)

وفى مارس ١٩٣٩ ، أعد ب . جينتسبورج أول وجبة له من المجندين الجدد . « لقد كانت هذه الدفعة تضم ٢٨٠ نازحا ، كما يشهد خينة . وكانت المكسيك هى البلد المعين للسفر اليه تنفيذا لأمر هيئة أركان الرايخ . وفى فيينا انضمت هذه الدفعة المؤلفة من ٢٨٠ شخصا الى جماعة كان قد جهزها موشيه افرباخ . وفى المرفأ اليوغوسلافى سوشاك ، نقل هؤلاء الى السفينة « كولورادو » وبالقرب من كورفو انتقلوا الى السفينة « أوترنتو » ، حيث أوصلوا الى فلسطين . فكلما كان انفعال السلطات البريطانية شديدا ، كانت رئاسة أركان هايدريخ أكثر استعدادا لتقديم المساعدة (للصهيونيين) . وما أن انتصف فصل الصيف حتى أذنت رئاسة أركان هايدريخ لجينتسبورج بتوجيه المركب الى ايمدن وهامبورج من أجل ترحيل اليهود من المانيا مباشرة ..» (٤٦)

وكما نعلم ، لم يتركز هدف الصهيونيين على الاهتمام بانقاذ حياة الناس ، بل على زيادة عدد المستوطنين اليهود فى فلسطين . ومثل هذه السياسة كانت تستجيب كلية لمصالح الرأسمال الاحتكارى الاميركى ، الذى شرع يتألف بشكل سافر مع الاتحاد الصهيونى العالمى (خرقا للعقود القديمة مع انجلترا) . وقد حددت هذه الظروف بالذات مسبقا مصير ركاب السفينة « باتريه » .

فعندما ألقى المركب بمراسيه فى مرفأ حيفا ، رفضت السلطات الاستعمارية البريطانية استقبال المهاجرين ، متذرعة بأمر حكومى ، ومشيرة الى أنها ستقود المركب مع مسافريه الى جزيرة « موريس » ، وعندها اتخذت المخابرات الصهيونية قرارا بنسف « باتريه » مع ركابه .

وفيما عدا بعض الأسباب المموهة الكامنة وراء تحقيق هذا الفعل الوحشى ، كان الشىء الجلى هو أن الصهيونيين ، قبل أن يقدموا على نسف « باتريه » مع ركابها ، أعدوا أسطورة لم يسبق لها مثيل عن الانتحار الجماعى لاولئك الذين « فضلوا الموت على فراق الوطن » . وقد حسب زعماء الصهيونية أن مقتل الناس ونشر مثل هذه الخرافة قد يساعدان معا على ترسيخ « روح الصهيونية

فى كل مكان » ، ويوقظان الرأى العام العالمى ضد الانجليز وبالتالى يساهمان فى القضاء على القانون البريطانى الذى يحد من الهجرة الى فلسطين ، الأمر الذى كان يلقى تأييدا نشيطا فى ذلك الوقت من قبل أوساط مالية أميركية معينة .

ان حدوث الانفجار (فى « باتريه » — ى . ا) لم يكن عملا شكليا ، — كما كتب جون وداود كيمشى . ولم يكن سرا على أحد أن « الهاغانا » ، هى التى نظمت هذا الانفجار . ولكن داخل فلسطين وخارجها — كما يشير الكاتبان — لاقت رواجا كبيرا الأسطورة القائلة ان المهاجرين هم الذين نسفوا المركب .. » (٤٧)

وعند قيام اتصالات بين قيادة المنظمة الصهيونية العالمية وكبار ممثلى الرأسمال الاميركى (فى أواخر العشرينات وأوائل الثلاثينات) ، بدأ عدد أعضاء المنظمات الصهيونية فى الولايات المتحدة ينمو باطراد حتى بلغ فى عام ١٩٤٥ ، ٤٠٠ ألف شخص . وقد كتبت الصحيفة اليهودية الاميركية « فورفارد » فى ١١ ديسمبر ١٩٤٣ كاشفة عن أسباب هذا النمو السريع تقول : « ان المؤتمر اليهودى (فى الولايات المتحدة . ى.ا) يستيقظ فقط عندما تفوح فى الجو رائحة الأعمال المرتبطة بفلسطين ، وينام عندما تطرح مسألة انقاذ اليهود من التشتت » . من البديهى أن مصرف « كون وليب وشركاهما » قد لعب دورا كبيرا فى خلق مثل هذا المزاج . وتجدر الاشارة الى أن «الانتعاش » عند مناقشة القضايا الفلسطينية لم تستثره رغبة التوجه للسكن فى « أرض الميعاد » ، وان الهجرة من الولايات المتحدة الى فلسطين كانت على مدى السنين ضعيفة جدا . وباعتراف وزارة الخارجية الاميركية فان الولايات المتحدة (وبعبارة أخرى الاحتكارات الاميركية) كانت تهتم ، طول سنى الانتداب البريطانى ، بفلسطين، وتعارض قانون عام ١٩٣٩ الذى حد من الهجرة » . (٤٨) وفى ديسمبر من عام ١٩٤٢ طالب ٦٣ شخصا من مجلس الشيوخ الأمريكى و ١٨١ من الكونجرس ، روزفلت بـ « اعادة بناء الوطن اليهودى » (٤٩) وفى يونيو عام ١٩٤٥ ، توجهت أغلبية المجلسين الى ترومان بطلب ترجوه فيه أن يستعمل كل مالديه من نفوذ لفتح فلسطين « بهدف تسهيل الهجرة اليهودية **والاستيطان** » .

(لنلاحظ أن جميع الوثائق الموضوعة فى ازمنة مختلفة ،تشهد على أن جميع القوى المعنية ، بدأ بنابوليون بونابرت وانتهى بالاوساط الحاكمة الامبريالية الاميركية التى برزت الى الصفوف الاولى بعد

الحرب العالمية الثـانية ، تحدثت بشكل جلى لا يقبل الريبة عن استعمار البلد المعروف بفلسطين) .

ويبين ا . ليلنتال انه بدأ من ديسمبر ١٩٤٢ أصبح الرؤساء الاميركيون موضع ضغط هائل من قبل الشيوخ والنواب الـذين كانوا يطالبون باكراه انجلترا على رفع قيودها عن الهجـرة الى فلسطين . (تنبغى الملاحظة بأن الرأسمال المساهم لشركة أميركية واحدة ــ « الاتحاد الاقتصادى الفلسطينى » ــ تضاعف ، الى ذلك الحين ، أكثر من ٤ مرات ، وكان بحاجة الى ضمانات وحماية) .

وفى غضون ذلك شهد وزير المال فى حكومة روزفلت ، هنرى مورجمانتاو ، ((**انه بدأ من أغسطس عام ١٩٤٢** (التشديد منى . ى.ا) عرفنا ، نحن ، فى أميركا أن النازيين يخططون للقضـاء على جميع اليهود فى أوربا . وبعد عام ونصف العام أصبح المخطط الجهنمى معروفا ، والادارة الحكومية الاميركية لم تعمـل شـيئا عمليا » . (٥٠)

وهكذا طالب الشيوخ والنواب برفع القيود التى فرضـتها انجلترا فى فلسطين على الهجرة ، وكذلك بحرية نقل اللاجئين الى الاشرق الاوسط ــ وليس الى الولايات المتحدة الاميركية حيث كانت مئات البواخر تبحر وهى « فارغة » بعدأن تبقى حمولتها فى أوروبا فأغلقوا بذلك حقا طريق الخلاص الوحيد أمام آلاف اليهود .

وحسب رأينا ، تظهر هنا بجلاء البصمات المألوفة « للاتحـاد الاقتصادى الفلسطينى الاميركى » والمركز الصهيونى .

وفى السنوات الأخيرة للحرب العالمية الثانية أصبحت وحشية الهتلريين معروفة لدى الرأى العـام العالمى . على أن الصهيونيين المشتركين فى العديد من الأعمال الاجرامية بقـوا فى الظـل . واستغلوا امكانيات ووسائل حلفائهم فتجنبوا الحسـاب تاركين وراءهم متاهة الدروب المعقدة .

وفى تلك الفترة ، كانت « لجنة الانقاذ » ، المعينة من قبل الوكالة اليهودية الصهيونية تمارس أعمالها فى المجر ، برئاسة الصهيونى رودولف كاسنر ، الذى كان على علاقات متينة مع ايخمان . «لقد كان الدكتور المجرى كاسنر ، أبرز « مثالى » يهـودى التقى به ايخمان » . « لقد توصل معه ايخمان الى اتفاق حول الترحيـل « السرى » (الى فلسطين ــ ى.ا) لبضعة آلاف من اليهود تحت حماية البوليس الألمانى مقابل ضمان كاسنر « الهدوء والنظام »

فى المعسكرات (المجرية ـ ى.ا) التى سيرحل منها مئات الآلاف الى أوستفنسيم » . وأشبارت ح. أردنت الى أن « اليهـود الميسورين وأعضاء منظمة الشبيبة الصهيونية ، الذين أنقذوا نتيجة للتواطؤ ، كانوا فى مفهوم ايخمان أفضل مادة بيولوجية ، بحيث يكون الدكتور كاسنر ، انطلاقا من وجهة نظره ، (أى ايخمان) قد ضحى بجماعته (نصف مليون انسان ـ ى.ا) من أجـل الفكرة ..» . (٥١)

لقد وصل الدكتور كاسنر سالما الى فلسطين ، وبدل اسـم رودولف باسم اسرائيل ، ومن ثم أصبح شخصية صهيونية معروفة فى حزب « الماباى » الذى يرأسه بن جوريون وجولدا مايير . ولكن أجهـز عليه البوليس السرى الاسرائيلى (٥٢) فى وقت لاحق لاعترافه بواقع اشتراك المركز الصهيونى فى عملية القضاء على مئات آلاف اليهود المجريين .

... انصرم عام ١٩٤٤ . وتحت ضربات الجيش السوفيـاتى الجبارة اخذ الجيش الهتلرى يتقهقر . وبدأت بشكل حـاد تلمس الخسائر فى التكنيك والأرواح . ومن أجل نقل وحشد الجيوش فى أكثر قطاعات الجبهة الشرقية صعوبة ، كان على القيادة الألمانية أن تؤمن وسائل النقل التى تشتمل على آلاف سيارات الشحن .

وفى أوائل ابريل عام ١٩٤٤ ، تسلم ايخمان تكليفا بأن يؤمن عن طريق الصهيونيين تسليم عشرة آلاف سيارة شحن الى الجبهة الشرقية مقابل وعـد بتحـرير الاشخاص من أصـل يهـودى والموجودين فى المعسكرات الألمانية بغيـة ترحيلهم الى فلسطين . (فى ذلك الوقت كان السكان اليهود فى فلسطين يشكلون ٣٠٪ من مجموع السكان العام) . وفى المجر تلاقى ايخمان مع أحـد زعماء الصهيونية ، جول براند ، وبدون أدنى ابطاء ، أعـلم براند اللجنة الصهيونية التى ارسلته الى اسطنبول ، باقتراح النـازيين بغية مناقشة المسألة مع ممثلى الوكالة اليهودية . (٥٣)

وبدون تردد ، وافق الزعماء الصهيونيون برئاسة ح. وايزمان على تسليم قيادة الجبهـة الشرقية الألمانية عشرة آلاف سـيارة شحن . (٥٤) لقد كان القرار الذى اتخذه الصهيونيون طبيعيا جدا ، اذ انهم كانوا دائما يعتبرون الاتحاد السوفياتى وقواته المسـلحة أعداء مباشرين لهم .

ان السـاسة ورجال الأعمال الصهيونيين الذين مافتئوا يصرخون بأنهم هم « المدافعون » عن جميع يهود العـالم و « المحسنون »

اليهم ، لم يربكهم اطلاقا واقع أن صـفوف الجيش الذى بذل كل جهده من أجل وقف الفاشية كان فيها جنود ، وبحارة ، وضباط ، وجنرالات يهود الى جانب الروس ، والأوكرانيين ، والبيلوروسيين، ومحاربى كافة القوميات الأخرى . ولم يـكن لهـم جميعا . من شيوعيين ولا حزبيين ، غير وطن واحد هو اتحـاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية ، وقد دافعوا عنه بجدارة . ولم يمسـهم اطلاقا الهلاك المتوقع الذى كان من شأنهم أن يتعرضوا له فى ظروف كان الصهيونيون على استعداد للتمهيد لها بنشاط . وقد كان على حق الصـحفى الاميركى مـوريس أرنست الذى قال ان « مسألة الدم البشرى هى اقل ما يقلق الصهيونيين ، خصوصا ، اذا كان الدم المسفوك ليس دمهم » . (٥٥)

ان زعيم الصهيونية العالمية ، آنذاك ، حاييم وايزمان الذى كان فى بطانته معاونون أمثـال ناحـوم جـولدمان ، وبن جـوريون ، وجولدا مايير ، وليفي أشكول ، وكثيرون غيرهم من الزعمـاء الصهيونيين الحاليين ، قد انبرى يطالب ونستون تشرشل بلجاجة لمساعدته فى الانجاز التكنيكى لمشروع تسـليم الشاحنات . و « بامتعاض شديد وعلى الرغم منه .. رفض » (٥٦) منظم العديد من الأعمال التخريبية ضد الاتحاد السوفياتى ، وما كان ذلك منه الا خوفا من الفضيحة ومن غضب الرأى العام العالمى .

وفى السنوات الأخيرة من الحرب العالمية الثانية ، وتحت تأثير قوى الرأسمال الأميركى المهيمنة أكثر فأكثر فى العالم الرأسمالى، تعرض الاتحاد الصهيونى العالمى لاعادة تنظيم متزايد وشامل ، بغية ايجاد التقارب ، فى المستقبل العاجل ، بين الاتحاد الصـهيونى والآلة الاقتصادية الاستخبارية الدعائية والحربية الاميركية .

وفى ذلك الوقت تعاظم تسلل الرأسـمال الاميركى الى منطقة الشرق الأدنى ، بما فى ذلك فلسطين ، وازداد بمقدار كبير عـدد المنظمات الصهيونية فى الولايات المتحدة الاميركية نفسها . واتباعا لتكتيكها الرامى الى الحصول على تأييد أكثر الدول الكبرى جبروتا فى المرحلة التاريخية الآنية ، ربطت قيادة الاتحاد الصهيونى العالمى مصيرها بالرأسمال الاحتكارى الاميركى بشكل أوثق .

لقد كتب لعازر ليفنه واصفا الصهيونية فى الولايات المتحدة ، قال : « ان المنظمات الصهيونية فى الولايات المتحدة لم تكن تشاطر مطلقا أفكار **النزوح الشخصى** وبناء الدولة اليهودية ، بل كانت تؤيد الأعمال السياسية والمالية التى ينبغى أن تتم على أيدى يهـود

آخرين » . (٥٧) وحسب التعبير الصائب لاحد الزعماء الصهيونيين، ان الحوار الصهيوني في الولايات المتحدة ينحصر في أن « الداعية المحرك يقنع اليهودي بالرحيل الى فلسطين ، على أن الأخير يؤكد بأنه يفعل هذا بعد أن يتوجه الداعية نفسه الى هناك » .

وفي ديسمبر عام ١٩٤٤ ، في بيتسبورج (الولايات المتحدة) انعقدت دورة المؤتمر اليهودي الاميركي الثانية ، حيث كان يهيمن الصهيونيون ، وسعى عدد كبير من الأعضاء لطرح مسألة تنامي العداء للسامية في الولايات المتحدة على المناقشة في المؤتمر . فأعلن م. سلونيم ــ ممثل سان لويس ــ أمام المؤتمر « يبدو أن معضلة الواقع الأميركي تربك المندوبين أكثر من أية مسألة . وان الغالبية العظمى من المثلين تشعر بضرورة طرح مسألة النضال ضد اللاسامية في الولايات المتحدة الاميركية للمناقشة وادخالها في برنامج العمل » (٥٨) .

لقد استغل الصهيونيون مسألة هيمنتهم على المواقع الحساسة في الندوة التي اشترك فيها ممثلو التيارات السياسية والفكرية للطائفة اليهودية الاميركية ، فانحرفوا بالمؤتمر عن مسألة مناقشة اللاسامية . الأمر الذي دفع الحاخام ماكس نوسباوم ليعلن : « أليس من العبث أن يجتمع ٥٠٠ مندوب في عام ١٩٤٤ الجاري، لمعالجة جميع القضايا الموجودة تحت الشمس ، باستثناء تلك التي تهم أكثر من غيرها كل يهودي أميركي » (٥٩) .

أما زعيم الصهيونية العالمية ناحوم جولدمان ، فقد أعلن رأيه بصراحة متناهية اذ قال : « ان المؤتمر انعقد من اجل أهداف ، اتجرأ بأن أصفها بأنها تهم الحياة اليهودية أكثر بكثير من النضال ضد اللاسامية في الولايات المتحدة » (٦٠) .

ورضوخا لارادة قيادة الصهيونية ، تجاهل المؤتمر كليا مسائل النضال ضد النازية ، والمح بشكل عام الى انقاذ يهود أوروبا ، « التي كانت تهيمن فيها دول المحور » . والى جانب ذلك ايد المؤ القرار الداعي الى استيطان فلسطين ، والقرار الخاص بـ «اعادة تعمير الممتلكات اليهودية» بعد الحرب . وان القرار الداعي الى تأسيس « اللجنة اليهودية العالمية للانهاض » ، والذي نص على ضرورة اعادة تعمير ممتلكات الجماعات ، والمؤسسات ، والعائلات التي قتل افرادها ، قد أرسى منذ عام ١٩٤٤ أسس الاتفاق حول دفع التعويضات (٦١) (الاموال بدلا من الدماء التي أريقت)،والذي

عقدته فيما بعد الطغمة الصهيونية الحاكمة فى اسرائيل مع النازيين الجدد ، حكام المانيا الغربية .

***

انتهت الحرب العالمية الثانية بهزيمة المانيا الفاشية ، وفوق الريخستاخ رفرفت راية النصر الحمراء ، التى رفعها الجنود السوفيات . وانفتحت على مصاريعها أبواب السجون والمعتقلات النازية : وبتدابير لا يعرفها غير قلة من الناس ، تبعثرت بقية السفاحين النازيين فى العالم . ولعل ايخمان كان أكثرهم جميعا اطلاعا على حقيقة دور النشاط الصهيونى السرى وطبيعته فى سنوات الحرب .

وما أن انتهت الحرب ، حتى تم ارسال بن جوريون ، فى يونيو من عام ١٩٤٥ ، الى الولايات المتحدة بمهمة خاصة . وهناك التقى مع « جماعة من الاشخاص الموثوق بهم » للبحث في موضوع .. حرب جديدة . وقد تطرق الحديث الى تكوين صناعة حربية فى القسم المستعمر من فلسطين ، اذ أنه (كما عبر بن جوريون) « ينتظرنا ، على ما يظهر ، فى المستقبل القريب ، صراع مسلح مع الجيوش العربية » .

لم يتمكن بن جوريون فى كتابه « اسرائيل وسنوات النضال » ، من كبت رغبة التباهي بذكائه فى المساومة ، « وكذلك بذكاء « أصدقائه الموثوقين » فى الولايات المتحدة » ، اذ قال : « بأقل من مليون دولار اقتنينا عتاد المعامل الحربية الذى يساوى عشرات الملايين ، والذى نقل الى فلسطين كاملا سالما » (٦٢) .

وفى يوليو عام ١٩٤٧ ، أصدر بن جوريون ، بصفته « وزيرا للدفاع » أمرا الى فصائل الهاجانا المسلحة «**نص على أن تكون الهاجانا العامل الأساسي والحاسم ، وأن الاعتداء العربي لا يمكن مجابهته الا بقوة السلاح ، وليس هناك اى حل غير الحل الذى يجابه السلاح اليهودى » (٦٣) .**

وقبل ذلك بسبعة أشهر ، فى ديسمبر من عام ١٩٤٦ ، تم ، فى المؤتمر اليهودى الثاني والعشرين (فى بال) ، شكليا ، تكريس انتصار الجناح الموالى للاميركيين فى الصهيونية العالمية . وفى محاولة لتثبيت استكمال عملية تآزر قوى الامبريالية الاميركية والصهيونية العالمية ، أشار الدكتور موشيه سنيه الذى كان آنذاك عضوا في الوكالة اليهودية الى أن النفوذ السياسى للولايات المتحدة الاميركية وحده مع ضغط قوى اليهود الفلسطينيين المسلحة

« بمقدورهما ارغام بريطانيا على تنفيذ مطالبنا » (٦٤) . وفى أول الامر كانت مطالب الصهيونيين هذه ، الذين يحظون الآن بالتأييد السافر من قبل الرأسمال الاحتكارى الاميركى ، تقتصر على الغاء بريطانيا للقيد المفروض على هجرة اليهود الى فلسطين .

وفى آن واحد مع الحملة الواسعة من أجل السماح بجهرة اليهود الحرة الى فلسطين ، قام المركز الصهيونى ، الذى نقل عمله من انجلترا الفقيرة الى الولايات المتحدة ، بحملة ناشطة من أجل « انقاذ اليهود » الموجودين فى معسكرات « النازحين » فى أراضى اوروبا الغربية بعد الحرب .

وقام الزعماء الصهيونيون بالبحث عن مختلف وسائل «الانقاذ»

لقد قدم . مثلا ، الحاخام كلاوزنر فى أحد تقاريره أمام المؤتمر اليهودى الاميركى الذى مارس عليه الصهيونيون اشرافهم (بصدد محاولات الصهيونيين ارسال سيل من « النازحين » من المعسكرات الى فلسطين) ، اقتراحا حول ايقاف تزويد « الافراد من أصل يهودى» بالمواد الغذائية ، الى جانب اعطاء مهمة « كى تقوم الهاجانا بارهاب اليهودى .. » (٦٥) .

ونوهت الشخصية النقابية الاميركية ، لويس لمسن « بأن المنظمات الصهيونية التى تتحكم بمعسكرات « النازحين » ، سعت بمختلف الطرق الى اكراههم على تقبل الصهيونية ، والالتحاق بالجيش « الفلسطينى » ، ونبذ الخلافات السياسية الطبيعية كليا » (٦٦) .

وروى الصحفى الاميركى موريس ارنست علانية كيف أحبط الصهيونيون جميع المحاولات الرامية الى فتح منفذ أمام «النازحين» من أصل يهودى ، للدخول الى الولايات المتحدة الاميركية ، تماما كما منحهم حق « اللجوء السياسى فى أى بلد يختارونه هم » (٦٧) . ولم يشأ الصهيونيون أن تفلت من أيديهم « القوة الحية » التى أفسحوا لها ، بوعى ، حتى فى السنوات المبكرة من نشأة الفاشية فى أوروبا ، دور عناصر « تخضع لاعادة التربية» بغية «الاستصلاح» الاستعمارى لفلسطين .

لقد نقل الاتحاد الصهيونى العالمى مقر أركانه ، وأدخل تبديلات فى ترتيب حلفائه ، وبدل فى تكتيكه ، على أنه له يستبدل أهدافه الستراتيجية المطابقة للظروف الاميركية ، التى وصفها فرانكلين روزفلت بالشكل التالى : « انهم (الصهيونيون) يعرفون انه سيتاح

لهم **تركيز مبالغ مالية ضخمة** (التشديد منى ــ ى.أ.) من أجل فلسطين اذا هم أعادوا الكرة بالتبرع بدمائهم : فليس فى العالم مكان آخر يمكن لليهودى المعدم أن يذهب اليه . أما اذا وجدت امكانية اللجوء السياسى للنازحين حسب اختيارهم ، وبصرف النظر عن العرق ، والمعتقد ، ولون البشرة ، فاذاك لا يعود بمقدور الصهاينة الفوز بمثل هذه الاموال » (٦٨) .

ويقول أ. ليلينتال مكملا ما قاله روزفلت : « ان عدم رغبة الجماعة اليهودية ذات السطوة ، القديرة والميسورة فى الولايات المتحدة فى اجراء دراسة موضوعية علمية للاسامية ، ينطوى على الكثير من المعانى . فلا القادة الدينيون ولا القادة المدنيون العديد من المنظمات اليهودية يرغبون فى فقدان هذا **السلاح الجبار** . امحقوا الخرافات ، تفقدوا أنصار الدين . خففوا من التعصب تتلاش **الاموال المجمعة** لاعمال اليهود القوميين . ولهذا ، لاتكون اى ضرورة للهجمات العلمية ضد مشكلة اللاسامية . **وبهذا يمكن التواطؤ** (كل التشديد منى ــ ى.أ.) بين رجال الدين ، واليهود القوميين وبقية قادة المنظمات اليهودية » (٦٩) .

ان الفاشية ــ مركز اللاسامية العسكرية فى بداية الثلاثينات وأواسط الاربعينات ــ قد تحطمت . وحسب آراء الزعماء الصهيونيين أنفسهم ، فقد أصبحوا فى حاجة الى بؤر لاسامية جديدة ، وان تكن اصطناعية . وقد أكد بن جوريون قائلا «اننى لن أخجل من الاعتراف بانه لو كان لدى من السلطة بقدر ما عندى من الرغبة ، لانتقيت الشباب الموهوب ، المتطور ، المستقيم والوفى لقضيتنا ، والمتوقد رغبة فى تغيير أخلاقية اليهود ، وأرسلتهم الى البلدان التى غرق فيها اليهود فى رضا عن النفس آثم » .

واستطرد الزعيم الصهيونى قائلا : « ولامرت هؤلاء الشبان بالتظاهر باللايهودية ، وملاحقة اليهود بالاساليب اللاسامية السمجة تحت شعارات ، ك « أيها اليهود القذرون » ، « أيها اليهود ارحلوا الى فلسطين » وأؤكد لكم أن نتائج الهجرة .. قد تتخطى عشرات آلاف المرات النتائج التى يحصل عليها رحالتنا ــ الدعاة ، الذين يكيلون المواعظ للصم منذ عشر سنوات » (٧٠) .

من الصعب هنا أن لانتذكر كلاسيكيى الصهيونية الذين اعتبروا اللاسامية خيرا . فيا له من استمرار .. انها لا تقل عن مسألة اشهار كل ظاهرة تقف عائقا فى طريق تحقيق الاهداف الصهيونية ، ظاهرة لاسامية .

ويعطي مثلا مقنعا على ذلك فارلوج ، أحـــد واضـــعى سيرة ح . وايزمان ، الذى قال : « أن العرب الذين انتفضوا ضد تسليم وطنهم للصهيونيين ، كان ينظر اليهم ليس فقط كخصوم سياسيين، بل كمجرمين ، بات يطلق عليهم فى وقت لاحق اسم لصوص وقتلة، وذلك عندما شرعوا بالانتفاض ضد اليهود بشكل ناشط ، وأصبح يخيل لعديد من الصهيونيين ، ان قوة شريرة ما ، يحتمل ان تكون لاسامية ، قد أوجدت العرب لالحاق المتاعب باليهود » (٧١) .

من النادر ان يجرى المستعمرون جردا احصائيا لجرائمهم . وكما هى القاعدة ، فانهم لايتركون معطيات وثائقيـة عن الافعال التى ارتكبوها . ومن المعروف ، انه فى عام ١٩٣٠ ، أصبح ٢٩٫٤٪ من العائلات العربية فى فلسطين بلا أرض (ولقد أشير فى تقرير اللجنة الملكية بأن العدد الحقيقى لهذه العائلات التى شردها الصهاينة عنوة غير معروف) . وحتى عام ١٩٣٦، كان قد سجل ٣٢٧١ طلبا قدمها الفلاحون العرب الذين شردهم الصهاينة (٧٢) (تتألف كل عائلة من ٥ أشخاص على الاقل) . وكم من العائلات لم تتمكن من تقديم طلب وكم من الطلبات كان نصيبها الاهمال .

لقد قال مارتين بوبر ، الفيلسوف الصهيونى ، بكل تواضـــع ، « ان الهفوة الاساسية (للصهيونيين ـــ ى.أ.) هى أن القيادة قد سارت على السياسة الاستعمارية التقليدية » (٧٣) .

فاذا كانت عبارة « سارت على » يقصد منها الطرد الجماعى الاكراهى لفلاحى فلسطين العرب من قبل الصهيونيين ، أو الاشتراك مع الانجليز فى خنق حركات التحرر الوطنى العربية ، أو تنظيم بن جوريون لـ « الوحدات الصدامية » (التابعـــة لما يسمى بالمركز النقابى ـــ الهستدروت) بغية مما رسه الارهاب ضد العمال العرب، وفرض المقاطعة على البضائع العربية ، والافقار المنهاجى لجميع فئات السكان فى فلسطين ، والعديد من الافعـــال « لاستثمار » « أرض كنعان » ، فمن الممكن موافقة بوبر الى حد ما .

وفى وقت واحد مع الاجراءات الخاصلة بـ « انقاذ النازحين » ، اتخذ الزعماء الصهيونيون الاعمال الحربية ضد القوات البريطانية المسلحة المرابطة فى أراضى فلسطين ، وبدون مواربة أعلنت صحيفة الهاجانا عن الاهداف الحقيقية لهذه الاعمـــال (التى كانت تعطى احيانا طابع المثالية) فقالت : « نحن لانهدف بنضالنا الى اكراه بريطانيا على الرحيل من هذه البلاد ، بل نهدف الى تجديد التحالف معها . . وكما هو جلى لنا تماما ، لا توجد بيننا وبين بريطانيا أية

تناقضات فى المصالح . ونحن لسنا معنيين اطلاقا بنسف مواقع انجلترا فى العالم أجمع ، وعلى الاخص فى الشرق الادنى وفلسطين» (٧٤) .

وبدوره قارن ف . جابوتينسكى الذى نسبق أن عرفناه جيدا بين انتفاضات القوات الصهيونية المسلحة ضد الانجليز فى فلسطين وبين أعمال البوير الذين أنشأوا جمهورية أفريقيا الجنوبية الحالية .

وزيادة فى التعقيب على هذه التصريحات تأتى التصريحات التالية لناحوم جولدمان التى تعود الى نفس المرحلة : « لقد كان الصهيونيون مفعمين رغبة فى منح انجلترا جميع الحقوق لانشاء القواعد العسكرية ، والبحرية ، والقواعد الجوية فى فلسطين مقابل الموافقة على اقامة الدولة اليهودية فوق ٦٥٪ من أراضى فلسطين . كما ان اقامة القواعد فى فلسطين كانت ستعرض أيضا على الولايات المتحدة الاميركية ، اذا كان لديها رغبة واستعداد لتأدية مهمات الدفاع هناك .. » (٧٥) .

(فى وقت لاحق ، فى ابريل ١٩٦٦ ، وأثناء اللقاء الذى جمع بين زعماء « الهاجانا » السابقين ، تلقى الدكتور سنيه ، الذى سعى هذه المرة ، الى البرهنة على أن « الهاجانا » « ناضلت باستقامة » ضد الامبريالية البريطانية ، الجواب التالى من ايلان مور ، أحد المشتركين فى اللقاء : « بالرغم من اعجابى بالموهبة الجدلية للدكتور سنيه وهو يتمتع بقسط وافر منها ، فاننى أفضل أن يوجه هذا الذكاء الى المستقبل أكثر منه الى الماضى ، وذلك لان الوقائع التاريخية تدحض ما يقوله ») .

وعند حلول عام ١٩٤٧ وصل عدد السكان اليهود فى فلسطين الى ٣٣ ٪ تقريبا . لقد كان هذا مجتمعا متنافرا ، مختلف الطباع ليس فقط من حيث التركيب الطبقى والمعتقد السياسى ، بل من حيث المستوى الثقافى ، والتقاليد القومية ، واللغة ، والمظهر الخارجى ، والثياب ، وأسلوب التفكير ، والتأقلم المناخى وطبيعة ممارسة الشعائر الدينية ، والموقف من النزعة الالحادية . وكان معظمهم أناسا غير ملاك وعليهم أن يعملوا كى يعيشوا . لقد كان ذلك هو « العنصر الحى » « الوفى » والمنشود الذى فكر فيه طويلا حكام الدول الاستعمارية الكبرى التى تطمع فى منطقة الشرق الاوسط .

ولعب الاستعمار البريطانى ، ثم الاستعمار الاميركى الجديد ،

العامل الحاسم فى حشد هذه الكتلة البشرية فى فلسطين ، حيث استغل كل منهما ، على التوالي ، لاسامية الثورة المضادة ما بين ١٩٠٠ - ١٩٢٠ فى أوروبا ، والفاشية والخراب الذى تلا الحرب . أما الزعماء الصهيونيون فقد استغلوا كلا العاملين من أجل اهدافهم الصهيونيـــة الصرفة ، مقتصرين ، الى حين ، على دور المنادى أمام أبواب المؤسسات التابعـــة لهم بالمحاصصة مع « أقوى الشركاء » .

وكان على الاغلبية العظمى من الكادحين اليهود ، الذين استقروا فى فلسطين ، أن يقوموا ب « وظيفة » واحدة . لقد كانوا لاجئين نجوا من أخطار جدية أو كاذبة . وكان على الزعماء الصهيونيين ان يقوموا بعمل كبير من أجل تحويل قسم من هؤلاء اللاجئين ، أو بالاحرى ، جزء من أولادهم ، الى جنـــود صـــدام نازيين عصريين .

ومن وجهة نظر هذا التقييم ، يبدو لنا أن من العدالة الحكم على درجة المسئولية التى يتحملها هؤلاء عن جميع صنوف المظالم والجرائم التى اقترفها ويقترفها الصهيونيون وانصارهم فى هـذه المنطقة من العالم .

طبيعي جدا أن يستأثر العمال اليهود باهتمام الزعماء الصهيونيين الاكبر ، نتيجة نمو عددهم وازدياد وعيهم الطبقى . « ان الهجرة والاستيطان هما وصيتا الحركة العمالية الفلسطينية » - هذا ما أكده بن جوريون بهذا الصدد - الهجرة شكل، أما وجودنا فمتعلق بالاستيطان . وهـذا الشعار وذاك قد اكتويا بالنار والدماء على راية حركتنا » (٧٦) .

واستطرد بن جوريون يقول : « ان الحركة العمالية لم تضـع نصب عينيها هدف الاستيلاء على السـلطة فى اطار الحركة الصهيونية ، لقد كان دائما هدفها لا السلطة ، بل **الخدمة المخلصة** (التشديد مني - ى . أ .) لذلك ، ومن أجل تحقيق هذا الهدف، سعت الطبقة العاملة باستمرار الى توحيد جميع فئات الشعب حول الحركة الصهيونية » (٧٧) .

ان منهاج « الاشتراكى » بن جوريون كان فى غاية الصراحة والدقة : الهجرة والاستيطان ، (لا تدخل فى الحساب الكادحون العرب) ، واخضاع مصالح العمـال الفلسطينيين للبورجوازية اليهودية المحلية ، والبورجوازية الاجنبية .

ان الموعظـة الصهيونية حول خاصـية اليهود واصـطفائهم ،

استدعتها ضرورة ضمان النسخة الفلسطينية للتمييز العنصري .
« علينا أن نبعث قيم الجدارة الانسانية ، المساواة ، الحرية الروحية ، قداسة الحياة البشرية . ان هذه القيم هي قيم يهودية تاريخية » (٧٨) . هذا ما علمه أحد مربى الجيل الجديد من المستوطنين ، اسحاق موار . ومن الجلى أن الصهاينة ، حسب شهادة ليلينتال ، قد أججوا بشكل مصطنع وفاشل ، روح اللاسامية عند العرب ، بغية بعث هذه « القيم اليهودية » ، أو بالاحرى ، بغية تنفيذ المهمات التى طرحها بن جوريون .

فى نهاية الحرب العالمية الثانية ، كانت الطبقةالعاملة الفلسطينية تعد ١٦٠ الف عامل عربى ، و ٥٠ الف عامل يهودى . وقد قام العرب واليهود معا بشن نضال مشترك ضد دعوات وأعمال بن جوريون وبقية العملاء الامبرياليين . وحسب المعطيات الرسمية، كان مجموع أيام الاضراب ٢٤ الف يوم فى عام ١٩٤٠ ، وارتفع الى ١٣٤ الف يوم فى عام ١٩٤٢ ، والى ٢٤٨ الف يوم فى عام ١٩٤٤ (٧٩) . وقد اتسمت هذه الاضرابات بطابع اقتصادى وسياسى على السواء .

وفى عام ١٩٤٦ ، كتب أمين اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الفلسطيني جوجانسكي يقول : « .. فى مرحلة الاستفزازات الامبريالية بالذات ، التى لاقت تعبيرها فى المقاطعة المتبادلة وفى تسعير العداء بين الشعبين ، برزت فى البلادجهارا الوحدةالكفاحية للطبقة العاملة . وكان الخطباء فى الاجتماع الحاشد العام لعمال الخطوط الحديدية فى حيفا يعلنون : « لتعش الوحدة العمالية اليهودية ـ العربية ! » . وكان بين الخطباء ممثلو عمال سكك حديد شرقى الاردن ، الذين انضموا الى الانتفاضة . وفى حيفا والقدس ، رفع المتظاهرون شعارات الوحدة العربية ـ اليهودية . لقد كان اضراب عمال الخطوط الحديدية جوابا بليغا على الذين ينادون بالنظرية العنصرية والانغلاق القومى .. ان مجمل الاعمال العربية ـ اليهودية ، والانتفاضات الجماعية ضد الامبريالية التى حلت مكان المغامرات القومية والارهابية هى محتوى عصرنا » (٨٠) .

لقد كانت متاهة الساسةورجال الاعمالاليهود مظلمةومتشبعة جدا ، وكانت مناورات حلفائهم معقدة ومربكة . على أن الحياة تابعت مسيرتها فى مجرى قوانين التطور الموضوعية التى تبقى لها الكلمة الاخيرة .

الفصـــل الرابع

أمام الاختيار

في الواحد والعشرين من نوفمبر عام ١٩٦٥ ، نشرت الصحيفة الاسرائيلية « دافار » خبرا تحت عنوان : « المركز النووى فى ديمونة مؤهل لانتاج قنبلة نووية واحدة فى العام » . وبكل حماس استجابت بعض أوســاط الراى العام الاسرائيلى لهذا الخبر . قصــة الـكاتب زفايغ « الشـطرنج » التى أخرجت للشـــاشة وفى الوقت نفسه تقريبا ، عرضت فى صالات السينما الاسرائيلية العريضة .

اننا لن نسرع بالاســتنتاج عن انتفـاء الصـلة بين هاتين الواقعتين .

لقد كتب مؤلف كتاب « ما وراء الضفة الغربية لنهر الاردن » ، اندريه جيرومسكي ، الذى زار اسرائيل يقول : أن « لعبة الملوك » هى نقل قصة زفايغ « الشطرنج » الى السينما ، تلك القصة التى يروى فيها تاريخ أستاذ اعتقله الجستابو ، وقرر الهتلريون تحطيم ارادته لا بالعذاب الجسدى ، بل بأسلوب التأثير النفسانى . ومن اجل الوصول الى هدفهم عزلوه كليا عن العالم الخارجى . وفى الفيلم مشهد يظهر فيه الأستاذ وهو على عتبة الجنون ، اذ بدأ يحطم أثاث القصر الذى استقر فيه الجستابو .

قال جيرومسكى : « قبل هذا المشهد كان المشاهدون يتضجرون معبرين عن تبرمهم بصوت عال . اننى لم أسمع فى حياتى قط فى صالة عرض حتى فى أفضل الروايات الهزلية مثل تلك القهقهة التى سمعتها أثناء عرض مشهد الأستاذ وهو على عتبة الجنون . كان الجمهور يحمحم ويزار ويخبط الأرض بأقدامه . والجدير بالملاحظة أن هذا ما حصل قبل أسبوع من تجديد دعوى ايخمان . ففى مثل هذه الحالات ، لا تنفع لا الأوامر ، ولا الحظر ، وذلك لأن ما باستطاعة أحد أن يأمر الفهم والحس » (١) .

وهذه شهادة وثائقية أخرى أطلق عليها صاحبها اسم « اعتراف صهيونى » . تعود الوثيقة الى عام ١٩١٤ ، وهى بقلم أحد ضـحايا التعصب الصهيونى الكثر . « آه ، كم أشتهى أتخامهم هؤلاء (أعداء

الصهيونية ـ ى٠أ٠) بسم الهلاك الذى يملا أحشاءنا . كم أشتهى أن أبصق عليهم لافتراءاتهم الخسيسة ومحاولتهم افساد أرواحنا ! » . وكتب ذلك طالب ألمانى من هال (المانيا) الى صديق له روسى مشارك له فى الرأى . « لقد أفرغ أعداؤنا نفوسنا ، على أنه يكمن فينا الكثير من الضغينة والمقت . ترى ، هل ستذهب هدرا كل هذه الطاقة الكامنة الهائلة ؟ ترى ، الا يعود ذلك المسيح العظيم الذى سيحرق هذه الطاقة النارية العفنة بسم الخراب والكراهية ؟ » (٢) .

بعد انشاء دولة اسرائيل ، وتثبيت الزعماء الصهاينة لسلطتهم بغية تمتين جهاز القمع الواسع ، احتاجوا الى نموذجين من الاسرائيليين : النموذج المتعصب ، وهو الأكثر ملاءمة ، من أمثال الطالب من هال ، والنموذج العبيط الذى يقهقه كالابله عند رؤية آلام البشرية . ولذا خيل ان رد الفعل على مثل هذه الحوادث المتباعدة ، كالاعلان عن الامكانيات الموجودة لصنع معمل نووى فى ديمونة ، والفيلم المنقول سينمائيا طبقا لموضوع قصة زفايغ ، كان بمثابة نوع من الكواشف عن درجة نجاح نشاط الصهيونيين « التربوى » .

وها هى وثيقة من نوع آخر تماما .

« ان السلاح النووى لا يعزز أمننا ، بل هو يعمل على تفاقم الوضع .. وان دولة اسرائيل بالذات يجب أن تكون معنية أكثر من غيرها بعدم السماح بسباق التسلح النووى فى منطقتنا .. ولهذه القضية وجه آخر أيضا . فلنسلم بأن الجميع عرفوا ان الاوساط الحاكمة فى المانيا الغربية ستشارك فى تمويل الأبحاث النووية فى اسرائيل ، أفلا تدعو إلى التيقظ مثل هذه الحقيقة السافرة .. ففى الوقت الراهن يتعطش حكام المانيا الغربية وجنرالاتها ، الذين يوجد بينهم العديد من النازيين ، الى إقتناء السلاح النووى . والعلماء الألمان الغربيون ، العاملون فى خدمة بون ، يستغلون كل امكانية خارج تخوم المانيا الغربية من أجل الاستكمال فى المضمار النووى » (٣) .

ان هذه الكلمات قد دوت تحت سقف الكنيست الاسرائيلى فى الثامن من ديسمبر عام ١٩٦٥ ، اذ كان يتكلم النائب الشيوعى ماير فيلنر باسم الاسرائيليين البسطاء الذين يمحضون تأييدهم للحزب الشيوعى الاسرائيلى .

وقد اعلن ماير فيلنر باسم كتلة الشيوعيين عن تقدمه بمشروع القرار المتضمن النقاط التالية : ١ ــ وضع حد للاتجاه العسكري في العمل في المفاعل النووي في ديمونة ، ٢ ــ تأييد عقد معاهدة دولية تعلن منطقة الشرقين الأدنى والأوسط منطقة مجردة من السلاح النووي ، ٣ ــ وقف التعاون مع ألمانيا الغربية في مضمار الأبحاث الذرية ، ٤ ــ اعلان الاحتجاج الحازم ضد تسليح ألمانيا الغربية بالسلاح النووي بأي شكل كان وتحت أي من الذرائع » (٤) .

لكن الكنيست الاسرائيلي رفض مشروع القرار بالأكثرية . ولعل المشتركين في ندوة المنظمات الاسرائيلية المعادية للنازية والمنعقدة في نفس عام ١٩٦٥ ، كان من شأنهم أن يتخذوا موقفا مغايرا تماما لموقف الكنيست ، فقد أعلنوا : « .. لقد صعقنا من التصرف المنطوي على الاهانة لذكرى أولئك الذين قتلوا على أيدي السفاكين النازيين . ان اقامة علاقات دبلوماسية مع ألمانيا الغربية ، هي استهزاء بشعور الذين بقوا أحياء . ولأن جراحنا ما تزال تنزف دما ، وهي لم تندمل بعد » .

ان هذه القضايا ــ قضايا هموم وحاجات وانفعالات المواطنين، لاتقلق الزعماء الصهيونيين مطلقا . «نحن لسنا بحاجة هنا (في اسرائيل ــ ي.أ.) لا الى روبى سيلفر ، ولا الى الدكتور نيمان ، ولا الى روزا هالبيرين . نحن بحاجة الى أولادهم وأحفادهم » . هذا ما أعلنه في المؤتمر الصهيوني العالمي الثالث والعشرين ، أحد القادة الصهيونيين البارزين ، يعقوب خازان .

وبعبارة أخرى ، انهم يحتاجون لأمة تخضع بشكل أعمى للمركز الصهيوني في نيويورك ولفرعه في أورشليم .

***

هل من الصواب في الوقت الراهن التحدث عن أمة اسرائيلية؟ والجواب الى حد ما ، نعم . تجري عملية تكون هذه الأمة . وعلى أن العملية لاتزال بعيدةعن طورالاستكمال . ان الزعماءالصهيونيين الذين يقبضون على زمام الحكم ، يسعون للتأثير على نمو هذه العملية ، باستعمالهم الحوافز الاقتصادية والسياسية . وأحيانا تتخذ تجاربهم .. اتجاها لا يتوقعه القائمون على التجارب . وبشهادة أ. جيرومسكي ، « أعطى الدكتور عمانوئيل نيومان ــ أحد القادة الصهيونيين في الولايات المتحدة ــ بأسف رأيه في موقف الازدراء الذي تقفه الشبيبة الاسرائيلية من اليهود . وعندما زارت الشبيبة الاسرائيلية الولايات المتحدة الاميركية ، بذلت جهدها

لتجنب اللقاءمع الشبيبةاليهودية المحلية ، وأبدت نحوهااستخفافها السافر . حتى أن « حيروت » الصحيفة الناطقة بلسان الحزب الذى يحمل نفس الاســم ، والتى تلهث مبتهجة ب « أبهــة » السابريين (*) أيدت فى هذه المرة امتعاض الدكتور نيـومان ، واقرت بأسف أن « السابريين » ينظرون الى اليهود المنحدرين من غير اسرائيل بتعال ويبرزون الفارق بين مفهوم « الاسرائيليين » ومفهوم « اليهود » (٥) .

من الممكن الاتفاق مع مؤلف كتاب «اسرائيل وسنوات النضال»، الذى ينبت أن « اليهود فىاسرائيل يشكلونأمة أقربالى أن تكون محتملة من أن تكون واقعية . فالمهاجرون القادمـون بعد انشــاء الدولة لم يتأقلموا تماما مع المحيط الجديد ، ولم يصبحوا جزءا منه من وجهة النظر الاقتصادية والثقافية » . ويضيف : « ان الجماعات اليهودية المتباعدة من حيث اللغة والتاريخ والثقـافة والاقتصاد ، تتحول تدريجا الى أمة واحدة » (٦) .

ان مؤلف الكتاب الذى اقتبست منه هذه الآراء الطـريفة ، هو .. بن جوريون وعلى أساس أقواله هذه فان ثرثرات الدعاة الصهيونيين حول وجود الأمة اليهودية العالمية تبدو أكثر بؤسا أيضــا .

وكما هو معروف ، فان احدى الخصائص الملازمة للأمة . هى وحـدة التركيب النفسى . ولهــذا ، يعير الزعمـاء الصهيونيون اهتماما واعيا أوليا لمسألة التأثير النشيط على تكوين التركيب النفسى لليهود .. وان بذر أفكار شعب الله الخاص بين اليهود ، ونشر الدعوات العنصرية بشكل سافر هما الهدف الفعلى لـكافة البرامج الدراسية فى المؤسسات التعليمية فى اسرائيل . زد على ذلك ، أن الحلقة المفرغة للدعوات الجارى ترسـيـخها والمدعوة للتأثير على نفسية الجيل النـاشىء ، والمنطلقة أساسا من التوراة تنطوى على مصادقة النازيين الجدد فى المانيا الغربية .

وكما يشهد أ. جيرومسكى ، يدرس الأولاد الاسرائيليون فى فترة ثمانى سنوات من التعليم الاجبارى فى المـدارس ، تاناخ والمشنا ، والتلمود ، بمعدل ١٥٠٠ ساعة دراسية ، بينما تخصص لجغرافية البلدان الاجنبية ٢٠ ساعة فقط . والجدير بالملاحظة ،

(*) هكذا يسمى الذين ولدوا فى فلسطين ، او اسرائيل اليوم ..

انه ، من وقت قصير ، قدمت المانيا فى كتب الجغرافيا بحدود عام ١٩٣٧ ، وعبر مؤلفا الكتاب خيتوف وآرنى عن عطفهما على الألمان الذين أخرجوا ، بمقتضى اتفاقية بوتسدام ، من الأراضى الواقعة الى الشرق من الأودير ــ نيسه .

لقد خيل أن من الممكن زيارة حديقة الحيوانات بدون أذى . لكنه تبين أن كل شيء متعلق بالمكان والزمان . مثلا فى حديقة الحيوانات الواقعة فى القسم الاسرائيلى من القدس تتواجد الحيوانات التى « استحقت شرف » ، ذكرها فى التوراة . فعلى كل لوحة علقت على القفص كتب اسم الحيوان والى جانبه اقتباس مناسب من التوراة .. « تنزه ، تذكر ، تعلم .. »

وفى كل مكان فى اسرائيل يبرز الاقتباس التالى من التوراة : « ها هى أرضكم يا أبناء اسرائيل .. » . وكل تلميذ بلغ السادسة من عمره يدرس التوراة ، ويعرف نهاية المقطع الشعرى « من نهر النيل الى النهر العظيم ــ نهر الفرات » . هاهى فكرة « اسرائيل الكبرى » مع تبرير الاغتصاب الحالى واللاحق للأراضى العربية .

فى ٢٨ اكتوبر من عام ١٩٥٨ ، أعلن الزعيم الصهيونى وعضو الكنيست مناحيم بيجن أمام ممثلى الجيش الاسرائيلى : « أنتم ، أيها الاسرائيليون ، يجب الا تأخذكم الرأفة عندما تقتلون عدوكم . عليكم أن لاتشفقوا عليه ما دمنا لم نقض بعد على الحضارة العربية، التى سنبنى على انقاضها حضارتنا » (٧) .

وفى حينه ، قام رئيس وزراء اسرائيل السابق بن جوريون ب « تنوير » التلاميذ فقال : « ان خريطة اسرائيل ليست بخريطة بلادنا . لدينا خريطة اخرى ، وعليكم أنتم ، طلبة وشبيبة المدارس اليهودية ، أن تجسدوها فى الحياة وعلى الامة اليهودية أن توسع رقعتها من الفرات الى النيل » (٨) .

« عندما نسرح ببصرنا الى الشمال نرى سهول سورية ولبنان الخصبة ، وفى الشرق تمتد وهاد الفرات ودجلة الفنية وبترول العراق ، وفى الغرب بلاد المصريين . لن يكون لدينا القدرة الكافية على النمو ، ان لم نسو قضايا الأراضى من مواقع القوة ــ هذا ما اثبته الصهيونى بيجن الذى سبق ذكره ــ وعلينا أن نجبر العرب على الطاعة التامة » (٩) .

مثل هذه الدروس ، التى ساهمت فى تكرين نفسية المغتصبين اللاحقين ، الدروس التى يستعمل فيها حجاب التوراة فقط

للتمويه عن تكشيرة الأنياب المفترسة ، شكلت بمجملها موسوعة متعددة المجلدات .

ولنسق مثلا آخر . « يجب أن تكون فلسطين ملكا لليهود . ان استعمال أساليب ووسائل مناسبة بغية خلق الدولة اليهودية القومية ، سيكون دائما ضروريا وعنصرا راهنا لسياستنا . والعرب يعرفون الان ماذا نريد أن نفعل بهم وأى شيء نطلب منهم . من الضرورى خلق وضع « الأمر الواقع » ، والتوضيح للعرب أن عليهم مغادرة أراضينا والرحيل الى الصحراء » ، ـ هذا ما أعلنه فلاديمير جابوتينسكى .

بعد خلق دولة اسرائيل بوقت قصير ، غادرت احدى العائلات بولونيا الى اسرائيل ، وكان بين أفرادها طفل يبلغ العاشرة من عمره . وبعد مرور خمس سنوات ، جرى بين هـذا المراهق وصحافى من الجريدة الاسرائيلية « أودنوقا » الحديث التالى : « ألا ترى أن العربى يظل دائما عربيا . عندما يرى العربى بندقية يولى حالا الأدبار . لو لم تكن هناك الأمم المتحدة لكانت قنـاة السويس منذ زمان بأيدينا ، ولكنا ذبحناهم جميعا . الا أن هذا لن يفوتنا مطلقا فى المستقبل » (١٠) .

أليست هذه صورة واضحة للطريقة التي يفسد بها الصهيونيون أذهان الفتيان ويسممونهم بسم الشوفينية الجامحة ؟

يجدر التذكير بمبدأ الصهيونى «الكلاسيكى» ناحوم سوكولوف القـائل : « ان اليهود ، بلا شك ، يشـكلون الامة الانقى عرقا بين جميع أمم العالم المتحضرة » . أن محاولة تسميم عقول الشبيبـة الاسرائيلية ، والفتيان ، الذين اقتادهم أهلهم الى هـذه البلاد ، اسرائيل ـ الوطن ، تتحقق بمقتضى سخرية القدر انطلاقا من مواقع عنصرية وطائفية تمنح كل فرد داخل الجماعة الاسرائيلية اليهودية مكانه الملموس . « لايوجد مكان فى العالم فيه مثل هذه التجزئة كما هى الحال فى اسرائيل ـ أفقيا ، وعاموديا ، وانحرافيا ، وعلى شكل مربعات وحلقات . ورغبة منهم فى تسهيل المسألة ، يقولون ، كما أشار أحد المتحدثين أندريه جيرومسكى بهذا الخصوص ، ان هذا التقسيم قد جرى حسب الفئات البسيطة » (١١) .

وكتب البحاثة البريطـانى اليكسى فينفرود فى دراسـته « اسرائيل وعلاقات الفئات فى المجتمع الجديد » ، « ان التقسيم حسب الاجنـاس أو الفئات السبطية ، هو أحد مصادر التوتر .

وبعبارة أخرى ، ان الفئات التى تحظى بالأفضلية تثير الضغينة لدى الفئات الدنيا .. ويتمتع بالقسط الأكبر من النفوذ أولئك الذين ينحدرون من أصل أوروبى . فكلما كانت السلالة أقرب الى المستوطنين الأوروبيين السابقين كان نفوذها أوسع . ويحظى الأوروبيون بمكان مرموق بالمقارنة مع اليهود النازحين من الشرق الأوسط أو من شمالى افريقيا . فاليهودى من أصل بولونى أو انجليزى مثلا ، يتمتع بامكانيات كبيرة جدا لايحصل عليها اليهودى القادم من مصر أو العراق . ان هذه المفارقة هى قانون يطبع بطابعه المجتمع كله . وفى كل فئة من الفئات يوجد ، بالطبع ، تقسيماتها، فاليمنيون ، مثلا ، يحتلون مكانة أرفع من المغاربة » (١٢) .

ويتعرض ا. فينغرود الى درجة التوتر الحاصلة بين أسباط المجتمع اليهودى الاسرائيلى فيقول : « ان أكبر انفجار للتنازع العام قد حصل عام ١٩٥٩ عندما شملت الاضطرابات عددا من المدن ، وسار فى هذه المظاهرات ، بشكل خاص ، اليهود النازحون من افريقيا الشمالية ، الذين حطموا الواجهات فى حيفا وبئر سبع معلنين احتجاجهم على قسوة البوليس ، ونقص المساكن ، ووضعهم المتردى فى المجتمع الذى لم يبد نحوهم لا العطف ولاالتفهم »(١٣) .

ان رئيس وزراء اسرائيل الحالى على استعداد لأن يبقى ساعات طويلة يتغنى اثناءها « بالأمة اليهودية العالمية » الموجودة طبعا خارج حدود « أرض كنعان » . وعندما يفكر أشكول باسرائيل ، يعترف بكل تواضع ، قائلا ان القضاء على التناقضات والمفارقات « العرقية والقومية » يتطلب زمنا يمتد الى عدة أجيال (١٤) .

وفى السابع عشر من ابريل عام ١٩٦٧ ، كرست المجلة الاميركية « يونايتد ستيتس نيوز اند وورد ريبورت » مقالا أشارت فيه الى « أن الانحطاط قد أصاب تقريبا معظم قطاعات الاقتصاد الاسرائيلى وقذف الى الشارع ٧ الى ١٠ ٪ من اليد العاملة . وفى ذات الوقت، برزت قضايا اجتماعية خطيرة **بسبب التصادم داخل المجتمع اليهودى نفسه** . (التشديد منى — ى.١.) وقد أعلن فى حينه الاختصاصيون فى الحكومة أن أعدادا كبيرة من العاطلين آنيا ، هم من اليهود « الشرقيين » المنحدرين بمعظمهم من الشرق الأوسط ومن أفريقيا الشمالية ، والذين يتهمون « الاشكيناز » — اليهود من أصل أوروبى — بالتسبب فى حالة فقرهم المدقع » (١٥)

كتب ف. جابوتينسكي يقول : « لقد تعرفت في أورشليم الى شخص طريف تقدمت به السن ، واسع الاطلاع ، مهذب . وبينما كنا نتنزه في أحد أحياء أورشليم الجديدة ، رأينا رجلا في الثلاثين من عمره ، مستلقيا على الرصيف يجرع العرق مباشرة من الزجاجة ـ تأمله ، لقد أتى من الغرب من تونس . كان يشرب هناك العرق ـ مشروب العرب المفضل . وهاهو يشربه هنا . انه يعيش هنا منذ فترة وجيزة ، ولم يتمكن بعد من أن يتخلص من العوائد المكتسبة عبر القرون والتي تتناقلها الأجيال . انا أقرأ « سفيات » و « بوليتيكا » ، وهو يشرب العرق في الشوارع . نحن الاثنين يهود ، ولكن ما هو الشيء الذى يجمعنا ؟ لاشيء . وما الشيء الذى يبعد بيننا ؟ كل شيء . اننا لانتقن حتى لغة واحدة كي نتفاهم .. بين أولادنا ، واحفادنا ، وأحفاد أحفادنا ستتلاشى المفارقات ، وسيشكلون ، هم ، المجتمع الجديد ، الموحد ، لكنه **ليس المجتمع اليهودي** (التشديد مني ـ ى.أ.) بل الاسرائيلي » (١٦) .

ومن الملائم عند هذه النقطة أن نسرد آراء احد بناة النظام الحالي في اسرائيل ، ناحوم جولدمان ، زعيم الصهيونية العالمية : « ان الشعب اليهودي هو ظاهرة تاريخية فريدة . وهو في الوقت ذاته أمة وتكامل ديني وعرق وحامل حضارة من نوعية خاصة . وليس بامكان اية عقيدة أمة أو دين غير يهودي أن يفسرا بدقة الظاهرة التاريخية الفريدة التي هي الشعب اليهودي .. نحن أمة عالمية ، تربطنا وشائج حميمة مع اسرائيل ، مشكلين مجتمعا لايدرك كنهه التاريخ البشري .. انصرم ذلك الزمن الذى كان يقدم فيه، وبلا أي عوائق ، تضامن رجال الاعمال اليهود وبطانتهم من ايديولوجيي الرأسمال ، ملبي رغائبهم ، كمهمة حياتية « للأمة اليهودية العالمية » « الغامضة » و « الصعبة الادراك » .

ان واقع اسرائيل ، وتفاقم النضال الطبقي بين الكادحين الاسرائيليين ، يدحضان هذا التلفيق التضليلي الضروري للزعماء الصهيونين وحماتهم . لقد كان في اسرائيل ، وعلى أعتاب عدوان العسكريين الاسرائيليين في يونيو ١٩٦٧ مائة ألف عاطل عن العمل ، وهذا يعني أن ١٠٠ ألف عائلة اسرائيلية من مليونيين و ٦٠٠ ألف شخص من سكان البلاد ، لاتأكل حتى الشبع ! وهذا الرقم معبر وبليغ ..

ان نظام الطوائف المقفلة ذات الامتيازات المختلفة في اسرائيل ، هو الاداة الصهيونية للتفرقة بين الكادحين الاسرائيليين ، التي

تؤمن الطبقة الحاكمة حرية المناورة والسيطرة ، والنزعة العسكرية، وبذر العنصرية الموجهة ضد العرب ـ هو الوسـيلة المدعوة لأن تخفف من التناقضات الطبقية فى المجتمع اليهودى ، ولتضمن ، ولو لوقت ما ، اتحاد جميع الذين يـكسبون الى حد ما من اضطهاد الاقلية العربية .

الأقلية العربية .. لن نتكلم عن الوقت الذى كان فيه عـدد اليهود فى اسرائيل لا يتجـاوز ٥ آلاف شخص . لتـأخذ مرحلة قيام دولة اسرائيل .

بمقتضى قرار الأمم المتحدة الذى اتخذ فى نوفمبـر ١٩٤٧ ، اقتطع لاسرائيل ١٤ ألف كلم مربع لسكان يبلغ عددهم ، مليونا و ١٠٠ ألف شخص ، منهـم ٦٠٠ الف يهـودى و ٥٠٠ ألف عـربى (١٧) .

ونتيجة لحرب ١٩٤٨ الحقت اسرائيل بهذه الأرض ستة آلاف كلم مربع ، من أراضى فلسطين العربية مع مايقـارب ٤٠٠ ألف نسمة . وفى بداية عام ١٩٤٩ ، وحسب المعطيات الاسرائيلية ، بقى على رقعة الأرض الموجودة تحت اشراف اسرائيل والتى تبلغ مساحتها ٢٠ الف كلم مربع ، ١٦٠ ألف عربى فقط .

يبرز سؤال شرعى : الى أين وفى أى ظروف اختفى من اسرائيل أكثر من ٧٠٠ الف عربى ؟ (١٨) ـ ماذا حصل باملاكهم غير المنقولة؟ من يستفيد منها ؟ لمن أعطيت هذه الأرض ؟ كم قتل منهم ليكونوا « عبرة » للذين لم يرغبوا فى مغادرة وطنهم الأصلى ؟ كم مات منهم فى الأوبئة ، وفقدان الطعام والمأوى ؟

لنورد بعض الوقائع ، التى يستشهد بها الاسرائيليون انفسهم :

« ان أغلبية العرب طردوا عنوة زمن حرب ١٩٤٨ وتم تدمير قـراهم .

فى ٥ يونيو عام ١٩٤٨ ، طرد من اسرائيل بالقوة سـكان قرية ايركيت فى الجليل الغربى . فى ١٥ نوفمبر عام ١٩٤٨ ، طـرد سكان قرية كفر فيرام عنوة .

فى ٤ فبراير ١٩٤٩ ، تعرضت غالبية سكان كفر عنان للطرد القسرى الى ماوراء الأسلاك الشائكة . وقام الجيش بتهديم القرى

فى ٢٨ فبراير ١٩٤٩ ، تم اعتقال ٧٠٠ عربى من اللاجئين فى قرية كفر ياسين ورحلوا عنوة الى ماوراء الحدود .

فى ٢٤ يناير ١٩٥٠ ، قامت وحـدات من الجيش الاسرائيلى بالجوء الى العنف لطرد سكان قرية القابسية العربية الى ما وراء الحـدود .

في ٧ يوليه ١٩٥٠ ، رحل بالقوة ما يقارب الفى عربى يقطنون مدينة مجدل عسقلان من البلاد .

فى ١-١٠ فبراير ١٩٥١ ، تم استعمال العنف لطرد سكان ١٣ قرية عربية صغيرة تقع فى وادى عربة الى ماوراء الحدود .

فى ١٧ نوفمبر عام ١٩٥١ ، دمرت قرية البونيشات وحدات من الجيش . وهجر قاطنوها الى ماوراء الحدود .

فى سبتمبر ١٩٥٣ ، تم طرد سكان قرية أم الفرج الى ماوراء الحدود . أما القرية فهدمت .

فى ٢٩ اكتوبر عام ١٩٥٦ ، تمت الابادة الجسدية لرجال ونساء وأطفال قرية كفر قاسم » (١٩) .

ان الرأى العام العالمى لا يعرف الا القليل عن مأساة اللاجئين العرب (أن الوقائع المذكورة فيما تقدم تشكل جزءا من كل) . وسيأتى الوقت الذى سيصبح فيه كل شىء معلوما .

فى عشية العام ١٩٦٨، اطلع واحد من ٣٠٠ الف عربى يقطنون حاليا فى اسرائيل ، وهو ممثل بارز للمثقفين العرب ، جلساءه على الوثيقة التى أعطيت له بوصفه عربيا من قبل الموظفين الاسرائيليين ، على أساس قانون الطوارىء الذى أقرته السلطات البريطانية عام ١٩٤٥ . فلم يكن لديه حق ، بدون هذه الوثيقة ، أن يذهب الى عمله الذى يبعد عن مكان سكنه مسافة تعادل زهاء ٣٥ كيلومترا ، وكان يجب عليه أن يجدد دائما هذه الوثيقة . وهاكم هذه الوثيقة :

قانون الدفاع الاستثنائي لعام ١٩٤٥

اذن بالسفر :

أرض محرمة رقم ٩

لسفرة واحدة الاسم والشهرة ، رقم الهوية

رقم ......

هدف السفر

الحاصل على الاذن مجبر على أن يصل الى الأرض المحرمة (الوقت) الناصرة (الوقت) المحل الوقت فقط

وسيلة النقل رقم ...... أسماء المرافقين

رقم الهوية

رقم الهوية

رقم الهوية

يخضع الاذن للشروط التالية :

١ ـ على من يتسلم الاذن أن يعرف مرافقيه الى الشروط الآتية :

٢ ـ يبقى الاذن سارى المفعول اذا كان المرافقون يقصدون نفس المكان الذى يقصده الشخص الحائز على البطاقة ولا يفارقونه أبدا .

٣ ـ لهذا الاذن صفة جماعية ويمنح للأشخاص المرافقين ايضا : ولهذا يقع على كل من يحمل بطاقة مسئولية مراعاة الشروط ، بما فى ذلك الشروط رقم ٩ و١٣ .

٤ ـ يسمح للمرء أن يتواجد ضمن المنطقة المحرمة (أو خارجها) فقط فى الفترة الواقعة ما بين ٠٠ر٠٦ ـ ٠٠ر٢٠ .

٥ ـ عدم التوقف فى الأماكن المأهولة .

٦ ـ السير فقط على الطرق المعبدة .

٧ ـ هذه البطاقة تسمح بالتوقف (أو الذهاب الى) فى تلك النقط المحددة فى الوثيقة وفى الحدود الزمنية المشار اليها فيها .

٨ ـ تمنع فى الأمكنة كافة الأعمال والتحركات التى لم تذكر فى القسم المخصص لـ « هدف الزيارة » .

٩ ـ عند انقضاء مفعول الوثيقة يجب اعادتها الى قائد المدينة فى مدة اقصاها اسبوعان .

١٠ ـ فى حالة فقدان الوثيقة يجب ابلاغ اقرب مخفر للشرطة دون ابطاء .

١١ ـ ان من يسىء استعمال الاذن يعاقب قانونيا .

١٢ ـ يجب حمل الهوية للتعرف الى الشخص .

١٣ ـ على كل من استلم اذنا أن يحمله طوال مدة اقامته فى الأمكنة المحرمة .

١٤ ـ هذا الاذن لايمنح الحق بالتواجد فى المناطق التى يستعملها جيش الدفاع (ا) الاسرائيلى للأهداف التمرينية .

١٥ ـ يحظر التواجد فى المنطقة رقم ٩ أو خارجها بعد انقضاء مفعول الاذن .

١٦ ـ يحظر تبديل المسكن فى المكان المعين ، ولا يسمح به الا باذن من المسئول .

١٧ ـ يحظر الاقتراب على مدى ٢٠٠ متر من الأماكن الموضوع عليها علامة « ممنوع » والمذكورة فى التعديل الملحق للقانون الجزائى الصادر عام ١٩٥٧ .

اذن يعمل به (من) (الى)

الامضاء **الختم**

ان من اتيح له أن يرى بطاقة الافريقيين التى يمنحها « البيض» فى ادارة جمهورية جنوبى افريقيا ، لا يمكنه أن يتخلص من فكرة التشابه العجيب .

ان البطاقة التي يجرى الحديث عنها ، قد منحت للسفر من « منطقة محرمة الى أخرى » . ترى هل الأمر يتعلق بالمنشآت العسكرية ؟ أبدا ، اطلاقا .. منذ الفترة الاولى لاقامة اسرائيل ، أعلنت الأوساط الحاكمة فيها « مناطق محرمة » الأمكنة التى يقطنها العرب . وان الأنظمة البوليسية والعسكرية في هذه « المناطق المحرمة » تشبه النظام الذى صيغ « للأمم المتخلفة » الموجودة فى المناطق التى احتلتها فى حينه ألمانيا النازية .

ولنعد الى الاذهان أن قانون « الدفاع » (الاستثنائى) ، هو نفس القانون الذى جرى بمقتضاه عام ١٩٦٨ منح العرب بطاقات تشتمل على ١٧ نقطة من الشروط الالزامية ، والتى بموجبها يمكن وضع أى عربى فى اسرائيل تحت الاقامة الجبرية دون تحـــديد الوقت ، أو اعتقاله . وقد أقـــر هذا القـــانون من قبل السلطات الاستعمارية البريطانية في فلسطين عام ١٩٤٥ . ففى ذلك الوقت قامت بريطانيا الاستعمارية (عندما رات أنها يمكن ان تفقد غالبية أسهم « الاتحاد الصهيونى » لمصلحة الولايات المتحـدة) بتعميم التدابير الصارمة المنصوص عنها فى القانون المذكور لا ضد العرب والمستوطنين اليهود المتقدمين فحسب ، بل أيضا ضد الصهيونيين الذين هبوا للدفاع عن الرأسمال الاميركى . ولنعد الى الاذهان كيف نعت الزعماء الصهيونيون فى ذلك الوقت ، القانون البريطانى لعام ١٩٤٥ الذى يعملون بموجبه الآن ، عندما كان موجها ضدهم أيضا .

لقد وصف وزير عدل الدولة الاسرائيلية يعقوب شابيرو ، الذى حول قانون السلطات البريطانية الاستعمارية الى قواعد تضبط حياة وسلوك سكان اسرائيل من العرب ، وصف هذا القانون فى ٧ فبراير عام ١٩٤٦ قائلا : « أن النظـــام الذى أقيم فى فلســـطين مع اقرار قانون « الدفاع » ليس له مثيل فى أى بلد من البلدان المتحضرة . حتى فى ألمانيا النازية لم يكن يوجد مثل هذه القوانين . وان مـــا جرى فى ميدانيك وغيرها من معسكرات الموت ، كان خرقا لنص القانون ، ولا يطابق الظروف القائمة فى البلاد المحتلة الا نوع واحد من الأنظمة . انهم يحاولون تعزيتنا بان القانون الصادر موجه فقط ضد المخالفين وليس ضد المواطنين ككل . على أن الحاكم النازى

فى اوسلو كان هو أيضـا يؤكد بأن الأشخاص الذين يمارسـون أعمالهم العادية لن يمسوا .. وعلينا أن نعلن للملأ أن قانـون « الدفاع » فى فلسطين ينسف كل اسس التشريع والعدالة فى البلاد .. » (٢٠)

وفي نهاية عام ١٩٦٢ ، وقعت سلطات اسرائيل الاتفاقيـة الدولية التى تحرم التمييز العنصرى فى التعليم العام .

لكن « الوقائع تشهد ـ كما يشار الى ذلك فى نشرة الحـزب الشيوعى الاسرائيلى ـ على أن العرب الذين يشكلون ٥ر١١٪ من سكان اسرائيل ، لايشكلون الا ٩ر٢٪ فى المدارس الثانوية للعـام الدراسى ١٩٦٥ ـ ١٩٦٦ . أما فى جامعات اسرائيل ومعاهدها العالية فيدرس فقط ٣٠٠ طالب عربى ، أى ٥ر١ من مجموع طلاب اسرائيل » . (٢١)

وكما يشهد أ. جيرومسكى ، « لايوجد البتة مدارس زراعيـة للشبيبة العربية ، بالرغم من أن غالبية السكان العرب تقطن وتعمل فى الريف . أما وضع مبانى المدارس ، فهو فى حالة يرثى لهـا . وكثيرا ماتجرى الدروس فى العراء لانعدام غرف الدراسـة . ونادرا ماتوجد طاولات فى المدارس العربيـة فيضـطر الأولاد لافتراش الأرض وقت الدرس » . (٢٢)

ومن ناحية أخرى ، تتجلى سياسة الدولة المعادية للعـرب وعنصريتها واضطهادها لهم فى مصادرة أراضى الفلاحين العرب . ويعلن الحزب الشيوعى الاسرائيلى « أن الممارسـة المجربة للصهيونية والرامية الى تأمين قطع الأرض للمستوطنين اليهـود مازالت مستمرة حتى الان ، وفى ظروف دفاع الدولة عن هـذه الممارسة بحجة « احتياجات الأمن » ،و « التنمية » ، و « الدفاع عن ملكية الدولة » .. ان عملية الاستيلاء على ملايين الدونمات التى تخص اللاجئين العرب الذين طردوا من البلاد ، لم تـكن كافية ، ولا تزال أراضى الفلاحين العرب الذين تمكنوا من البقاء فى اسرائيل ، هدف عملية مستمرة لنزع الملكية والاغتصاب .

ومنذ انشاء دولة اسرائيل ، اتخذت حكومة اسرائيل سلسلة من الاجراءات ، بما فى ذلك اقرار بعض القوانين (السافرة أو المموهة) بغية حرمان السكان العرب من أراضيهم وجرت بطريقة أو أخرى مصادرة أكثر من مليون دونم من أرض العـرب القاطنين فى اسرائيل » (٢٣)

وفى وضح نهار الواحد والثلاثين من يناير عام ١٩٦٦ ، شنت فئة من الفتيان الفاشيين هجوما على جميع العرب الموجودين فى شوارع مدينة ناتانية وضربتهم ضربا مبرحا . فقام المسئولون ، كما هى العادة فى مثل هذه الظروف ، بترويج شائعات ممجوجة ومشبوهة حول « قتل العرب لشخص يهودى » . وبكل هدوء اعصاب تتابعت هذه الاساءات الاستفزازية لمدة طويلة دون أن يسارع رجال الشرطة .

فخرج العمال العرب الذين يعيشون فى القرى المجاورة ، والذين كان كثير من رفاقهم ضحية للتنكيل الدموى ، خرجوا بمظاهرة ، واعلنوا بعدها الاضراب . وفورا حاولت السلطات أن تعلن أن هذه الانتفاضة للعمال العرب ، هى عصيان « استفزازى للقوميين العرب »

ولفضح هذه المحاولة ، أعلن أحد ممثلى الكتلة الشيوعية فى البرلمان ، العربى أميل حبيب ، فى خطابه أثناء جلسة الكنيست : « أن سكان طيبة وكالانساف قد احتجوا على سياسة الحكومة العنصرية التى تقود حتما الى مثل هذه النتائج (وهو التنكيل بالسكان العرب) . ان عمال طيبة وكالانساف ، مثلهم مثل عمال القرى الاخرى ، مشهورون بتربيتهم البروليتارية الحقة . أن اخواننا ، العمال اليهود ، يعرفونهم ويكدحون سويا معهم ، ويناضلون معا ضد نفس الاستثماريين . وفى العام الماضى ، عندما اضرب عمال بلدية رامات ـ حانة ، حاولت بلدية رامات ـ حانة ، كسر الاضراب عن طريق المدن والقرى العربية ، لكنها فشلت فى العثور على عامل عربى واحد يرضى بأن يسرق كسرة خبز من رفيقه ، العامل اليهودى .

ويوم الاثنين المنصرم ، كما هو معلوم ، هب عمال مرفأ حيفا ، اليهود والعرب ، معا ، وبروح التآخى والتضامن ، فأعلنوا الاضراب، محتجين على ارتفاع تكاليف المعيشة ، مطالبين بزيادة الاجور .

نحن على ثقة راسخة بالطبقة العاملة اليهودية فى اسرائيل ونثق بسلوكها البروليتارى . » (٢٤) .

وأثناء دفاعه عن شرف الكادحين اليهود وكرامتهم ، أشار اميل حبيب بشكل خاص الى « أن الاشقياء الذين عاثوا فسادا فى ناتانية ، لا يمثلون ، ولا بأى شكل ، شعب اسرائيل اليهودى »(٢٥)

وفى شهر ابريل عام ١٩٦٥ ، خلال حديث مع رئيس بلدية القسم الاسرائيلى لمدينة القدس ، طرح مؤلف هذا الكتاب (والحق

يقال ، ليس بدون قصد) السؤال التالى : « حضرة رئيس البلدية هل يوجد فى مدينتكم الكثير من العشاق » ؟

لقد اعجب السؤال رئيس البلدية واستجاب له بنفس النبرة : « آه ، نعم . ربما كانوا أكثر منهم فى أى مكان آخر على الكرة الارضية » .

وعلى السؤال التالى ، بوصفه رئيس بلدية ، كم عدد الزيجات المختلطة التى سجلت (اذ من المعروف أن الحب لا يفرق بين اليهودي والعربى) لم يتمكن رئيس البلدية من الاجابة ، بامكان ادارة مكاتب التسجيل القبرصية أن تجيب على هذا السؤال ، حيث يتوجه الاسرائيليون الذين حرموا من امكانية جعل قرانهم قانونيا فى الوطن .

ان نسبة الزيجات المختلطة فى اسرائيل منخفضة ، لكنها تنمو على الرغم من السياسة الرسمية للاوساط الحاكمة التى تقلقها مسألة « النقاء العرقى » . ومن الطبيعى أن هذه العملية لاتتناول الطبقات صاحبة الامتياز ، ولكنها تنطلق من أعماق الشعب ، وتضرب على ذلك مثلا الفئات التقدمية الاسرائيلية ، المتحررة من الخرافات العرقية .

وبهذا الصدد ، فان الاستدلالات المذكورة آنفا للصحفى البولونى اندريه جيرومسكى عن مصير الامة الاسرائيلية (بصرف النظر عن لهجة التفوق لديه) تبدو غير كاملة ، ونحن نرى أن التكون النهائى للأمة الاسرائيلية سيكون مزيجا طبيعيا لجماعات وشعوب أسرائيل المعاصرة .

***

أن الشكل الاسرائيلى للعنصرية مدعو ، قبل كل شيء لان يحقق فى الممارسة الصهيونية شعار الطبقة الحاكمة القديم « العجوز الطيبة » (الاستعمارية) أى بريطانيا . وهل توجد أسباب اضافية لتثبيت العنصرية على التربة الاسرائيلية .

انها موجودة . وتبدو بجلاء أكثر عند معالجة مجموعة المسائل المرتبطة بقضية المكان والدور المعطيين لدولة اسرائيل ضمن منظومة الصهيونية العالمية .

ان المركز التنظيمى والفكرى الرئيسى للصهيونية ، الذى يمتلك رساميل مالية معادلة لرساميل أكبر التجمعات الاحتكارية فى العالم ، هو ، حتى يومنا هذا المركز المؤسس عام ١٨٩٧ والذى يدعى « المنظمة الصهيونية العالمية » المبنية على أساس عنصرى والمستقرة فى الولايات المتحدة الاميركية . وهذه المنظمة تمارس اشرافها على

التجمعات الصهيونية فى أكثر من ٦٠ بلدا وتوجـه نشاطها ، وأن توجيهاتها تحدد طبيعة العمل فى أكثر من ٦٧ بلدا من بلدان المؤتمر اليهودى العالمى ـ الفرع النشيط للمنظمة الصهيونية العالمية . ويتفرع من هاتين المنظمتين الكبيرتين العـديد من الجمعيـات ، والنـوادى ، واللجـان المؤقتـة والدائمـة ، والاتحـادات ، والتجمعات .

وهذا المؤتمر الصهيونى العالمى ، هو ، اسميا ، الهيئة العليـا للمنظمة الصهيونية العالمية ومندوبوه يعينون تعيينا . وينتخب المؤتمر ، بدوره ، المجلس الصهيونى العالمى ، الذى تتمثـل فيـه جميع المنظمات والأحزاب الصهيونية الموجودة فى مختلف بلـدان العالم . ويقوم المجلس الصهيونى العالمى بدوره بانتخاب اللجنـه التنفيذية الصهيونية العالمية التى تتخذ مقرا لها مدينتى نيويورك والقدس . وتشتمل اللجنة التنفيذية على ١٢ فرعا ، يرأس كل منها فرعا مميزا لنشاط المنظمة الصهيونية العالمية ، (بدء من المخابرات حتى « التعليم الدينى فى البلدان الأجنبية ») .

وتخضع الهيئة التنفيذية للمنظمة الصهيونية العالميـة ، فى الواقع ، لارادة حفنـة من الاشـخاص من صـناع الاحتـكارات الأميركية الضخمة ، وغالبيتهم من أصل يهودى .

وتستطيع جماعة هؤلاء القادة ، عند الحاجة ، أن تبرر تحكمها بالمنظمة الصهيونية العالمية ، بالعدد المهيمن من الأعضاء فى المنظمات الصهيونية الاميركية والذى يقارب عدد سـكان اسرائيـل ، أى وجود « جيش » من الصهيونيين الاميركيين لم يفصحوا ابدا عن رغبتهم فى الرحيـل الى الشرق الأوسـط . واليـك الآن بعض المنظمات الصهيونية والمواليـة لها فى الولايات المتحـدة الأميركية والمستعدة لأن تصفق من وراء المحيط للأوسـاط الاسرائيليـة الحاكمة وأن تمول مغامراتها : « بنية ـ بريت » ـ ٥٠٠ الف عضو ، المؤتمر اليهودى فى أميركا ـ ٣٠٠ الف عضو ، المنظمة الصهيونية الاميركية ١٠٠ ألف عضو ، المنظمة النسائية الصهيونية فى أميركا ـ ٣٠٠ ألف عضو . الخ .

على أن السلطة الفعلية للمنظمة الصهيونية العالمية لا يؤمنهـا تعداد الصهيونيين الاميركيين ، بل شيكات أصـحاب المليـارات الأميركيين ومن يرتبط بهم من الاوروبيين الغـربيين والأفريقيين الجنوبيين .

ان المنظمة الصهيونية العالمية ، كما هو المفروض بالاتحاد الدولى الوطيد ، تشكل واحدة من اكبر المالكين فى العالم الرأسمالى. ولنتعرف بشكل سريع الى ما تملكه المنظمة الصهيونية العالمية فى دولار ، أو ١٦٫٣٪ ، والمجهود اليهودى ، (اقرأ : الصهيونى . الزراعية ، و « ترعى » أكثر من ٤٨٠ مستعمرة زراعية فى اسرائيل ، وحتى عام ١٩٦٣ كانت المنظمة تبسط سلطتها المطلقة أو الجزئية على ٦٠ معملا اسرائيليا ، الى جانب هيمنتها على أكبر شركة اسرائيلية للبناء « راسكو » ، وتساهم فى شركة من أكبر الشركات الاسرائيلية التى تقوم ببناء المنشآت المائية ـ « ميكوروت » ، وتساهم كذلك فى شركة طيران اسرائيل « العال» وفى الشركة البحرية الاسرائيلية « تسيم » ، التى تقدم خدماتها على الخطوط الدولية .

ويلوح ضروريا التحدث باختصار عن المصادر الأساسية لتدفق الرساميل الأجنبية على اسرائيل مابين أعوام ١٩٤٨ ـ ١٩٥٩ . تشكل حصة الولايات المتحدة (قروض بنك الاستيراد والتصدير ، ومساعدات فائض الانتاج الزراعى) ـ ٥٥٧٫٣ مليون دولارا ، أو ١٦٫٣٪ ، والمجهود اليهودى ، (أقرأ : الصهيونى . ملاحظة من ى.أ) وغالبيته من الولايات المتحدة الأميركية ـ ٨٤٨٫٧ مليون دولار ، أى ٢٥ ٪ ، والسندات الحكومية الموظفة بشكل رئيسي فى الولايات المتحدة ـ ٣٣٤٫٦ مليون دولار ، أو ١٠ ٪ ، ثم قروض المصارف الاجنبية والرأسمال الخاص ومصدرها الرئيسى الولايات المتحدة وفرنسا ـ ٧٧٠٫١ مليون دولار ، أو ٢٢٫٧ ٪ ، أما حصة ألمانيا الغربية (فى تمويل الدولة وبعض الأفراد بصفة تعويضات) فتشكل ٧٢٥٫٣ مليون دولار أو ٢١٫٤ ٪ .. الخ . وبالاجمال ، فان مجموع هذه المساعدات يشكل ٣ مليارات و ٣٨٦ مليون دولار . واذا ما أخذنا النصف الأول من عام ١٩٦٠ ، عندما كانت الاموال غير المنقولة للعرب تبلغ ٥٦٠ مليونا من الدولارات ، كان مجموع الرساميل على طول ١٢ عاما يشكل ٤ مليارات و ١٠٠ مليون دولار ، أو ٣٤٠ مليون دولار فى العام الواحد ، أو زهاء مليون دولار فى اليوم . (٢٦) .

ولحين وقوع العدوان الاسرائيلى فى يونيو عام ١٩٦٧ ، كانت « الحقنة » اليومية للاقتصاد الاسرائيلى تحتفظ بذلك المستوى العالى جدا . وفى الأيام الأولى للعدوان ارتفع هذا ارتفاعا

ملموسا . ولنشر أيضا الى أنه حتى عام ١٩٦٧ كانت تعمل فى اسرائيل ٢٠٠ شركة أميركية . فاذا تذكرنا ان عدد سكان اسرائيل يبلغ ٢ر٦ مليون نسمة ، وأن مساحتها حسب حدود عام ١٩٤٨ اللا شرعية تبلغ ٢٠ الف كم مربع ونيف مع وجود ١٦٣ شركة ضخمة نسبيا ، فان المعطيات المذكورة انما تشهد على أن الاتحاد العالمى الصهيونى وبواسطته ، الاحتكارات الاميركية والالمانية الغربية ، تشرف فعليا على اقتصاد دولة اسرائيل .

ومن الطبيعى جدا أن تكون الصهيونية العالمية صديقة ثابتة للامبريالية العالمية ، التى تعتبر اسرائيل لا وليدة لها فحسب ، بل ملكا لها أيضا .

من الممكن اعتبار علاقة كبار القادة الصهيونيين هذه معقولة ومحددة مسبقا للمكان المخصص لاسرائيل فى المنظومة الصهيونية، اذا اعتبرنا أن اسرائيل ، هى أوساطها الحاكمة التى تشكل جزءا من الاتحاد الصهيونى والخاضعة لارادته ، او اذا اعتبرنا ان اسرائيل، هى الجهاز الحكومى والادارى والآلة العسكرية التى كونت خطوة خطوة مع الأخذ بالحسبان آفاق المخططات الصهيونية الدولية . فأمام اسرائيل هذه ـ اسرائيل العسكريين ، والمغامرين السياسيين، والمرائين ، المهيمنين الحقيقيين على الاتحاد الصهيونى العالمى (وليس الاداريون ، والجوالون أمثال جولدمان) تطرح فى المرحلة الحاضرة ثلاث مهمات أساسية مدعوة لتحديد دور اسرائيل فى المنظومة الصهيونية العالمية :

: تحويل اسرائيل الى قرصان حربى مؤهل ، عن طريق استخدام القوة والاشراف ، للتأثير بصورة فعالة على اتجاه مجرى الاحداث فى منطقة الشرق الادنى (التى لها أهمية حيوية لا تثمن بالنسبة للامبرياليين (*) .

مواصلة تدعيم اسرائيل كمركز للتأثير الدينى والسياسى ، وقدر الامكان للاشراف على ملايين اليهود ، مواطنى مختلف البلدان .

(*) لنستشهد بالمعطيات التالية التى توضح توظيفات اتحادات الولايات المتحدة الاميركية فى الصناعة النفطية فى منطقة الشرقين الادنى والاوسط والارباح التى حققتها :

←

تمتين مواقع اسرائيل كوسيط لعملية التغلغل الاقتصادى والسياسى الامبريالى (تحت العلم الاسرائيلى) فى البلدان النامية فى أفريقيا وآسيا (كما فى بعض البلدان الأخرى ..).

ان مجرى الأحداث فى الشرق الأوسط وداخل اسرائيل نفسها خلال العشرين عاما المنصرمة ، يشهد على أن الاوساط الإسرائيلية الحاكمة تسعى بكل اخلاص وحرص لضمان انجازهذه المهمات .

وأن الـ ٨ مليارات دولار (٢٧) ، التى أعلن عنها ، والتى تلقتها اسرائيل على مدى ٢٠ عاما من وجودها (المبلغ الذى لم يحصل عليه أى بلد « يسخى عليه » زعماء « العالم الحر » !) تبين أن الامبريالية قد انخرطت فى لعبة جدية وخطرة فى منطقة الشرق الاوسط . وأن التخطيط للحصول على ٩ مليارات دولار اضافية ما بين الأعوام ١٩٦٧ و ١٩٧٥ ، ليدل بسطوع على ان هذه اللعبة لن تكون أقل خطرا أو توجيها .

لقد اعترف زعماء اسرائيل بصراحة انهم لم يبدأوا من الصفر، وذلك فى الوثيقة المعتمدة لأوسع الجماهير . « لقد ابتاعوا لنا هذا المكان ، ومنحونا تأييدهم أعواما طوالا كى نتمكن من الوقوف على أقدامنا .. ونحن نسدد ديننا ليس بالعمل فحسب ، بل بالأموال ، بالمعنى الحرفى للكلمة » (٢٨).

السنوات	توظيفات مباشرة	أرباح اضافية بعد دفع الضرائب بملايين الدولارات	معدل الارباح من توظيف الرساميل
١٩٦٣	١٢٠٧	٨٢٥	٦٨،٣
١٩٦٤	١٢٤٠	٨٩٣	٧٢،٠
١٩٦٥	١٤٩١	٨١٣	٥٤،٤

وكما يشير س. استاخوف (فى مقاله عن « القوى الخفية » للعدوان الاسرائيلى) فى مجلة « الحياة الدولية » رقم ١٠ - ١٩٦٧ - تشكل هذه المعطيات رقما وسيطا بالنسبة لكل هذه المنطقة . ومن الضرورى ان نشير ، مثلا ، الى الكويت ، حيث يشكل الدخل الصافى السنوى للاحتكارات النفطية حوالى ٥٠٠٪ من اساس الراسمال الموالف . وطبقا لمعطيات الصحافة الغربية ، فان دخل الشركات الاميركية النفطية من النفط العربى يبلغ مليارا و ٢٠٠ مليون دولار فى العام - اما البريطانية فيبلغ ٦٠٠ مليون دولار .

وبمقتضى الميزانية الرسمية لاسرائيل ، فانها قد لحظت فقط لعام ١٩٦٦ ــ ١٩٦٧ مقدار ٢٠٪ من جميع مخصصاتها لتسديد بعض القروض وايفاء فوائد بعضها (٢٩) (وما يقارب ٤٠٪ للنفقات العسكرية المباشرة وغير المباشرة) . لذا ، فان أى اسلوب جهنمى سيتخذه الحكام الاسرائيليون حيال عمال المدن والقرى ، والتعاونيات الزراعية المرتبطة بالمصارف الصهيونية ، لن يمكن (عمالهم) من أن يسددوا بأعمالهم طوال سنوات عديدة ولو قسما من الحوالات التى أعطاها للطبقة الاسرائيلية الحاكمة أولياؤها الامبرياليون . والأوساط الحاكمة فى اسرائيل تعلم علم اليقين ، وأكثر من العديد من الاسرائيليين ، وتدرك كنه ذلك ، فتعتزم بشكل سافر على ايفاء ديونها عن طريق اسداء خدمات معينة للدائنين .

« ليس غير اسرائيل قوية تعطى الولايات المتحدة الاميركية امكانية اعاقة النفوذ المتنامى للاتحاد السوفياتى فى منطقة الشرق الاوسط » (٣٠) . هذا ما أعلنه رئيس وزراء اسرائيل ، ليفى أشكول لرئيس الولايات المتحدة الاميركية ، جونسون ، فى يناير ١٩٦٨ أثناء احتدام عدوان العسكرية الاسرائيلية فى الاراضى العربية المحتلة التى أغتصبت نتيجة لعدوان يونيو الغادر .

« الاوساط الاسرائيلية : من الممكن أن يكون بيننا وبين العرب جولة جديدة فى مستقبل غير بعيد » . ــ هكذا تنبأت لعامى ١٩٦٨ ــ ١٩٦٩ جريدة « هآرتز » .

هذه هى عملة العسكريين الاسرائيليين ، والضمانة العملية لـ « اخلاص » محاولتهم فى حل أحدى المهمات الرئيسية المطروحة أمامهم .

ان ملايين الليرات الاسرائيلية ــ وهذا فى ظروف وجود البطالة ــ تنفقها السلطات الاسرائيلية بسخاء من أجل الدعاية لأفكار « الأمة اليهودية العالمية » ، ولنشر دعوة التفاف اليهود حول اسرائيل ، ومساعدتهم المختلفة الوجوه لأعمال الأوساط الحاكمة الاسرائيلية ومغامراتها العسكرية . وللامبريالية مصلحة وثقى بنشاط الدعاة الاسرائيليين هذا ، ولذا ، فان قسما لا بأس به من تلك المليارات التى تبحر الى « أرض الميعاد » يذهب الى جيوبهم .

ان الشكل الاسرائيلى للتفرقة العنصرية (اشكناز ــ سيفارد ــ « غوى » ــ عربى ، وهي أجناس السكان المصنفة فى اسرائيل) ، وكذلك الشكل المبتدع للتمييز العنصرى البربرى ضد العرب ، يخدمان نفس هذه الأهداف . فهذا جزء لا يتجزأ من سياسة القيادة الصهيونية فى المنظمة الصهيونية العالمية واسرائيل من أجل بناء ما يسمى ب « مركز التأثير » ــ « المركز اليهودى » (وليس دولة اسرائيل التى يقطنها الاسرائيليون) .

فالصهيونيون ، بسبب وبلا سبب ، يعرقلون العملية الطبيعية لنشوء الأمة الاسرائيلية ، واضعين فى طريقها المعوقات والحواجز التى لا تحصى . فهم ، طبعا ، لا يحتاجون الى الأمة الاسرائيلية المتعاضدة الموجودة حاليا فى المرحلة الاولى من تكوينها ، والتى تظهر أمارات اللامبالاة ازاء الصهيونية ، كما ازاء الألمان ، والانجليز ، والروس ، والايطاليين اليهود الأصل .

وقد أعلن أورى افنيرى ، رئيس تحرير احدى المجلات الاسرائيلية الواسعة الانتشار انه يريد هو نفسه أن يتكلم عن عدم دعوة أى شخص مؤهل للتعبير عن آراء الجيل الجديد ، الى المؤتمر (الصهيونى السادس والعشرين المنعقد فى القدس) . قال : «أن هذا المؤتمر المنظم من قبلكم هنا ، هو بالنسبة لنا ظاهرة غريبة ومقيتة . نحن لا نعرف ما هى الصهيونية .. انها تتحرك بيننا كجثة حية ، وتفسد أذهاننا . وليس فقط أذهاننا ، بل جميع انظمتنا الادارية والتنظيم السياسى وقضية وجودنا القومى » .

أن قادة الصهيونية العالمية ليسوا فقط بحاجة الى الطبقة الحاكمة الممسكة بزمام الأمور ، بل الي وجود فئة ذات امتيازات ترجع بأصلها الى تلك البلدان التى يقطن فيها حاليا أكثر اليهود ثراء ونفوذا سياسيا (كأوروبا الغربية وأميركا) . وهذه الفئة مدعوة (من أجل الاستهلاك الخارجى) لأن تحشد اسرائيل ككل . ووفق حسابات الخبراء النفسيين الصهيونيين ، فأن قسما معينا من يهود أوروبا وأميركا مؤهل للتبرع (أى لحقن الخزينة الصهيونية) تماما كما هو مؤهل لاظهار ولائه لفكرة « ازدواج الجنسية » .

وفى هذا أيضا يكمن اثبات آخر لاشكال العنصرية الاسرائيلية . ولكن من المعروف ، أن كبح هذه العملية الموضوعية أو تلك يمكن

فى أحسن الظروف أن يؤدى الى تأخيرها وقتيا وليس بمقدور أحد أن يقضى عليها . والمحاولات من هذا القبيل تؤدى حتما الي الانفجار .

ولقد قامت المجلة الاميركية « نيوزويك » (٣١) بنشر أخبار على قدر من الموضوعية حول الوضع فى اسرائيل تؤدى بك بشكل لا ارادى الى نفس الفكرة . ولنستشهد ببعض الاقتباسات التى اقتطفناها : « منذ عام ١٩٤٨ هاجر الى اسرائيل أكثر من مليون و ٢٠٠ ألف يهودى . وقد جاءوا من ٩٤ بلدا وكانوا يتكلمون ٧٠ لغة . ومع الهجرة الجماعية تكون ما يسمى ب «اسرائيل الثانية» ، اذ أن اليهود السيفارديين أى من أصل شرقى يشكلون ٦٠٪ من سكان اسرائيل البالغ عددهم مليونين ونصف المليون . هؤلاء هم اليهودالآتون من بلدان أفريقيا الشمالية ، وآسـيا ، والشرق الأوسط والذين تختلف ثقافتهم وآراؤهم الاجتماعية الى حـد كبير عن آراء اليهود الاوروبيين ، ويعادل دخل اليهودى الشرقى ثلاثة ارباع متوسط دخل اليهودى الاوروبى ، فقط » .

على أن الانشقاق يذهب الى أبعد من الاحصـاءات الجافة . فاليهود الاوروبيون يحتقرون اليهود الشرقيين . وكما أعلن أحد اليهود البولونيين وصاحب أحد المخازن : « لا يجوز أن ينتظرمنهم عمل كالذى ينتظر من الأوروبى » . « لا شك أنه شاب لطيف » ــ قالت احدى الاسرائيليات عن صهرها العتيد « لكنه أسودااللون ، من ليبيا ، وهو ليس أحسن من العربى بشىء » . ثم وضـعت أصبعها على شفتيها والتمست قائلة : « من فضلكم لاتنقلوا هذا الكلام للجيزان » .

وتنوه مجلة « نيوزويك » فتقول أن العديدمن اليهودالشرقيين يضمرون الشر لليهود الأوروبيين . « اليهود الأوروبيون يودون أخضاعنا ــ صرح بهذا داود حاكخام اليهودى المهاجر من العراق ــ نحن القاعدة السفلية ، أما هم فالذروة . لقد جئنا الى اسرائيل هربا من التمييز العنصرى ، لكننا وجدناه هنـا .. » . وقال ميخائيل زيلتسر ، أحد المدافعين الجذريين عن قضـايا اليهـود الشرقيين : « انهم يحاولون محق اليهود الشرقيين من الناحيـة الثقافية . ويرغبون بتحويل اليهود الشرقيين الى أوروبيين ، **ولا يدرون أنهم يجلسون على برميل بارود** » . (التشديدمنى ــ ى.أ.)

ونرى من المناسب توضيح ناحية أخرى من نشاط النظريين الصهيونيين والتطبيقيين فى « حل » القضية القومية .

كتب أ. جيرومسكى عن انطباعاته عن اسرائيل يقول : « حتى الان لم يحدد ، بعد ، من يعتبر يهوديا . ولكن ، لا يوجد أية ريبة في الذي يعتبر « غوى » (*) . والأكثر من ذلك ، فان تحديد انتماء الناس للعنصر غير اليهودى يجرى بشكل فظ جـدا . . وها نحن نقدم حرفيا مقطعا من مقالة أحد المواطنين اليهـــود منشورة فى المجلة الاسبوعية الاسرائيلية « اود نوفا » الصادرة عن حزب المابام باللغة البولونية . « دعونى الى غرفة منفردة ، وأمرونى بخلع سروالى ، وبعدها بدأ الفحص الدقيق والشامل ، وفى النهاية مزقت الصمت المطبق كلمات تقول : « بالضــبط ، يهودى ! » . أين ومتى يجرى ذلك ؟ فى فرصوفيا ؟ فى لودزى ؟ فى عام ١٩٤١ ؟ فى عام ١٩٤٢ ؟ فى عام ١٩٤٣ ؟ .. لا ، فى اسرائيل عام ١٩٦٠ ، العمل يجرى فى تل أبيب ، فى شارع يافنه ، فى مبنى المنظمة الموقرة الحاملة اسم « محكمة الحاخامين » . متى ؟ كما ذكرنا : فى عام ١٩٦٠ ميلادى . مرتين فى حياتى نزعوا عنى سروالى للتثبت من انتمائى الى الشعب المختار . المرة الأولى فى المحجر قبل ترحيلى الى أوسفنتسيم ، والمرة الثانيــة ــ هنا فى اسرائيل » (٣٢) .

ولنر بشكل مقتضب كيف تحقق الأوساط الحاكمة فى اسرائيل الهدف الثالث من الأهداف الأساسية التى سبق أن ذكرناها والتى طرحتها أمامها الطغمة القيادية للاتحاد الصهيونى العالمى ؟

فى ابيدجان ، عاصمة ساحل العاج ، شمخ منذ فترة وجيزة فندق ضخم ، وأنشئت منازل وشقق بيعت أو أجرت بأســعار خيالية (تكلفة المشروع ٢٠ مليون دولار) .

لقد قام المليونير اليهودى ايكوستيال فيديرمان بتمويل البناء مبرهنا ، بالأفعال لا بالأقوال عن « استعداد الممولين الاسرائيليين للمساهمة فى « تحرير اقتصاد البلدان المتخلفة » . وبعد انجــاز البناء عين فيديرمان بنفسه لادارة الفندق شخصا موثوقا بهيدعى فيللى شيلينر .

«*» غير يهودى ..

وبعد مضى فترة من الوقت أتضحت تفاصيل مثيرة جدا ومرتبطة بالحوادث الآنفة الذكر والتى تستلفت الانتباه . فقد أصبح واضحا أن الصفقات التى تتم عن طريق فيديرمان فى أفريقيا تخص شركة اسمها « بوبينا » يحيط بها الغموض . وظهر أن شركة « بوبينا » مسجلة فقط فى دولة واحدة فى العالم وهى امارة « ليختينشتاين » . الا أن جدول مالكى أسهم هذه الشركة، كما أذيع ، كان سريا .

وعلى الرغم من ستار السرية انكشف واقعان بليغان : (١) رغم دور فيديرمان القيادى فى هذا المشروع ، انتقل ٢٥٪ من اسهمه الخاصة الى أيدى أولئك السريين المساهمين فى الشركة ، (٢) الشخص المعين من قبل فيديرمان لادارة الفندق ، عرف فيما بعد انه نازى نشيط كان فيما سبق مساعدا لنازى آخر بارز هو البرت شيربر ــ الذى قضت عليه محكمة نورنمبرج بالسجن ٢٠ عاما .

ومن المفيد ذكره أن المليونير فيديرمان قد قدم الى حكومات البلدان الافريقية من قبل حكومة اسرائيل ، وجولدا مايير ــ العليمة بجميع مكائد الزعامة الاسرائيلية والمساهمة فيها ، قد توجهت الى فيديرمان بدعوة لاعطاء نشاطه فى افريقيا صبغة اسرائيلية محضة (٣٣) . ولم يبق لهذا الاخير ألا يكون وفيا لحرفية هذه التعليمات وروحها .

وفى المرحلة الممتدة من عام ١٩٥٩ حتى عام ١٩٥٦ ، أنهى ٤٦٤٠ طالبا افريقيا دراستهم فى اسرائيل (٣٤) . ودرست الغالبية العظمى لهؤلاء الطلاب فى فروع الزراعة واتقنت فن « احتلال مراكز قيادية فى الحركة العمالية للسكان الأصليين » .

أن مثل هذه الحرفة تدرس فى اسرائيل فى « المعهد الافرو ــ آسيوى للتعاونيات والأبحاث فى مضمار الحركة العمالية » . لقد تم تأسيس هذا المعهد عام ١٩٥٩ على أيدى ما يسمى بالاتحاد النقابى الاسرائيلى ــ الهستدروت ــ (الذى ، هو فى ذات الوقت، صاحب أعمال مشتركة وهمزة وصل مع الرأسمال الاجنبى) والتجمعين النقابيين الأميركيين : اتحاد العمل الاميركى ، و «اتحاد نقابات الانتاج » . وعلى أساس التكافؤ ، ثبتت عضوية الياهو ايلات (نائب سفير اسرائيل فى الولايات المتحدة وانجلترا)

وجورج مينى ـ رئيس اتحاد العمل الأميركى كعميدين لهذا المعهد .

ويذكر ، بشكل خاص ، الصحفى الاميركى جورج موريس فى كتابه « وكالة الاستخبارات المركزية والنقابات الاميركية » أن « المعهد الافرو ـ آسيوى » الموجود فى اسرائيل ، هو مؤسسة تتحكم بها بشكل نشيط الاستخبارات الاميركية بمساهمة النقابات الاميركية .

منذ زمن ليس بالبعيد ، أعلنت الحكومة الاسرائيلية جهارا « يقع على اسرائيل قسط من الرسالة التاريخية العظيمة وهى ، فى نفس الوقت ، واجب أسداء المساعدة للشعوب المتخلفة والبدائية لتتكامل وتتحرك الى الأمام » (٣٥) .

ويتكلم ميخائيل بريتشر فى كتابه « دول آسيا الجديدة » عن مهمة اسرائيل هذه ، لكنه يختصر بيان حكومة اسرائيل بصيغة جافة ولكنها أكثر وضوحا ودقة : « الاستعداد للقيام بدورالجسر بين الدول الاستعمارية الكبرى فى الغرب والمناطق التابعة سابقا » (٣٦) .

وهكذا جرى الحديث بشكل مقتضب عن المكان والدور المخصصين لاسرائيل من قبل القوى الامبريالية فى المنظومة الصهيونية العالمية ، وكذلك عن المهمات الأولية التى طرحها أولياء الأمر فى المرحلة الراهنة امام اسرائيل . ومن الجلى ، أن دور الفصيلة الضاربة للصهيونية وما ينتج عنه من مهمات تتفق تماما ومصالح الطبقة الحاكمة فى اسرائيل . لكن الأمر يختلف بعض الشىء فيما يختص بالدور المخصص لاسرائيل حتى الحقبة الاخيرة فى المنظومة الصهيونية العالمية .

ومن المحتمل جدا أن تكون خطط الأوساط الاسرائيليةالحاكمة فيما يتعلق باقامة اسرائيل « كبرى » أو « عظمى » (والتىينبغى حسب راينا أن يتخذ حيالها موقف اليقظة الشديدة والجدية) مرتبطة برغبة الحكام الاسرائيليين فى احداث تصحيحات فى هذه المسألة الجوهرية بالنسبة لهم . فدور الشريك الأصغر ، ودور الطفل الذى بدأ العراك بالأيدى ، لم يعد يرضىالمرشحين لـ «عرش الامبراطورية الاسرائيلية » فى منطقة الشرق الاوسط .

وان ازاحة ناحوم جولدمان ، منذ فترة وجيزة ، من منصب رئاسة المنظمة الصهيونيةالعالمية،جرت على ما يبدو ، تحتضغط

الزعماء الاسرائيليين الصهيونيين الذين يمنون النفس الآن بأحد المراكز القيادية فى الاتحاد الصهيونى العالمى . وعلى الارجح ، سينتخب من بين هؤلاء رئيس جديد للمنظمة الصهيونية ، وطبعا، سيكون هذا الأمر خطوة عملية لتحقيق مخططات الصهيونيين الاسرائيليين السابقة ، لتحقيق الاشراف على تلك القوى التى لا تزال حتى الآن تخضعهم لأشرافها .

***

فى الغابة التى يطلق عليها اسم « الجيش الاحمر » ، والواقعة على مقربة من القدس ، يجتمع ، فى التاسع من ابريل لكل عام، آلاف العمال من اليهود والعرب ــ ممثلى اسرائيل العاملة ــ وعند الصخرة الصغيرة ــ النصب التى ليست على كل حال من صنع النحاتين الاسرائيليين الكبار ، يحتفى هؤلاء بيوم النصر على ألمانيا الفاشية ، ويكرمون بصمت ذكرى الجنود والضباط السوفيات ، الذين تحملوا العبء الأكبر فى النضال ضد القطعان الهتلرية ..

انهم ، ناس العمل ، الاسرائيليون الأمميون ، الذين يحتفون كل عام بعيد الانتصار على القوى الرجعية ، التى تعاون معها زعماء الصهيونية وما زالوا يتعاونون الآن وأكثر من أى وقت مضى ، يدركون أكثر من أى كان فى البلاد أن نهاية الطريق التى يسير عليها قادة اسرائيل الحاليون يمكن أن تصبح كارثة قومية لا مثيل لها . « أن أمميتنا ووطنيتنا مرتبطتان فيما بينهما ــ هكذا يعلن الممثلون الحقيقيون لشعب اسرائيل ــ واننا لا نرى فى سياسة الدولة ، سياسة معادية للعرب ، وللشيوعية ، وموالية للامبريالية وحسب ، بل هى أيضا سياسة معادية للأمة بصورة سافرة . **أنها تعرض شعب اسرائيل ومستقبل دولة اسرائيل للخطر .** (التشديد منى ــ ى.أ.) ان هذه السياسة مفرغة من أى آفاق على ضوء الوضع الحالى فى منطقة الشرق الأدنى والعالم أجمع » (٣٧) .

ان مأساة اسرائيل الحالية تكمن فى ان معظم سكان البلاد لم يدركوا جوهر سياسة الاوساط الحاكمة فى اسرائيل ، ذلك الدور الذى يضطلع به الاتحاد الصهيونى العالمى فى تخطيط هذه السياسة لصالحه ولفائدة شركائه الامبرياليين . وما زالت أعداد كبرى من الاسرائيليين لا يرون ، أو ، لأسباب متعددة ، يأبون الاعتراف بأن الاتحاد الصهيونى العالمى والزعماء الصهيونيين الاسرائيليين قد عملوا الكثير ، ويا للأسف ، من أجل تحويل دولة

اسرائيل الى اداة طيعة لسياستهم التى تتعارض مع المصـــالح القومية للشعب والبلاد .

ان تشكيلة كبيرة من الاحزاب الصهيونية فى اسرائيل — بدء من المابام الذى تسللت الى برنامجه عبارة «دكتاتورية البروليتاريا» حتى « حيروت » الذى يطالب جهارا منذ زمن بايجاد موسوليني اسرائيلى — مدعوة لتلبية أذواق الاسرائيليين السياسية المختلفة بغية أن نبعث فيهم الثقة فى الخرافة الخاصة بالصهيونية والتى يصوغها بدقة متناهية كل حزب من هذه الاحزاب .

أن حدة المجادلة بين مختلف أنواع الممثلين الصهيونيين فى الكنيست الاسرائيلى (فى الفترات الممتدة بين الاعتــداءات على الدول العربية) قد بلغت درجة من التوتر لم يشهد لها مثيل ، وكل عضو بسيط فى هذا الحزب الصهيونى او ذاك بنوه بـكل ارتياح ذاكرا كيف « خدع » نائبه بلباقة خصمه (الذى لا يقل عنه ولاء للصهيونية) .

ولكن سيأتى وقت يقتنع فيه الاسرائيلى بأن الصـــــهيونية ، ليست كما يؤكد بعض دعاتها « اليساريين » ، « اعادة تربية اليهود على العمل فى سبيل بعث سمعتهم الحسنة » ، وسيرى نفســـه فجأة يسير بالحرية المصوبة الى الأمام وفى صف واحد مع ممثلى المنظمات الصهيونية الأخرى البعيدة عنه عقيدة وروحا ، بينما يشغل نائبه المكان المهيب المناسب فى «حكومة الائتلاف الوطنى» ويقيم العوائق الصاخبة فى وجه كل من يرفع صوته للدفاع عن شرف الشعب اليهودى وكرامته ..

الخامس من حــــزيران عام ١٩٦٧ ، البرلمـــــان الاسرائيـــلى (تسجيل مختزل) .

م . فيلنر : — ان حكومة أشكول .. شنت اليوم حربا ضد الجمهورية العربية المتحدة .. ما من عــدو يســتطيع ان يجلب لاسرائيل كارثة كهذه الكارثة التى جلبتها الحكومة الحالية .. أن هذه الحرب لا تحل أى مســــــألة من المسائل المتنازع عليها بين اسرائيل والدول العربية ، بل انها تعقد القضـــــايا المعلقة وتلحق ضررا جسيما باسرائيل ســــواء فى منطقتنــــا أم على المسرح العالمى ..

وهذه الحرب لا تفيد الا الامبرياليين الاميركيين والبريطانيين وحدهم مقدمة لهم أرواح أبنائنا وبناتنا ثمنــــــا للمحافظة على امتيازاتهم النفطيـــة وقـــواعدهم الحربيـــة فى منطقـــة الشرق الاوسط .

(صياح هستيرى ووعيد ينطلق من على جميع المقاعد) .

ت . **طوبى** (من مكانه) : الحرب الحالية هى عدوان سافر .

م. **فيلنر** : ـ هذه الحرب موجهة ضد مصـــــالح اسرائيـــل الحقيقية ..

(يتصاعد الصراخ الهستيرى ، ورئيس المجلس كاديش لوز يحاول تهدئة القاعة) .

ت . **طوبى** (من مكانه) : لن يكون بمقدوركم خنـــق صـــوت الحزب الشيوعى الاسرائيلى ، صوت الشيوعيين اليهود والعرب. هذا صوت السلم وهو أقوى من صياحكم ..

(يشتد الضجيج ، وفى القاعة تتـــردد هتـــــافات معــــادية للسوفيات) .

م. **فيلنر** : ـ أن الاتحاد السوفياتى ينادى بالسلم بثبات ، والشعب الاسرائيلى سيحتاج الى مساعدته بغية انقاذ اسرائيل من جحيم المصائب التى تدفعونها اليها ..

٢٦ يونيو :

م. **فيلنر** : .. نحن ما زلنا نتخذ المواقف التى اتخذناها عام ١٩٥٦ (زمن عدوان ١٩٥٦ ـ ى. أ.).

م . **بيرام** (صهيونى يمينى) : العار لكم ! (صيحات هستيرية من كل جانب) .

م . **فيلنر** : انكم تجرون الأمة الى الكارثة . وستصلون بهاالى هذه الكارثة ! نحن نسعى لحماية شعباسرائيل من مغامراتكم . نحن نريد ضمان امن اسرائيل ، ونريد لها الســـلم لا المغــامرات الحربية فى سبيل المصالح الاميركية والبريطانية .

(صياح هستيرى) .

م . **فيلنر** : .. انهم يكرهون الاطفال ، والشيوخ ، والنســـاء على مغادرة منازلهم بدون ابطاء ، ليســـيروا متثاقلى الخطى مع بقايا متاعهم الزهيدة الى حيث لا يوجد مأوى ولا اى شىء .. أن أقل ما يوصف به هذا العمـــــل ، هو التعسف بحق الســــكان الآمنين ..

م . **كوهين** (صهيونى يمينى) : كف عن دعايتك ضد الحكومة الاسرائيلية ..

م . **فيلنر** : اننى أتكلم عن ذلك لصالح دولة اسرائيل .

م . **كوهين** : انت محرض !

م . **فيلنـــر** : ان اللاسامية لم تجلب الخير لأى شعب . ولم تجلب أكاليل الغار لأولئك الذين استغلوها ضداليهود ، ولن تؤدى خدمة لليهود الذين يستغلونها ضد العرب ..

ان الشيوعيين الاسرائيليين أناس على قسط كبير من الشجاعة . ففى ظروف الملاحقة العصيبة ، وفى سورة الشوفينية ، يحملون كلمة الحق للشعب الاسرائيلى ، عالمين أن ليس غير من يسير فى دروب السلم يستطيع ان ينطلق بثقة نحو المستقبل ، حيث الأمن ، والثقة المتبادلة ، والتعاون ، والصداقة بين جميع شعوب الشرق الاوسط ، تصبح قاعدة الحياة .

وبهذا الصدد قال م. فيلنر امين عام المكتب السياسى للجنة المركزية للحزب الشيوعى الاسرائيلى : « ان سياسة الحـــزب الشيوعى الاسرائيلى ، هى سياسة الانقاذ الوطنى ، هى الطريق الوحيدة لتسوية المسائل الشاقة المطروحة امام شعب اسرائيل . وان حزبنا يناضل من أجل ان تعبأ فى جبهة واحدة كافة القوى المحبة للسلام فى اسرائيل ، بصرف النظر عن ارائها السياسية ، التى تطالب بسحب الجيش الاسرائيلى من المناطق المحتلة ، وتدعو للتسوية السلمية للازمة وفق الاسس التالية :

١ ــ سحب القوات المســــلحة من الاراضى المحتلة التابعــــة للجمهورية العربية المتحدة ، والاردن ، وسورية ا، كخطوة ضرورية فى طريق التسوية السلمية والعادلة على أساس الاحترام المتبادل للحقوق ، وأن يؤخذ بعين الاعتبار الاعتراف بوجود اسرائيــــل وحقوقها القومية .

٢ ــ الاعتراف بالحقوق القومية للشعب الفلسطينى العربى ، وقبل كل شىء ، حق اللاجئين العـــرب بمقتضى قرارات الامم المتحدة » (٣٨) .

الا أن القيادة الاسرائيلية لا تريد أن تصغى الى صوت العقل .

عام ١٩٦٧ .. « تتكاثر الانباء الواردة عن وحشية وتعسف المحتلين الاسرائيليين فى الاراضى المغتصبة . وكذلك عن الاحداث التى تجرى فى شبه جزيرة سيناء ، وفى قطاع غزة ، وفى الضـــفة الغربية لنهر الاردن ، وفى الأراضى السورية التى يحتلها الجيش الاسرائيلى . كل هذا يقود الى التفكير بالجرائم المخيفة التى اقترفها الفاشيون وقت الحرب العالمية الثانية » (٣٩) .

عام ١٩٦٨ .. زادت ميزانية الحرب الاسرائيلية ٢٠٪ ، وميزانية البوليس ١٥٪ ، وميزانية وزارة التعليم انقصت بمقدار ٢٤٪ وميزانية الصحة انقصت ٢٥٪ ، وانقضت ميزانية الضمان الاجتماعى ٢٥٪ (٤٠) . « ان مهمتنا هى خلق اسرائيل الكبرى » ، ـ هذا ما أعلنه وزير العمل الاسرائيلى ى.آلون عندما أصدر أمرا باستيطان المناطق العربية المحتلة .

« المدافع مكان الزبدة ! » ، « اسرائيل الكبرى »، « مدى حيوى » ، لكم هى معروفة هذه الشعارات ! ويا له من تشابه مخيف بكل ما فى الكلمة من معنى !

« لماذا لم يصعق موشيه دايان عندما تفوه بكلماته التى تثير رعب الذكريات ـ هذاماصرح به جهارافى حيرة صادقةالكاتب الاسرائيلى آموس أوز بمناسبة خطاب الجنرال الدورى ـ وأضاف قائلا : فمن المؤكد أن « المدى الحيوى » لا يعنى شيئا آخر غير طلب طرد شعب، لكى تستوطن محله أمة « أكثر حضارة » .. لماذا استعمل موشيه دايان الاصطلاح الذى يستخدمه أعداؤنا كتعسف ضدنا ، نفس الاصطلاح الذى تفوه به النازيون وأصبح مرادفا للبذاءة بالنسبة لجميع شعوب العالم المتعشقة للحرية » (٤١) .

فاذا كان آموس أوز فى حيرة فقط من تعبيرات موشيه دايان المزعجة ، ففى اسرائيل يتعاظم عدد أولئك الذين يدفعهم شعورهم الوطنى والعدالة للانتفاض ضد أعمال العسكريين الاسرائيليين الاجرامية . وان الشعور السامى بالمسئولية تجاه مصير الوطن يدعو هؤلاء الناس لمضاعفة صفوف المناضلين الذين يناهضون مخططات الحكام الاسرائيليين الخرقاء والتى تؤدى باسرائيل الى الهاوية المشئومة .

ضعوا حدا لانتهاكات حقوق الانسان فى اسرائيل وفى الأراضى المحتلة ! ـ هذا ما يطالب به الكتاب الاسرائيليون البارزون،والعلماء، والصحفيون ، والشعراء ، مع العمال ، والطلبة ، وممثلى بقية فئات البلاد . . وقد أعلن هؤلاء فى بيانهم الاحتجاجى قائلين « ان المزيد والمزيد من العرب يطردون من الضفة الغربية (لنهر الأردن ـ ى.١.) بمقتضى أوامر الحاكم العسكرى الاسرائيلى . أن السيطرة على شعب آخر تؤدى بالظالمين أنفسهم الى الانحلال الخلقى .. ان كل شعب يضطهد شعبا آخر سيفقد لا مناص حريته وحرية مواطنيه .. » (٤٢) .

والى جانب ذلك ، لا يمكن أن نغفل أن فى اسرائيل فئة أخري من الرأى العام :

ان منظمة « الحركة الاسرائيلية للسلام » الواسعة النفوذ (والواقعة تحت اشراف الصهيونيين) ، نشرت فى العديد من البلدان مذكرتها التى جاءت تحت عنوان «حرب الأيام الستة لشعب اسرائيل ، هى حرب دفاعية ، حرب من أجل سلامة دولة اسرائيل نفسها» . وقد أرسلت هذه المذكرة الى الولايات المتحدة الاميركية . .

وقد رد غ. هول ، أمين عام الحزب الشيوعى الاميركى فى رسالة مفتوحة على واضعى هذه الوثيقة وعلى تلك القوى التى تقف وراءهم :

« ... مهما كررتم مزاعمكم ، فان العدوان لا يمكن أن يتحول الى « حرب دفاعية » . وليس بمقدوركم انكار واقع هجوم القوات المسلحة الاسرائيلية على مصر ، وسورية ، والأردن . ولا تستطيعون نفى واقع قيام قاذفات اسرائيل بالقاء قنابلها على هذه البلدان . كما انه ليس بامكانكم دحض واقع احتلال قوات اسرائيل المسلحة حتى هذا التاريخ أراضى واسعة اغتصبتها من الدول العربية . ان وضعكم لا يسمح لكم بنفى واقع قيام اسرائيل باتخاذ الاجراءات لضم هذه الأراضى . .

« ان مسببات الأزمة ــ كما أكد الرفيق غيس هول ــ تعود الى نفط الشرق الأوسط . فقد طالبت حكومات الدول العربية ، بكل عدالة واصرار ، بزيادة عائداتها من توزيع تلك الثروة التى تضخ من اراضيها . وبشكل متعنت قامت حكومتا الولايات المتحدة وبريطانيا ، وخاصة وكالة الاستخبارات المركزية ، بعدة محاولات للاطاحة بالحكومات العربية هذه . .

« ان تأييد عدوان اسرائيل لا يعنى قط تأييد اسرائيل . . ان الانسانية تلفظ حجة الذين انبروا للدفاع عن العدوان الإسرائيلى . **وسيحكم على شعب اسرائيل من خلال نضاله ضد السياسة المجحفة التى تنتهجها الأوساط الاسرائيلية الحاكمة »** . (التشديد منى ــ ى. ا.) (٤٣) .

واليوم ، عندما يخدر السم الشوفينى (المسحوق المكثف الذى ينتجه ليلا ونهارا المركز الصهيونى) العديد من أولئك الذين ما

زالوا مستعدين حتى الآن لأن يبرأوا من ادمان الصهيرنية ، أولئك الذين يعز عليهم مستقبل وطنهم وأولادهم ، أولئك الذين لا يقهقهون عند رؤية آلام أبطال زفايغ ، أولئك الذين لم ينسوا معسكرات الاعتقال ، أولئك الذين يسعون لامتلاك الكرامة الانسانية ، يجدر أن نذكرهم بالكلمات المريرة المهمة والشريفة التى حواها نداء اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الالمانى الصادر فى ١١ يونيو عام ١٩٤٥ . فبالنسبة لاسرائيل لا تشكل هذه الدعوة وثيقة ذات قيمة تاريخية، بل تحذيرا مباشرا :

« ان المسئولية تقع على كواهل الالمان الذين رأوا فى سياسة التسلح « عظمة ألمانيا » وتقبلوا العسكرية الضارية ، والمسيرات والعروض العسكرية ، من أجل مصلحة الأمة العليا . ان تعاستنا تكمن فى أن ملايين وملايين الألمان انقادوا الى الديماجوجية النازية ، وفى أن سم النظرية العنصرية المتوحشة « النضال من أجل مدى حيوى » استطاع تسميم كيان الشعب . أن محنتنا تكمن فى كون فئات واسعة من الشعب نسيت احترام الكرامة الانسانية والعدالة، وسارت وراء هتلر لأنه وعدها بغذاء وعشاء دسم على حساب الشعوب الأخرى كنتيجة للحرب والسلب » (٤٤) .

ثمة طريق هو طريق الصهينة الشاملة لاسرائيل ، والمغامرات العسكرية الخطرة اللاحقة فى سبيل مصالح الاتحاد الصهيونى العالمى وشركائه الامبرياليين ، والبحث عن « المدى الحيوى » وثمة طريق آخر : « ليس مع الامبريالية ضد الشعوب العربية ، بل مع الشعوب العربية ضد الامبريالية » .

والخيار بينهما يحتمه المستقبل ، ولا يمكن التهرب منه !

ان المستقبل سيبين للرأى العام الاسرائيلى قدرة العقل .

الفصل الخامس

احذروا الصهيونية

ان يعقوب دى خاس ، سكرتير تيودور هرزل ، رغم كل حيطته ، لم يستطع ذات يوم أن يتمالك نفسه أمام الاغواء ، فأدلى علنا برأيه حول تلك الناحية من النشاط الصهيونى الدولى ، التى يقدرها عاليا ويغذيها « جبابرة هذا العالم » ، والتى يخفيها وينكرها الصهيونيون انفسهم . يعود هذا الراى الى عام ١٩٢٨ .

« ان المنظمة الحالية لا تتفاخر ، بسبب أو بدون سبب ، بامكانياتها الفعلية . وعند الحاجة لا يجوز ان نسقط من حسابنا هذا الشكل من التظاهر . فالقوة الهائلة للمنظمة الصهيونية الأميركية تكمن فى اتصالاتها وارتباطاتها التى لا تحصى ، وفى معلوماتها الدقيقة جدا عن أولئك الذين كانوا مسئولين عن الموارد البشرية التى تشكل قاعدة هذه الاتصالات . ترى ألم يكن الانجليز بحاجة الى مخبر امين فى أوديسا ؟ ترى ألم يكونوا بحاجة الى عميل موثوق فى خاربين ؟ وعندما طلب الرئيس ولسون أن يقدم له فى مهلة قصيرة جدا بيان شامل مؤلف من ألف كلمة يشرح بالتفصيل ما هى القوى التى تساند كيرنسكى الذى انتفض من أجل السلطة فى روسيا . . أمن **جميع هذه الخدمات** (التشديد منى — ى. ا.) « المركز الصهيونى » فى نيويورك دون أن يطلب شيئا على الاطلاق ، بل حاز على مزيد من احترام وعطف الشخصيات الاجتماعية التى صدقت بتواقيعها على الأعمال الكبرى . ان آلاف الصهيونيين كانوا يعملون فى كل مكان ويخدمون بأمانة فى مراكزهم المعززة المنتشرة فى كل مكان » (١) .

ان خاس ، النسيب الفكرى لجميع قوى الرجعية العالمية السوداء ، حاول القاء الظل على جميع اليهود متقدما لسنين عديدة عن المؤلف بعظة أكثر اقتضابا تشرح ، مبدئيا ، مدخلا مماثلا لتلك القضية : « بامكان كل فرد أن يكون جاسوسا . وعلى كل فرد ان يكون جاسوسا . ولا يوجد سر لا تجوز معرفته » (*) .

(*) رأى الفاشى رودلف هيس .

ولنلق نظرة سريعة على منطلقات الصهيونيين الكلاسيكيين الذين تتعارض عقائدهم ومصالح الكادحين اليهود . « ان فكرة الأمة اليهودية تنحصر في نضال الجميع ، بصرف النظر عن المستوى الثقافي والولاء الحزبي ، في جميع المسائل التي تمس اليهود واليهودية .. » ــ هذا ما كان ينادي به ناحوم سوكولوف .

وهكذا ، فان الأساس الأول للدعاية الصهيونية لم يكن نشوء الدولة الاسرائيلية ووجودها : « اليهودية فوق كل شيء »،بل أكثر من سبعين عاما من العمل لتحقيق هدف اخضاع يهود العالم بشتى الوسائل لارادة المركز الصهيوني العالمي ، وليس نشوء اسرائيل ككل، بل ترسيخ الزمرة الصهيونيةالحاكمة على قمة هرم المجتمع اليهودي هو الى حد كبير العامل الملائم لتقوية النشاط التخريبي الذي يقوم به المركز الصهيوني العالمي .

ان هذا النوع بالذات من نشاط المركز الصهيوني العالمي (لا في الاختفاظ بموافقه القيادية) يعطي في الظروف الآتية ، وبقدر ما، التزما للدوائر الاسرائيلية الحاكمة .

كتب المعلق العسكري لصحيفة « نيويورك تايمس » بولدوين عن النشاط المشترك لدوائر الاستخبارات الثلاث في الاتحاد السوفياتي (٢) : « أن ملاك الاستخبارات البريطانية الذي يحتوي على ٣٠٠٠ شخص ، وملاك الاستخبارات الاسرائيلية الذي يحتوي على ٣٠٠ شخص كما نفترض، يحصلان على دقة التحليلات والنتائج التي ترشد السياسة القومية للولايات المتحدة الاميركية .. وعلى فعالية أرفع بكثير مما هو الحال مع ملاكاتنا الاستخبارية التي تملك جهازا متضخما » . ولنترك بولدوين وحساباته وتخميناته التي تشهد جملة على أن من الصعب على المخابرات أن تنطلق كما يجب في الاتحاد السوفياتي . ولنشر الى الشيء الأساسي : « ان المخابرات الاسرائيلية (وهي جزء لا يتجزأ من مخابرات « المركز الصهيوني العالمي » ــ ى. ا.) توجه جل اهتمامها الى جمع المعلومات التجسسية ذات الطابع العسكري والسياسي والاقتصادي عن البلدان الاشتراكية ، وخاصة الاتحاد السوفياتي » (٣) .

ليس الطابع المميز لنشاط المخابرات الصهيونية ــ فقط واحد من قطاعات النشاط الصهيوني ــ هو موضوع هذا الفصل الختامي. انما بودنا هنا أن نعطي تحليلا مقتضبا لتكتيك بعض أساليب وطرائق نشاط الصهيونية العالمية في محاولتها لتحقيق البرنامج العام

الذى تلاه بايجاز عمانوئيل يعقوبوفيتش حاخام بريطانياالأكبر فى الثانى من يونيو ١٩٦٧ ، اى قبل يومين من وقوع العدوان الاسرايىلى.
(ان انجاز هذا البرنامج يؤمن ، ما عدا كل ما شابه ذلك ، القاعدة المخابرات) . اعلن يقول : « ينبغى علينا أن نفعل كل شيء من أجل الا يكون فى هذا العالم يهودى واحد يتهرب من واجبه .. وعلى الشبيبة أن تتأهب للمعارك ، والآخرين أن يتوجهوا بمجرد تلقى مخابرة هاتفية من اسرائيل ، الى هناك بدون ابطاء لشغل أماكنهم كمستخدمين فى الجيش . ومن تبقى ملتزم بدفع ضريبة عن كل شخص يهودى .. واذا كانوا يرغبون ، ينبغى علينا جميعا ان نكون تحت قيادتهم » (٤) .

(فى رأينا أن الفاشستى موزلى هو وحده الذى يستطيع التعبير عن أفكاره فى بلاد الانجليز بهذا القدر من اللهجة القطعية التى تبدو غريبة على اللغة والتقاليد الانجليزية ..) .

وهكذا ، لم يذكر يعقوبوفيتش لا انجلترا، ولا فرنسا ولا الاتحاد السوفياتى ، بل نوه بلا مواربة بالطابع الدولى للمهمات المطروحة بين دعاته المباشرين والمتطوعين للمركز الصهيونى العالمى باسم الدفاع وتمتين مواقع الامبريالية .

وكى لا يكون الانطباع عن خطاب يعقوبوفيتش كما لو انه ظاهرة فريدة ، أو تصريح « غير مسئول » لشخص ما ، نسوق آراء بن جوريون التى أدلى بها منذ بضع سنوات ، والتى تميط اللثام عن جوهر ما قاله يعقوبوفيتش. لقد اعلن بن جوريون : «هذا يعنى تقديم المساعدة لاسرائيل بصرف النظر عن رغبة أو عدم رغبة هذا البلد الذى يعيش فيه اليهود ويخضعون له .. عندما نقول : أمة يهودية موحدة ، ينبغى أن نتجاهل واقع تشتت الأمة اليهودية فى كل أنحاء العالم ، وكون اليهود الذين يقطنون هذا البلد أو ذاك هم مواطنى تلك الدول التى يعيشون فيها » (٥) .

ان مصالح الصهيونيين وحماتهم الامبرياليين غريبة عن الكادحين اليهود ، فهم ينبذون مثل هذه التوصيات .

وفى الوقت ذاته مع يعقوبوفيتش (أى فى الثانى من يونيو عام ١٩٦٧ ـ تزامن جدير بالملاحظة) وعلى بعد مئات الأميال من انجلترا ـ فى سويسرا ـ نشرت صحيفة « ازرائيليتيشيس فاخنبلات » ، الصهيونية ، نداء المنظمة الصهيونية العالمية الى جانب عرض مبادىء برنامج عمل الصهيونيين وطرق تحقيقه :

« ان وجود دولة اسرائيل وأمنها معرضان للخطر . . وان سكان اسرائيل بأجمعهم يحسبون حساب الخطر المحدق بهم . وهم مستعدون بكل حزم لتقديم التضحيات . ان كل الفئات (اليهودية)، **بغض النظر عن بلدها الأصلى أو انتمائها الحزبى**، ستضع فى هذه الساعات، بلا قيد ولا شرط، خدماتها تحت تصرف دولة اسرائيل. وان التعبير عن الود، وتأكيد التضامن الشامل الذى تمحضنا اياه الجاليات اليهودية اليوم، هما مصدر اضافى لجسارة وايمان سكان اسرائيل فى **النضال المقبل** . على أن الوضع يتفاقم ولا يمكن استشفاف المدة التى سيدوم فيها هذا الوضع .

ففى هذا الوضع المصيرى – يهتف بصورة مؤثرة واضعو النداء (الذين انهوا فى ذلك الوقت اصدار تعليماتهم الى طاقم القاذفات الاسرائيلية) – سنتوجه الى جميع أشقائنا المشتتين بدعوةلتعضيد الارتباط بين صهيون والمشتتين، **ولتعبئة العطف والتاييد الناشط لاسرائيل بين جميع شعوب العالم** (التشديد منى – ى. ا.)، ولزيادة التبرعات (!) واستمالة الجيل الشاب للسفر الى اسرائيل والعمل مكان الذين يربضون على حدود الدولة بغية الدفاع عن البلاد، وحشد الموارد المادية بكل طيبة خاطر والى أقصى حد (!)، واسداء المساعدة المادية (!) . وبهذا الشكل يمكن تحمل الأعباء الهائلة المفروضة على اسرائيل . أن الأموال (!) الضرورية فى مثل هذه الأمة، لا يمكن التكهن بها، وهى، على كل حال، كثيرة جدا . . » الخ .

من الضرورى أن نؤكد فى هذا النداء على ثلاث نقاط مبدئية مهمة بغية ايضاح اتجاه طبيعة وأساليب عمل الصهيونيين .

النقطة الأولى منها تنحصر فى أن زعماء الصهيونية، ممثلى طبقة البرجوازيه الكبيرة الموالية للامبريالية . والامبرياليةفىدعايتهم بين الفئات اليهودية فى جميع البلدان، ينطلقون ان لم يكن من الاخوة فمن التقارب بين جميع يهود العالم **بصرف النظر ((عن البلاد التى ولدوا فيها)) أو ((الانتماء الحزبى)) دون ان يعيروا اهتماما لمسألة قبول أو نبذ هذه الفئة أو تلك من مواطنى مختلف البلدان للعقيدة الصهيونية** . ان هذه الوسيلة بعيدة كل البعد عن الغباوة، فهى من جهة، تعفى الصهيونيين من ضرورة البرهنة على وجود مثل هذا « التآخى » (خصوصا ان هذه الضرورة لا تبشر الصهيونيين بأى خير بسببعلاقات الكادحين اليهود القطعية بهذه الفكرة وخاصة

في البلدان الاشتراكية) ، ومن جهة أخرى ، تضع جميع اليهود — أعداء الصهيونية — في وضع المضلل مؤقتا ، حيث ينبغي معاملتهم بدراية وحسن نية وطول اناة ، كما لو أنهم مرضى نفسيا . هذه ، كما يقال ، جبهة عمل الصهيونيين .

وفي الوقت نفسه ، ينجز الصهيونيون مناورتين مراوغتين مدعوتين للتسبب في ايقاظ تذمر الكادحين اليهود من الأوضاع المحيطة بهم ، وخلق وضع من القلق الدائم . وقد أشار ناحوم جولدمان بصورة مباشرة الى ضرورة تأمين مثل هذا الوضع ، منذ عرض برنامج الصهيونية « الجديد » على المؤتمر الصهيوني العالمي السادس والعشرين فقال : « من الضروري استثارة الشعب اليهودي ليتخلص من اللامبالاة ويبدأ يتمعن بجد بمستقبله .. »

ان مناورتي زعماء الصهيونية تنطلقان من العقيدة القومية القديمة ، عقيدة « وحدانية » اليهودية ، التي يقوم الصهيونيون ، في ظل الوضع المتبادل ، بتمويه دعايتها أكثر من الماضي .

ان احدى هاتين المناورتين ، هي ، في الواقع ، نشر الدعاية عن مركب من « الحتميات المشؤومة » التي يمكن تبسيط جوهرها بشكل مقتضب على الشكل التقريبي التالي : « أنت لست رئيس مكتب ، بل انت كاتب ، لأنك يهودي . أنت لست مديرا ، بل نائب مدير ، لأنك يهودي . أنت لست وزيرا ، بل مساعد وزير ، لأنك يهودي » وما أشبه ذلك .

ولا يمكن انكار التأثير المكن لهذا الأسلوب على روح الطموح وخاصة أنه يتضاعف عدة مرات زيادة وذلك عن طريق المناورة الثانية التي تتسم بالعنصرية والتي تتلخص في الانجاز البارع لغرس الأفكار « بأياد غريبة » عن « المواهب » « الفائقة » ، « الفذة » والتي تصل الى درجة العبقرية لجميع اليهود ، بالمقارنة مع شعوب العالم الأخرى .

ان الصهيونيين لا يقيدون أنفسهم بالدعاية « الصرفة » أو ب « الاستطرادات التاريخية » ، التي يتيحون لأنفسهم أن يذكروا فيها بأبهة يسوع المسيح ، وكارل ماركس الذي يمقتونه أشد المقت . وان الصهيونيين اذ يتحكمون بوسائل هائلة انما يسعون الى خلق هيبة مضخمة حول الشخصيات التي يرونها مناسبة أكثر من غيرها ، عن طريق الرشوة والاعلانات .

في غضون الأعوام المئة الماضية فقط جاد النازيون الألمان والصهيونيون على الحضارة الانسانية بصياغة أفكار « التفوق الذي

لا جدال فيه » و « النبوغ القومى » . واذا كان الأولون قد جهدوا لفرض هذه الفكرة على الشعوب عن طريق القسر الفظ ، فان الآخرين ، متسلحين ، « بنظرية الأعمال الصغيرة » ، يمارسون نفس الشيء تدريجا و « بقدرة فاعلة أكبر » .

(ولنخلط بين قوسين ان دحض الماركسية لعقيدة « الامة اليهودية العالمية » يقلب رأسا على عقب المحاولات التى يقوم بها الصهيونيون من أجل أن يستغلوا لمراميهم نفوذ الأدمغة الفذة وأسماء العباقرة الحقيقيين الذين اغتذوا بثقافات الشرق العربى واسبانيا وايطاليا والمانيا وانجلترا وبولونيا ورومانيا وروسيا وأميركا وغيرها من البلدان دون أن ينفصلوا عن تربتهم) .

ومن الضرورى الاشارة الى أن طرائق النشاط التى ذكرت آنفا، لا تستنفد جميع تنوعات قادة الجوقة الدعائية الصهيونية ، ولكنها ، حسب رأينا ، منطلقات . ان سبعين عاما من الجهود اليومية قد كفت عن أن تكون جهودا بريئة لا تستحق الاهتمام الزائد . .

والنقطة الجوهرية الثانية فى نداء المنظمة الصهيونية العالمية الآنف الذكر ، هى تعليمات زعماء الصهيونية ب « حشد العطف والتأييد الناشط لاسرائيل لدى جميع شعوب العالم » .

وفى هذا النداء أغفلت أشياء كثيرة .

ان خبراء المركز الصهيونى العالمى فى « الحرب النفسية » ، فى ظروف وجود منظمات صهيونية قوية فى الولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا وفرنسا واسكنديناڤيا وأميركا اللاتينية ، وكذلك وجود القيادة الصهيونية فى اسرائيل ، يعيرون انتباها لتربية غير اليهود طبقا لروح الولاء للصهيونية أكبر مما يعيرون الانتباه لتربية زملائهم . ان النجاح فى هذا العمل ، طبقا لحسابات الخبراء أنفسهم ، يتلخص فى اكراه قسم من يهود العالم ، الذين ما زالوا ينبذون بشكل قطعى الصهيونية ، على التروى أو الاستسلام . ومن جملة الاجراءات التى اتخذها الصهيونيون فى هذا المضمار ، يأتى الابتزاز الاقتصادى .

وللدلالة على فعالية هذا الضغط يكفينا أن نسوق مثلا واحدا، الا وهو شهادة ا. ليلينتال عن « أن الاميركيين من أصل سورى ولبنانى ، **بسبب ارتباطاتهم العملية** (التشديد منى — ى. ا.) ، يتبرعون لصالح نداء المجهود اليهودى (المنظمة الصهيونية التى تمارس جميع الأموال للاوساط الحاكمة فى اسرائيل) بمبالغ إكثر

بكثير مما يتبرعون لصالح صندوق اللاجئين العرب ، اذ يؤدون الرسوم بمقتضى اقتناعهم » (٦) .

وفى ذلك الوقت قام ١٩٩ كنيسا اميركيا وكنديا بالدعوة لشراء السندات الاسرائيلية التى كانت تباع مباشرة فى المعابد . فأجبر هذا العمل العديد من اليهود على الاسهام فى هذه الحملة المالية وغيرها من الحملات .

وكما أشير آنفا ، يوجد فى العالم ١٠٣٦ مطبوعة دورية تعمل لصالح الصهيونيين . ويعير الزعماء الصهيونيون اهتماما متزايدا لادخال عملائهم أو عناصر « تعطف عليهم » الى الصحافة المركزية لجميع الدول ، وفى هيئات تحرير الراديو الدولى ، والى أجواء الفن السينمائى والتلفزيون . ولا يسمح الصهيونيون بأى استخفاف بأدوات التأثير الفاعلة هذه على الرأى العام ، وذلك لأنهم يدركون جيدا انه حتى « الأمور البسيطة » مثل انتقاء أحرف المقالة فى الصحفية المزينة بصورة مشوقة أو غيرها من الامور تكتسب أهمية خاصة . ويدرك العملاء الصهيونيون أن التشهير بأى فكرة نيرة ومناقضة لرأيهم يمكن أن يؤدى إلى رواج هذه الفكرة ، والأفضل عرضها بصورة ساخرة ، أو كيل المديح لها بصورة يفقدها جديتها وتبرير ذلك بـ « النوايا الطيبة » .

من المعلوم أن الصهيونية لا تشكل خطرا على الامبريالية الأميركية . ولهذا من المفيد أن نعرف كيف تتحكم الصهيونية فى عقر دار شركائها .

ففى كتابه « الوجه الآخر للمدالية » يحلل إ. ليلينتال بشكل تفصيلى أساليب عمل الصهيونية فى الصحافة الامريكية، وبخاصة، فى صحيفة من أكبر الصحف الاميركية ــ « نيويورك تايمز » ــ التى يرتفع عدد نسخها باستمرار ، وتسدى خدماتها الاخبارية الى ٧٢ صحيفة فى اميركا وكندا وفى غيرهما من البلدان . ويبين ليلينتال كيف يعمل الصهيونيون فى « نيويورك تايمز » لكى يفرضوا وجهة نظر معينة على القراء . وقد كرس ليلينتال كتابه لشرح قباحة هذا « الوجه للمدالية » .

فى شهر أبريل عام ١٩٥٦ ــ كما يروى ليلينتال ــ تمكن أحد الشيوخ الاميركيين ، كيفوفير ، من تقديم ترشيحه للرئاسة ، بانيا آماله على استغلال الميول الموالية للصهيونية لدى قسم من سكان البلاد . وجوابا على خطوة كيفوفير، أذاع بعض الشخصيات الاجتماعية البارزة تصريحا أشير فيه الى أن المصالح الوطنية

للولايات المتحدة الاميركية قد عرضها الشيخ الخطر وان « احداث تبديل فى السياسة الداخلية والخارجية أمر غير مسلم به » . ومع ذلك كرست صحيفة « نيويورك تايمز » لهذا التصريح ثمانية أسطر، لكنها عادت فى نفس العدد (٢٣ ابريل ١٩٥٦) ونشرت فى مكان بارز : « بن جوريون ينتقد رفض ايزنهاور ارسال الاسلحة الى اسرائيل » (*) . وقد تم نشر هذه المواد على الصفحة الاولى ، أما على الصفحة الثانية فقد نشرت صورة لطفل اسرائيلى خرج لتوه من الملجأ مع كلام تحت الصورة : « انهم يغادرون حديقة الأطفال لبضع دقائق قبل بدء القصف بالهاون » ، وعلى الصفحة الرابعة نشرت صورة لشخص اسمه روبرت سارتوف ، تلقى مكافأة من المؤتمر اليهودى الاميركي . وفى الصفحة العاشرة نشر تقرير عن المؤتمر السنوى لمجلس الجالية اليهودية فى بروكليين ! الخ .

ويقول ليلينتال : وفى مايو عام ١٩٦١ ،عندماذهب بن جوريون للاجتماع بكندى . أفسحت « النيويورك تايمز » ثلاثة أعمدة مع صورة الزعيمين تعلوها مانشيت . أما خبر سفر كندى فى ذلك اليوم نفسه للاشتراك فى مؤتمر أوروبى ، فقد خصص له عمود واحد . .

ويقول ليلينتال انه اختار صحيفة « النيويورك تايمز » لأنها اكثر الصحف نفوذا فى الولايات المتحدة الاميركية ، وليس «لتفرد» استرشادها بالروح الصهيونية التى تتجلى بها صحافة الولايات المتحدة الاميركية .

ومن الممكن سوق مئات البراهين الدامغة من غير الصحافة الأميركية أيضا حول النشاط الصهيونى والنشاط المتعاطف معه ، والذى يحققه الصهيونيون عن طريق التلفزيون والراديو والمسرح والسينما والأدب والنقد الأدبى ، وفى حقول كثيرة غيرها تؤثر على تكوين الآراء لدى الانسان .

ولنعد الى ليلينتال .

. . . ماذا يكون بمقدور عامل المكتبة أن يعمل ؟ والجواب ، باستطاعته أن يعمل الكثير كاقتراح كتاب مثلا . أى كتاب « عشرة أيام هزت العالم » لجون ريد ، و « اليهودى زيوس » لفاختفانجر ، و « الحرب والسلم » لليون تولستوى ، و « الاسود الفتية » لأرفين شو . .

(*) فى ذلك الوقت كانت الولايات المتحدة تؤمن السلاح لاسرائيل من طريق الدول الاعضاء فى حلف الاطلسى .

وكما يقول ليلينتال فى كتابه ، فان مدينة برينستون ، هى قلعة العروض فى الولايات المتحدة . وان المكتبة التى تقع فيها،هى مثال حى للنفوذ الصهيونى على تعليم الشبيبة. وتحتوى فهارس المكتبة على انتاج جميع الادباء الصهيونيين أو الموالين للصهيونية والذين كتبوا فى وقت ما عن الشرق الاوسط وفلسطين . وقد تحدث ليلينتال مع القيم على المكتبة الذى أبلغه حرفيا ما يلى :« عندنا فى المدينة جالية يهودية نشيطة . ويتعاون أعضاء الجالية معنا ، ويقدمون لنا الكتب بسخاء » (٧) .

ولننتقل الآن الى معالجة النقطة الثالثة المهمة ، المتألقة فى نداء المركز الصهيونى العالمى الذى سبق وتعرضنا له ، الا وهى موضوع الأموال . ان الاقتباس الذى أوردناه من نداء المنظمة الصهيونية العالمية يشتمل على تعابير متنوعة ، لا يمكن الا أن تسترعى الاهتمام ك « الأموال » و « المساعدة المالية » و « التبرعات » و « الجهود القصوى للموارد المالية الخاصة » . وبدون أى مقدمات احصائية ، بوسعنا أن نسوقها استنادا الى الانباء الواردة من مختلف أصقاع العالم نستطيع الاجتزاء قائلين : أن الاتحاد العالمى الصهيونى والأوساط الاسرائيلية الحاكمة ، تلقت فى فترة العدوان الأخير الذى شن على الدول العربية ، كميات « صافية » من الدولارات كافية بكل يسر للاقدام على عدة مغامرات مشابهة .

من أين جاءت هذه الاموال الطائلة . ان حصة الاسد من هذه المبالغ سحبت من جيوب الكادحين الاميركيين والانجليز والفرنسيين والافريقيين الجنوبيين وغيرهم ، على أيدى أصحاب المصانع والمصارف ، وأصحاب مناجم الذهب الصهيونيين أو الموالين للصهيونيين . ولقد تم ارسال هذه المبالغ الى خزينة المركز الصهيونى . على أن حصة ممثلى « الطبقة الوسطى »،والكادحين من أصل يهودى ، كانت منخفضة ، بالرغم من أنها عرضة لجهود الدعاية الصهيونية الدؤوبة والمركزة .

هل يستجيب مثل هذا الابتزاز لمصالح المشتركين فيه بارادتهم أم بغير ارادتهم . وما هو المبرر الحقيقى لقانون الاوساط الأميركية الحاكمة لاعفاء « التبرعات » العائدة لاسرائيل ، مهما تبلغ مقاديرها الهائلة ، من الضريبة .

ولماذا كانت هذه المئات نفسها من الملايين خلال هبوط قيمة الجنيه الاسترلينى الذى هز انجلترا وافقدها مئات الملايين من

الجنيهات شهريا بسبب فرض الاسرائيليين الحصار على قناة السويس تذهب الى الصهيونيين لابقاء قناة السويس مغلقة أكبر مدة ممكنة .

لا شك فى أن هذا يدعو الى التفكير .

ان الهدف الاساسى للاتحاد العالمى الصهيونى كان ولا يزال الاثراء بكل الوسائل ، هذا الاثراء الذى يضمن فى اطار المنظومة الامبريالية ، السلطة والبحبوحة الطفيلية .

ان اقامة السيطرة الفكرية والسياسية على السكان من أصل يهودى ، الذين وعدوا فى المستقبل اللامرئى بدور راعى الانسانية ، كانت ولا تزال من أهم الوسائل التى تسعى المشاريع الصهيونية لتحقيقها .

أن دولة اسرائيل التى أنشئت بفعل العمل الانسانى لممثلى العديد من شعوب العالم ، تؤلف ، نتيجة لانتهاج أوساطها الصهيونية الحاكمة سياسة الخيانة واللا وطنية ، وبشخص هؤلاء ، سلاح « الاتحاد المقدس » بين الصهيونية العالمية والامبريالية .

ان الاتحاد السوفياتى وجميع البلدان الاشتراكية والحركة الشيوعية العالمية والحركة العمالية وحركة التحرر الوطنى هى المرمى الرئيسى لمطامع الاتحاد الصهيونى العالمى التخريبى ونشاطه (سواء ضمن اطار مكائده السياسية والمالية اليومية أو خارجه ، وهى تتناقض مع المصالح القومية الحقيقية لجميع شعوب البلدان بدون استثناء) .

وان الحملة ضد المنظومة الاشتراكية ، وبالاخص ، ضد الاتحاد السوفياتى ، تنتهج تحت راية « الدفاع عن اليهود » البالية . وكم انضوى أنذال تحت هذه الراية ، ولكم اكره الصهيونيون الناس الشرفاء ، والسذج على التمسك بهذه الراية ولو للحظة واحدة .

فنفس صيغة النشاط التخريبى الجارى ضد الاتحاد السوفياتى الهادف لخلق قاعدة لعمل العملاء الامبرياليين فى شتى الاتجاهات ، لهو ذو مغزى : ماداموا يدافعون عنى بثبات ، فهل أنا حقا بحاجة الى الدفاع .. ممكن أن يفكر فى هذا شخص ما .

ولنطرح سؤالا اقل تعقيدا : ما هو الاستنتاج الذى يمكن استخلاصه من وضع يقيم فيه نازيو بون الجدد « أسبوع الدفاع

والتضامن » مع صهيوني اسرائيل ، ويقيم صـــهيونيو اسرائيل « أسبوع الدفاع والتضامن » مع يهود الاتحاد السوفياتي ..

لا ينطبق قطعيا على قوانين المنطق الشكلي ، كـــون كورت كيسنفر ، عضو الحزب الهتلري النازي منـــذ عام ١٩٣٣ (رقم بطاقته الحزبية ٢٦٣٣٩٣) وأحد الشخصيات البارزة التي عملت في الجهاز الدعائي ، التابع للرايخ الثالث ، مستشار الجمهورية الاتحادية الالمانية ، حيث يعمل بشكل علني ـ وطبقا الاحصائيات عام ١٩٦٧ ـ ١٠٠ مركز تابعة للنازيين الجدد تهتم بترويج الدعاية اللاسامية ، يضـــبح مع مؤيديه في الرأي وزملائه في الحكومة من الانصار النشطاء لقضية الصهيونية « في الدفاع عن المواطنين المبتئسين والعجزة ، الذين يكابدون الالام وراء الستار الحديدي»

ويبرز بهذا الصدد سؤالان : هل يشكل هذا الوضع المريب انتصارا دبلوماسيا لاسرائيل .. وهل ثمة مسببات اضـــافية ، فرعية ، وثانوية (فيما غدا الهدف الاساسي ، الذي هو تحقيق السيطرة الفكرية والسياسية للاتحاد الصهيوني) تحض الصهيونيين للتأوه على جميع مفارق طرق العالم بصدد مصير يهـــود الاتحاد السوفياتي ، الذي « يستحق الرأفة » .

ان مثل هذه الاسباب موجودة ، وبودي أن أتكلم باقتضـــاب عن اكثرها أهمية ..

في مايو من عام ١٩٦٥ ، في مدينة حيفا (أسرائيل) ، واثناء مشاهدة معالم المدينة ، طرح سؤال على احدى الشـــخصيات الصهيونية المتوسطة الحـــال : « قل لي من فضلك ، لماذا انتم تطالبون بلجاجة بهجرة يهود الاتحاد السوفياتي الى اسرائيل ،مع العلم أن يهود الولايات المتحدة الاميركية يشكلون ضعفي يهـــود الاتحاد السوفياتي ، ومع ذلك فانتم لم تحركوا ساكنا في هـــذا الاتجاه ؟ .. لكن الجواب لم يأت في الحال .. « اذا كنت صريحا معك ، ستذكر ، انت الصحفي اسمي حتما ، وسيؤدي هـــذا الى فضيحة » . ـ بهذا الشكل أجاب محدثي على السؤال . عندها أصبح واضحا انه لا يوجد أحد في نيته أن يثير فضائح وبالاحرى أن يذكر اسماء .

ان الحديث لم يجر على انفراد ، واذا لم تخن الذاكرة جميع الذين اشـــتركوا فيه ، فان الجواب احتوى على الآتي : « ان الكادحين اليهود في بلدكم قنوعون نسبيا ونحن يناسبنا جـــدا

الشرط الاول وكذلك الثانى ، وذلك بغية استصلاح الاراضى حيث كثافة السكان منخفضة » .

وهناك بعض الصعوبة في التوفيق بين هـــذا الافصاح وبين التصريح الذى أدلى به أشكول فى وقت لاحق . « علينا أن نوضح للعالم أجمع ، بما فى ذلك العالم العربى ، أن ثمة طريقا للتسوية مستبعدا تماما ، أعنى أن من المستحيل اسكان اللاجئين العــرب فى اسرائيل .. ان المئة الف لاجئ بالنسبة لاسرائيل ، يعادلون قنبلة ذرية تلقى علينا » . وعند مطابقة الوقائع والارقام والحوادث فان درجة صراحة الرأى الآنف الذكر ، الذى عبر عنه فى حيفا، تصبح جلية أكثر فأكثر .

فعلى مدى عشرين عاما من وجود اسرائيل ، نزح عن هــذه الدولة ٢٥٠ الف يهودى ، غالبيتهم من اليهود من أصل أوروبى . وعلى مدى عشرين عاما من وجود اسرائيل ، كانت حصة اليهودى الاميركى تقارب الـ ٢٥٠ دولارا فى العام ، لرفضه الهجــرة الى « فلسطين النائية » . وعلى مدى عشرين عاما من وجود اسرائيل اغتصبت الاوساط العســكرية الاسرائيلية الحاكمــة ، نتيجة لاعتداءاتها أراضى (تنوى استصلاحها) تفوق ٤ مرات تلك التى خصصت لهم بمقتضى قرار الامم المتحدة . وطوال عشرين عاما من وجود اسرائيل ، قامت سلطاتها بالطرد القسرى لحــوالى مليون عربى (من ١٩٤٨ الى ١٩٥٠) ، ومئات الالوف أثنــاء عدوان يوليو .

واذا أعدنا الى الذاكرة رأى تيودور هرزل : « ان عمالنــا يتحركون قبل أى شئ من الاحتياطى الروسى والرومانى الكبير» واذا أحدثنا تعديلا على سبعين ونيف سنة (فيما يتعلق بمستوى المعارف التقنية) ، وتذكرنا دعوة بن جوريون المأساوية الى عدم الابطاء فى التهجير الجماعى ليهود أوروبا الى اسرائيل ، ففى ضوء المعطيات المذكورة ، يبدو هذا التصريح صافى النية حقا : « ان الكادحين فى بلدكم قنوعون نسبيا ونحن يناسبنا للغاية الشرط الاول وكذلك الثانى ، وذلك بغية استصلاح الاراضى حيث كثافة السكان منخفضة » .

ان كادحى بلاد السوفيات المتعددة القوميات ، يردون بالازدراء على وقاحة الزعماء الصهيونيين هذه . ان كل من يتصبب العرق من جبينه وهو يعمل لخير الشعب السوفياتى ، لا يسمح للرؤساء

الصهيونيين بالتهكم على رفاقنا فى العقيدة ، والعمل والنضال ، اليهود السوفيات ، الناس الاوفياء لقضيتنا الشيوعية ، وللبناء الاشتراكى للمجتمع والوطن .

ويتبدل دائما تكتيك الايديولوجيين الصهيونيين والاعمال التخريبية الاخرى ضد الاتحاد السوفياتى . ففى عام ١٩٦١ ، وطبقا لمخططاتهم الملموسة ، دعا المركز الصهيونى العالمى لـ« تكتيك السلوك المعتدل » نحو البلدان الاشتراكية والاتحاد السوفياتى . وفى مارس من عام ١٩٦٣ طلبت اللجنة التنفيذية للجنة الصهيونية العالمية التخلى عن « تكتيك السلوك المعتدل » ، والانتقال الى « حملة هجومية » ضد البلدان الاشتراكية والاتحاد السوفياتى . واذ تحدث ناحوم جولدمان فى اجتماع اللجنة التنفيذية عن مهمات الصهيونية ككل ، أعلن ضرورة تحويل المنظمة الصهيونية العالمية الى قوة كفاح سياسية ، مؤهلة للدفاع عن حقوق اليهود خارج اسرائيل .

وفى يونيو عام ١٩٦٥ جدد الزعماء الصهيونيون ارشاداتهم ، وشددوا على ضرورة « انتهاج خط ضغط مستمر على السلطات السوفياتية » فى محاولة لاستمالة « القوى غير اليهودية » .

وفى عام ١٩٦٥ برزت بوادر تكتيك دورى لاعادة الاسترشاد . وبالفعل ، اعترف بعض الزعماء الصهيونيين بأن ممارسة أسلوب الهجمات المباشرة الذى انتهجته حملات الافتراء المتهتك المعادية للسوفيات ، لم يثمر ، واقترح هؤلاء الزعماء الانتقال الى أساليب « المناورات الالتفافية » . وبرهنت احداث أعوام ١٩٦٦ — ١٩٦٨ وخاصة فى بولونيا وتشيكوسلوفاكيا ، ان الصهيونية العالمية تجدد اقتحامها لمرحلة انجاز الاستفزازات السافرة والواسعة النطاق .

ان برامج اذاعات « صوت أميركا » و « صوت اسرائيل » ، وتوزيع المطبوعات الصهيونية سرا فى الاتحاد السوفياتى ، ارسال المنشورات الصهيونية الدورية الى مواطنين فى الاتحاد السوفياتى عناوينهم معروفة فى اسرائيل ، وبعث العديد من الطرود من « الخبز الفطير » ـ المخصص لطقوس العبادة اليهودية ، (بصرف النظر عن الحقيقة المعروفة ، وهى كون افران الخبز الفطير الموجودة فى الاتحاد السوفياتى تستطيع أن تنتج فى شهر واحد ما يعادل جبلا كأرارات أو صهيون) ـ ان هذه كلها ليست سوى أنماط مبتذلة لوسائل « الحرب الجماعية » التى يشنها المركز الصهيونى العالمى .

وهناك أشياء اخرى أقل جاذبية ، لكنها أكثر سما :منهاترويج الاقاويل الاستفزازية وتشجيع المواقف النفعية و « المحسوبية » وافتعال الضجة حول كل شيء يتصف بنكهة معادية للسوفيات او تزوير المذكرات الادبية ، ومحض التأييد لكل من هو على استعداد للانقياد الفعلي لهم ، سواء عن قصد ، أو بسبب نزق الشباب أو الحماقة .

ويعير الزعماء الصهيونيون اهتماما متميزا لتحريف،وتشويه الافكار الماركسية ــ اللينينية ، وتزوير تاريخ الدولة السوفياتية بوصفه ــ أى التزوير ــ الوسيلة الفعالة للنضال العقائدى ضد الاتحاد السوفياتي وضد الشيوعية بشكل عام .

ان التعاليم الماركسية ــ اللينينية المتعلقة بالامة ، والنقد الماحق الذى وجهه واضعو الفكر الشيوعى الى عقيدة « الامة اليهودية الابدية » ، هذه الاشياء كلها لا تروق للصهيونية . ومنذ عدة أعوام تشن الصهيونية حربا خفية وسافرة ، لا هوادة فيها ، ضد تراث واضعي التعاليم الماركسية ــ اللينينية .

ويجاهر الصهاينة الاجانب والموالون لهم بمقترحاتهم و « تبريراتهم » حول ضرورة اعادة النظر فى الماركسية .وبدون أى هرج زائد ، بسير المدافعون عنهم فى البلدان الاشتراكية على طريق التزوير .

م . ب . فولفسون

« لا يوجد أى شيء مشترك بين استيعاب نظرى وشخصات الاممية الثانية للمسألة اليهودية ، وبين المفهوم الثورى الماركسي ــ اللينيني لها . باديء ذى بدء ينبغى الاشارة الى أن المسألة اليهودية لم تستحوذ الاهتمام الكافى الذى لقيته المسألة القومية بشكل عام . وعندما كان يهود المجتمع الرأسمالي يتعرضون للمذابح الكسرة ، كانوا يقسرون على الادلاء بآرائهم التى كانت تفسر المسألة اليهودية أما بروح الانعتاقية الليبرالية أو بروح القومية اليهودية .. وكان خطاب كاوتسكي بهذا الصدد مميزا.. فماذا اقترح كاوتسكي لتسوية المسألة اليهودية .. من حيث الجوهر ، يدعو كاوتسكي الى الاندماج ، لأن العداوة نحو اليهود « ستزول عندما لا تصبح الفئات اليهودية غريبة فى المجتمع ، وتندمج مع بقية جماهير الاهلين » .

(الموسوعة السوفياتية الكبرى . مجلد ٢٤ ، صفحة ١٩٥٤ ، عام ١٩٣٢ ، موسكو) .

ف . ا . لينين

ان المسألة اليهودية تطرح على الشكل التالي : الاندماج أو الانعزال ـ وتتسم فكرة « القومية » اليهودية بطابع رجعي جلي ، وليس فقط لدى اتباع هذه الفكرة المثابرين (الصهيونيين)، بل لدى أولئك الذين يحاولون المواءمة بينها وبين أفكارالاشتراكيين الديمقراطيين (أنصار البوند) . وكان كارل كاوتسكي يعني بشكل خاص اليهود الروس ، عندما افصح بشكل أكثر تشديداً .

ان العداوة نحو الفئات السكانية اللامتجانســة ، ممكن ان تزول « فقط عندما لا تغدو الفئات اللا متجانسة عناصر غريبة ، وتندمج مع بقية جماهير الاهلين . هذا هو الحل الوحيد الممكن للمسألة اليهودية ، وينبغي علينا أن نؤيد كل ما ييسر ازالةالانعزال اليهودي » .

ها هو البوند يناهض هذه التسوية الوحيدة والممكنة ، وهو لهذا لا يبعد بل يعزز ويعطي صفة قانونية للانعزال اليهودي » .
(ف . ا . لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٨ . صفحة ٧٤ ـ ٧٥) .

وبعد انصرام سبعة أعوام على وفاة لينين ، يتظاهر فولفسون « بنسيان » الموضوعة اللينينية التي تقول : « ان خيرة اليهود المبجلين عالميا وتاريخيا » ، والذين قدموا للعالم قادة الديمقراطية والاشتراكية التقدميين ، لم يناهضوا الاندماج اطلاقا . لقدناهض الاندماج الحالمون بـ « ماضي » اليهودية المحترمون ليس الا »(٨).

واذا حاول فولفسون تشويش قارئه بانتماء كارل كاوتسكي الى تكتل زعماء الاممية الثانية المخزي انما سار على طريق التزوير المباشر لافكار ف . ا . لينين . وبعد عدة أسطر ، وكما هومنتظر « صد » أنصار « استيطان فلسطين » من الصهيونيين ، على أن العمل الرئيسي كان قد انجز وكما قال ليفي أشكول : « انالجبهة الاساسية لنضالنا الآني ، والتي هي أهم مرحلة في تاريخنا ، هي الجبهة الداخليــــة . ان الاندماج والانشقاقات تهـدد وجودنا المقبل » (٩) .

وهذا في الحقيقة أمر واقع . ان السير الطبيعي لعمليـــة اندماج اليهود ، الجارية في جميع بلدان العالم ، هو بمثابةالعملية الطبيعية لتمتين الامة الاسرائيلية . وهي لاسباب جلية لم ترق ولا تروق اطلاقا للاتحاد الصهيوني العالمي . ان عملاءه والمتطوعين

لخدمته في مضمار النظرية والممارسة ، اقاموا ويقيمون شتى العوائق على طريق الاستكمال الذاتى لهذه العملية .

ومن الامثلة الساطعة على المكائد التى تمارسها الصهيونية العالمية ضد الحركة الشيوعية والعمالية العالمية ، المحاولةالاخيرة لنسف مواقف الحزب الشيوعى الاسرائيلى الاممية ، وابدال سياسته الماركسية ــ اللينينية ، والوطنية الاصيلة ، باتحاد فعلى مع المجرمين المغامرين ، المدافعين عن اقامة « اسرائيل الكبرى » .

ان الحزب الشيوعى الاسرائيلى ، الذى تأسس عام ١٩١٩ ، يستطيع الاعتزاز بتقاليده الثورية ، وبنضاله اليومى الشاق والعصيب من اجل حقوق ومصالح الكادحين الاسرائيليين . ان وحدة العرب واليهود الاممية فى نطاق الحزب الشيوعى الاسرائيلى ، التى صهرت فى الظروف العصيبة للتسعيرالاصطناعى للشقاق القومى ، وأن تعاون العرب واليهود المتكاتفين على أسس طبقية ، والمتضامنين فى نطاق الحزب ، هما موضوع اعتزاز مشروع للشيوعيين الاسرائيليين ، والمثل الحى للوحدة ،وللمصالح المتجانسة لجميع العمال فى منطقة الشرق الادنى .

ان مأثرة الحزب الشيوعى الاسرائيلى ولجنته المركزية هى ان أممية الشيوعيين الاسرائيليين استطاعت أن تقاوم وتحرز الغلبة على التكتل الاشتراكى ــ الشوفينى الانشقاقى ، الذى ناهض الحزب عام ١٩٦٥ ، تحت ستار الجمل الديماغوجية « حول تهويد الحزب الشيوعى » ، وحول ضرورة انتهاج « خط تكتيكى أكثر مرونة » .

وبعد مضى عامين بالذات على المحاولة الفاشلة لازاحة الحزب الشيوعى الاسرائيلى عن طريقه الملركسى ــ اللينينى ، طريقمصالح الشعب الاسرائيلى الوطنية الحقة ، قام أصحاب اقتراح «التكتيك الاكثر مرونة » ، باستعراض « مرونتهم » الخاصة وبكل ما فى هذه الكلمة من معنى ، عندما انحنوا بهاماتهم أمام المستمعين الصهيونيين الذين صفقوا لبيانات هؤلاء حول العدوان الاسرائيلى، اذ وصفوه بأنه « أعدل حرب بين جميع الحروب التى عرفتها الانسانية » .

وتعرض الحزب الشيوعى الاسرائيلى ، بشكل خاص ، فى الفترة الاخيرة لامتحان قاس . فاذ فشلت السلطات الاسرائيلية فى نسف الحزب الشيوعى من الداخل ، شنت حملة تنكيلية

عنيفة ضد الشيوعيين . وتبدلت جميع الأساليب المدعوة لشل نشاط الحزب الشيوعى الاسرائيلى . وبدىء بالوسائل الاكثر دقة من اضطهاد أولاد الشيوعيين فى المدرسة والشارع ، وانتهاء بالاعتقالات التقليدية لاعضاء الحزب النشيطين وقادته ، مع اللجوء الى التعذيب الوحشى فى مراكز البوليس فى محاولة لتصفية زعماء الحزب جسديا .

ان الظروف التى يناضل فيها الحزب الشيوعى الاسرائيلى لا تزال عصيبة . ان الصحافة الصهيونية والموالين لها فى كل مكان — وليس فقط فى اسرائيل — يتابعون شحن جو الضغينة حول الحزب الشيوعى الاسرائيلى . وتتردد دعوات هستيرية لمنع الحزب ، وتصاغ المقترحات لنظام انتخابى جديد فى اسرائيل مهمته الوحيدة حرمان الحزب من امكانية أن يكون له ممثلوه فى البرلمان . واذ يتحلى الشيوعيون الاسرائيليون برباطة الجأش والشجاعة يستمرون فى النضال من أجل المصالح الحقيقية لشعبهم ، من أجل السلام وتسوية عادلة لجميع المسائل المتنازع عليها بين اسرائيل والبلدان العربية . ان الاحزاب الصهيونية فى اسرائيل ، المدعوة بمختلف ائتلافاتها المؤقتة والدائمة ، لاخراج التمثيليات الدورية الصاخبة حول « تشكيل الحكومة الاسرائيلية العتيدة » ، قد رفعت الصهيونية الى مرتبة العقيدة الرسمية للدولة . على أن تخوم دولة اسرائيل لا تشبع من حيث الحجم رغبة أنصار الصهيونية الذين يرون وفقا لمآربهم ضرورة ازدهار مثل هذه العقيدة . واذا كان الدور المخصص لفئة الانشقاقية فى الحزب الشيوعى الاسرائيلى ، التى منيت بالفشل ، هو دور العمالة للصهيونية فى الحركة الشيوعية العالمية ، فان ما يسمى بأحزاب اسرائيل « الاشتراكية » (الصهيونية) تلعب بدأب هذا الدور بين الاحزاب الديمقراطية الاشتراكية فى العالم ، وبكل استعداد مستغلة المنصة التى تقدمها لها « الاممية الاشتراكية » .

ومن الممكن أن نحكم الى أى مدى اظهر نشاط الزعامة الصهيونية « الاشتراكية — الديمقراطية » خصبه ، والى أى حد اخصبت تربة الاتحاد الصهيونى فى مضمار هذا النشاط ، بالاستشهاد بالقرار الذى اتخذ فى الاجتماع الاستثنائى لمكتب الاممية الاشتراكية ، الذى انعقد فى الايام الاولى التى سبقت العدوان الاسرائيلى وذلك فى الثانى من يونيو عام ١٩٦٧ . ولا توجد ضرورة اقتباس قرار منظمى النضال من أجل الرأسمالية

الاصلاحية . ويكفى ان نسرد الفقرتين الاستهلالية والختامية من هذه الوثيقة المغلفة بقالب « اشتراكي » ومضمون امبريالى :

« ان الاممية الاشتراكية تعرب عن تضامنها الكامل مع الشعب الاسرائيلى الذى يذود عن وجوده وحريته ضدالعدوان !!»

وتتضامن الاممية الاشتراكية مع جميع قوى الشرق الأوسط الديمقراطية فى نضالها ضد جميع أشكال الاقطاعيةوالديكتاتورية وستتابع الاممية الاشتراكية نشاطها الرامى الى ادخال أفضليات الاشتراكية الديمقراطية الى جميع دول الشرق الاوسط (١٠).

ويبذل الزعماء الاسرائيليون الصهيونيون داخل المركز الاممى للاشتراكية طاقة غير قليلة ل « ادخال أفضليات الاشتراكية الديمقراطية » سواء أكان هذا على نصل الرمح أم عن طريق المال والقروض . وقد صاغ الصهيونيون بالذات برنامج نشاط «مركز الفكر الاشتراكى المعاصر » ، المدعو « لدراسة التيارات المختلفة فى الحركة الاممية الاشتراكية المعاصرة ، واشكال تطبيق البرامج والاساليب الملائمة فى البلدان النامية » (١١) .

وفى مذكرة الزعماء الصهيونيين المرفقة باقتراح حول انشاء « المركز » ، تنص المادة الخامسة على الاقتراح التالى : « من الضرورى فتح حوار فى مسائل الفكر الاشتراكى والممارسة ، مع احزاب آسيا وأفريقيا التى لا تدخل فى عضوية الاممية الاشتراكية » (١٢) . ومن هذا يتبين أن النشاط التخريبى للصهيونية العالمية يجرى على جبهة واسعة بعض الشيء ويخطط له لعدة أعوام لاحقة . ويمكن قول الشيء نفسه عن الخطط العسكرية والتجسسية والاقتصادية التى يضعها المركزالصهيونى العالمى .

ومن الجدير أن نذكر مرة أخرى ، بأن الصهيونية اذ تهاجم الاتحاد السوفياتى والمعسكر الاشتراكي ، والحركة الشيوعية والعمالية ، لا يمكن الا أن تناهض حركة التحرر الوطنى فى العالم العربى . وفى هذا الكفاح ، لا يزال تكتيك الصهيونية المجرب ، هو « الامر الواقع » ، وخاصة فى منطقة الشرق الاوسط ،حيث يلعب دورا جوهريا حتى الآن .

ما هو الشيء الذى يكفل النجاح المؤقت لهذا التكتيك ، الى جانب القسر الفظ والتخريب الجلى الذى يمارسه حلفاءالصهيونية

فى المنظمات الدولية ، المدعوة لضمان « العدالة والسلام » بجميع ما لديها من وسائل .

ان الجواب المقتضب ، هو أن هذا النجاح الوقتى الذى تضمنه الصهيونية الى جانب العوامل الأخرى ، مصلحة التضليل والدعاية التى تؤدى وظيفتها على النطاق العالمى بدقة متناهية ، لا يكفى . فلنحاول القاء الاضواء الكاشفة على هذه النقطة .

لقد سبقت الإشارة الى ان المركز الصهيونى العالمى قام على أعتاب العدوان الاسرائيلى ، باستعمال جميع الوسائل التى فى حوزته ، واستطاع أن يستميل قسما من الرأى العام فى البلدان الغربية لصالح المعتدى ، ويجمد القسم الآخر عمليا .

لقد وقع العدوان . ومهما يكن الامر مؤسفا ، فان قسما كبيرا من الناس فى العالم بدأ يدرك كنه ما جرى فى الشرق الاوسط ودناءة التزييف الذى كان يصور وكأنه « أنباء عن الواقع » ، فقط بعد وقوع الحادث ان اغتصاب الاراضى العربية الواسعة التى سرعان ما اكتسبت تسمية « الاراضى المحررة » ، الى جانب ازهاق الارواح وتهديم المنازل العربية والطرد القسرى لمئات الآلاف من العرب وراء تخوم أرض موطنهم ، والرفض الحازم للخضوع لارادة الامم المتحدة فيما يخص كيان مدينة القدس – كل هذا ، أعاد الى الصواب المضللين الذين أعادوا النظر فى تقديرهم للحوادث بشكل جذرى وصحيح . فالى اى الاساليب تلجأ الدعاية الصهيونية اليوم ، فى ظروف تبدل الرأى العام العالمى ، لصالح الدول العربية التى وقعت ضحية العدوان ؟ .. من الممكن بصورة اصطلاحية أن نطلق على مناورة الصهيونية العالمية الدعائية تسمية « تكتيك استقصاء الحقيقة » . ففى أميركا وبريطانيا وفرنسا وايطاليا وفى العديد من البلدان الاخرى ، رأت النور اعداد هائلة من « الابحاث » على شكل كراريس وكتب ووجهات نظر مطولة « مستمدة من الارشيف الشخصى » ومن الريبورتاجات التحليلية « التى لم يسبق نشرها البتة » ، تدعو القارىء « للتمعن بهدوء فى الوقائع بغية بلوغ الحقيقية فى النهاية .. » .

ان اللهجة الودية ، واللباقة المقصودة فى الاعتراف بالاخطاء والهفوات الجلية – من كلا الفريقين ؛ ومئات الاسماء وآلاف التواريخ والاستشهادات ، والهزل المدعو لاستهواء ومحاولة تملق

القارىء الحاد الذهن ، والمؤهل طبعا لادراك ان الحيـــاة لا تضم يمينيين أو مذنبين بشكل مطلق تستخلص فى النهاية النتيجـة التالية من أحسن تقاليد الموضوعية المجربة (والتى لم تصبح مع الايام أقل بورجوازية) . أن الحياة متشعبة الجوانب . وكمابرهن آنفا ، معقدة .. ولهذا لا يجوز التسرع ومن الافضل وزن كل شيء وقياسه ومناقشته .. اذ من المؤكد أن الحقيقة توجد فى الجدل .. ان مثل هذا النمط من التفكير يشق طريقه عبر الجهـــود والتعضيد والاهتمام الفائق ، وخاصة ، لدى الناس ذوى الماضى التقدمى ، الذين هم بمثـــابة مؤلفين ، تتضمن أعمالهم أفـكارا شبيهة .

وفى نفس الوقت ، يتعرض القسم العربى من مدينة القدس لعملية تهويد على حساب الأموال الاولية التى لحظها « البارون » روتشيلد والمنظمة الصهيونية العالمية ، وسفير « الدولة الحليفة » المانيا الغربية . وفى نفس الوقت ، وعلى بعد ٧٠ كلم من دمشق تنتشر على الارض السورية العريقة « وفى غياض الابنية الجديدة » مدينة « الزراع » الاسرائيليين المدججين بالســلاح . وفى نفس الوقت ، يقذف بآلاف الاسرائيليين المعدمين الى المناطق المغتصبة ، وذلك لافساح المجال امام حكام اسرائيل ، وكما كان ذلك عام ١٩٤٨ للمجاهرة علنا : « عن أى نزوح يمكن أن يجرى الحديث فى الوقت الذى يقطن الكادحون الاسرائيليون ، ومنذ زمن ، أراضى مايسمى بالنازحين » . وفى الوقت الذى يقوم فيه مـــدير التروست الصهيونى ، ناحوم جولدمان برحلات لولبية ، مهتما فى كل مكان بالخاتمة السلمية للامر الذى شرع به يبقى كل شيء على حاله ـ « الزراع » وشبكة الصيادين الراقدة فى المياه العكرة .

***

لاشيء يقلق الصهيونية كالانتباه الثاقب الذى يعيره لها الراى العام العالمى . ولا شيء يوجب سيل الاتهامات من جانبها بالنزعات اللا سامية ، الا محاولة استقصاء الطريق الذى قطعته من البداية ولهذا التاريخ ، وهذا ليس صدفة ، فثمة موجبات عدة ، أهمها جهود الاتحاد الصهيونى العالمى للقضاء تماما على الاثار المشـينة التى خلفها فى الماضى السحيق والقريب .. على أن هذه الجهود قد خيبت الآمال . وإذ تعى الصهيونية هذا ، فهى تحاول منـذ زمن ألا تمثل أمام الرأى العام العالمى كوحدة فكرية ، تنظيمية وظيفية كاملة . انها تحاول أن تظهر بعدة وجوه ، وبخلق لاتعقلى

متنافر ومستعار ــ هذه هي اقنعة التمويه الصهيوني المعاصر التي اختيرت بامعان . ان الاهتمام الزائد ، ومقارنة الاحداث والوقائع يساعدان على رسم الصلة المباشرة بين ظواهر العصر التي خيل أنهـا متباعدة (بدء من الاستفزازات العسكرية والهزات الاقتصادية ، حتى العمل التخريبي الصغير « بين الفتيان ») كل هذا يساعد على استشفاف الوجوه المألوفة المتسترة وراء الاقنعة. وهذا الاهتمام بالذات ، الذي أملته ضرورة الاحتراز المستمر والهادىء ، يخرج ، أكثر من أي شيء آخر ، قادة الاتحاد الصهيوني العالمي عن طورهم هؤلاء الذين اعتادوا طول حياتهم وأعمالهم على « النشاط في الظل » .

ان عدوان يونيو الذي ارتكبته الطبقة الاسرائيلية الحاكمة انتزع من هذا الظل التقليدي شبح منظمي الاستفزازات الدولية، والمكائد القذرة واجرام رجال الاعمال الصهيونيين المؤهلين لدوس كل شيء على طريق أرباحهم . وها هم اليوم يسرعون للاختباء .

وعبثا يأملون .. ان الذين لا يحنون هاماتهم أمام أصحاب الجيوب المحشوة وأمام أرباب المنظمات الافترائية ، لن يسمحوا لهم بأن يتواروا ثانيا في الظلام .. كما أن الشعوب والتاريخ لن تسمح لهم بالافلات من العقاب .

اغسطس ١٩٦٨

الفهـــرس

صفحة

الفصل الاول

الخرافة والواقـع ٩

الفصل الثانى

لتفريق الحجارة وقت ولجمع الحجارة وقت ٣٩

الفصل الثالث

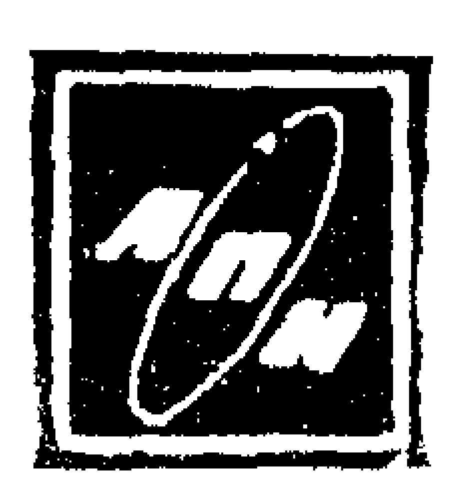
متاهة بدون سقف ٧٢

الفصل الرابع

امام الاختيار ١٠٧

الفصل الخامس

احذروا الصهيونية ١٣٩



(مطابع شركة الاعلانات الشرقية)

المصـــادر والمراجع

المقدمة والفصل الاول

[1] *Sneh M.* and *Vilenska E.* Crisis of Zionism. Tel-Aviv, 1961, p. 3.

[2] «The Jerusalem Post» (weekly), August 14, 1967, p. 4.

[3] *Bentwich N.* Palestine. London, 1934, p. 60.

[4] *Sacher H. M.* The Course of Modern Jewish History. N. Y., 1963, p. 265.

[5] *Sokolow N.* History of Zionism. London, vol. I, p. XI.

[6] *Brandeis L. Justice.* On Zionism. N. Y., 1942, p. 24—26 (quoted: *S. Levenberg.* The Jews and Palestine. London, 1945, p. 42)

[7] *Scramuzza V.* and *Mackendrich P.* The Ancient World. N. Y., 1959, p. 85.

[8] *Ausubel N.* The Book of Jewish Knowledge. N. Y., 1964, p. 126.

[9] Ibid., p. 126.

[10] *Brentano L.* Das Wirtschaftsleben der antiken Welt. Jena, 1929, p. 80.

[11] *Parkes J* End of an Exile. London, 1954, p. 92.

[12] «Книга Иеремии» (29—5, 7, 7).

[13] *Sokolow N.* History of Zionism, vol. II, p. 106.

[14] *Olmstead A. T.* History of the Persian Empire. Phoenix book, 1960, p. 57.

[15] *Salo W. Baron.* A Social and Religions History of the Jews, 2-d add, vol. V. N. Y., 1957, p. 25.

[16] Ibid., p. 25.

[17] «The Cambridge Ancient History», vol. III, p. 407.

[18] Ibid., vol. VI, 1927, p. 137, 143.

[19] *Ausubel N.* The Book of Jewish Knowledge, p. 127.

[20] *Stein L.* Zionism. London, 1925, p. 13.

[21] *Scramuzza V.* and *Mackendrich P.* The Ancient World, p. 599.

22 Ibid., p. 600.

23 *Roth C.* History of the Jews. N. Y., 1963, p. 151—155.

24 «The Cambridge Medieval History», vol. VII, 1932, p. 644.

25 *Ausubel N.* The Book of Jewish Knowledge, p. 119.

26 *Olmstead A. T.* History of the Persian Empire, 1960, p. 481.

27 «The Cambridge Ancient History», vol. VI, p. 559.

28 *Roth C.* History of the Jews, p. 91.

29 «The Cambridge Medieval History», vol. III, p. 429.

30 *Ausubel N.* The Book of Jewish Knowledge, p. 127.

31 *К. Маркс* и *Ф. Энгельс.* Соч., т. 1, стр. 410.

32 Там же.

33 *Roth C.* History of the Jews, p. 136.

34 *Ben Halpern.* The Idea of the Jewish State. Massachusettes, 1961, p. 105.

35 «The Cambridge Medieval History», vol. II, p. 156.

36 Ibid., vol. VII, p. 643.

37 Ibid., vol. VII, p. 650.

38 *Sacher H. M.* The Course of Modern Jewish History, p. 27.

39 Ibid., p. 29.

40 «The Cambridge Medieval History», vol. VII, p. 648.

41 БСЭ, т. 24, 1932, стр. 26.

42 Там же.

43 *Roth C.* History of the Jews, p. 267...

44 *Sokolow N.* History of Zionism, vol. I, p. 18.

45 *Salo W. Baron.* A Social and Religions History of the Jews, vol. V, p. 27.

46 Ibid., p. 150

47 *Stein L.* Zionism, p. 17.

48 БСЭ, т. 24, 1932, стр. 62.

49 *Stein L.* Zionism, p. 21.

50 *Sacher H. M.* The Course of Modern Jewish History, p. 27.

51 *В. И. Ленин.* Полн. собр. соч., т. 8, стр. 74.

52 *Stein L.* Zionism, p. 24—25.

53 *Lilienthal A.* What Price Israel. USA, p. 16.

54 *Ausubel N.* The Book of Jewish Knowledge, p. 234.

55 *Sacher N. M.* The Course of Modern Jewish History, p. 149.

56 Ibid., p. 131.

57 Ibid., p. 289.

58 *В. И. Ленин.* Полн. собр. соч., т. 8, стр. 74.

59 *Charles P. Daly.* The Settlement of the Jews in North America. N. Y., 1893 (quoted: *Sokolow N.*, vol. I, p. 57).

60 *Sokolow N.* History of Zionism, vol. II, p. 222.

[61] Ibid., vol. II, p. 220.
[62] Ibid., vol. I, p. 66.
[63] Ibid., vol. II, p. 230.
[64] Ibid., v. I, p. 118.
[65] Ibid., v. I, p. 138.
[66] Ibid., vol. II, p. 243.
[67] Ibid., vol. II, p. 259.
[68] *Edelman M.* A Political Biography of Ben Gurion. London, 1964, p. 55.
[69] *Sokolow N.* History of Zionism, vol. II, p. 273.
[70] «Max Nordau to his People». N. Y., 1941, p. 57.
[71] *Sokolow N.* History of Zionism, vol. II, p. 371.
[72] Ibid., vol. II, p. XLVII.

الفصل الثاني

[1] «New Outlook», Tel-Aviv, January, 1966, p. 49—58.
[2] Ibidem.
[3] Ibidem.
[4] Ibidem.
[5] Ibidem.
[6] *В. И. Ленин.* Полн. собр. соч., т. 8, стр. 74.
[7] *Ben Halpern.* The Idea of the Jewish State, p. 6.
[8] *Sacher N. M.* The Course of Modern Jewish History, p. 105.
[9] *Ben Halpern.* The Idea of the Jewish State, p. 9—11.
[10] *В. И. Ленин.* Полн. собр. соч., т. 8, стр. 73, 74, 75.
[11] *Levenberg S.* The Jews and Palestine. London, 1945, p. 134.
[12] *Л. Пинскер.* Автоэмансипация. Петроград, 1917, стр. 12.
[13] *Simon L.* Studies in the Jewish Nationalism. London, 1920, p. 31.
[14] *Т. Герцль.* Еврейское государство, С.-Пб., 1896, стр. 66.
[15] *К. Маркс* и *Ф. Энгельс.* Соч., т. 28, стр. 210.
[16] *Sokolow N.* History of Zionism, vol. II, p. LXI.
[17] *Ahad Haam.* Nationalism and the Jewish Ethics. N. Y., p. 77.
[18] *Sokolow N.* History of Zionism, vol. I, p. 189.
[19] Ibid., vol. I, p. 189.
[20] *Roth C.* History of the Jews. N. Y., 1963
[21] «Max Nordau to his People», p. 163.
[22] *В. И. Ленин.* Полн. собр. соч., т. 8, стр. 73.
[23] *Stein L.* Zionism, p. 77.
[24] *Т. Герцль.* Еврейское государство, стр. 22.
[25] *Л. Пинскер.* Автоэмансипация, стр. 12, 13.

[26] *Dark S.* The Jew To-day. London, 1933, p. 25—26.
[27] «Jewish Agency for Palestine». Jerusalem, 1947, p 7.
[28] *Crossman R.* A Nation Reborn. London, 1959, p. 21.
[29] *В. И. Ленин.* Полн собр. соч., т. 7, стр. 121.
[30] *Т. Герцль.* Еврейское государство. стр. 71.
[31] *Stein L.* Zionism, p. 75.
[32] «The Diaries of Theodor Herzl», translated and edited by M. Lewenthal. N. Y., p. 6, 10.
[33] *Л. Пинскер* Автоэмансипация, стр. 16
[34] *Sokolow N.* History of Zionism, vol. I, p 189.
[35] *В И. Ленин.* Полн. собр соч., т 8, стр. 74.
[36] «Max Nordau to his People», p. 73.
[37] Ibid., p. 92.
[38] *Т Герцль.* Еврейское государство, стр. 10
[39] *Sokolow N* History of Zionism, vol. I, p XXI, 193.
[40] *Weizman Ch.* Trial and Error. London, 1949, p. 153.
[41] *Л Пинскер.* Автоэмансипация, стр. 33.
[42] *Simon L* Studies in the Jewish Nationalism, p. 43.
[43] «The Diaries of Theodor Herzl», p. 26.
[44] *Т. Герцль,* т. I. Петроград, 1918, стр. 164.
[45] *Л. Пинскер.* Автоэмансипация, стр. 33.
[46] *Ahad Haam* Nationalism and the Jewish Ethics, p. 78, 79.
[47] *Sokolow N.* History of Zionism, vol. I, p. XX, XXI.
[48] «The Diaries of Theodor Herzl», p. 100.
[49] *Л. Пинскер.* Автоэмансипация, стр. 29.
[50] *Т. Герцль.* Еврейское государство, стр. 31.
[51] *Т. Герцль.* Полное собрание речей и статей о сионизме. Белосток, 1905, стр. 257.
[52] *Weizman Ch.* Trial and Error, p. 14
[53] *Sneh M* Conclusion on the National Question in the Light of marxism-leninism. Tel-Aviv, 1954, p. 98.
[54] *Weizman Ch* Trial and Error, p. 142—143.
[55] *В И. Ленин.* Полн собр. соч., т. 10, стр 310
[56] *Sokolow N* History of Zionism, vol. II, p XLII.
[57] *Т. Герцль* Еврейское государство, стр. 47.
[58] *Л. Пинскер* Автоэмансипация, стр. 40, 33, 36.
[59] *Ahad Haam.* Nationalism and the Jewish Ethics, p. 76—77
[60] «Max Nordau to his People», p. 24.
[61] *Levenberg S.* The Jews and Palestine. London, 1945, p 137.
[62] *Sacher H. M.* The Course of Modern Jewish History, p. 288
[63] *Edelman M.* A Political Biography of Ben Gurion, p. 32.
[64] *Sokolow N.* History of Zionism. vol. II, p. 364—365
[65] Ibid., p. 366.

[66] Ibid., p. 365.

[67] Ibid., p. 366.

[68] Ibidem.

[69] *Levenberg S.* The Jews and Palestine, p 11.

[70] Ibid., p. 17.

[71] Ibid., p. 55.

[72] *Т. Герцль.* Еврейское государство, стр. 25, 26.

[73] БСЭ, т. 24, 1932, стр. 107.

[74] Там же.

[75] «The Communist International. 1919—1943», Documents, vol. I. London, 1956, p. 366.

[76] БСЭ, т. 24, 1932, стр. 105.

[77] *Вл. Жаботинский.* Бунд и сионизм. Одесса, 1906, стр. 48.

[78] *В. И. Ленин.* Полн. собр. соч., т. 10, стр. 266—267.

الفصل الثالث

[1] Центральный государственный архив Октябрьской революции, фонды

[2] Там же.

[3] Там же.

[4] Там же.

[5] ЦГАОР, ДП, ОО, д. 11, ч. 2, литер «Б», 1898.

[6] *Crossman R.* A Nation Reborn. London, 1959, p. 55.

[7] ЦГАОР СССР, фонды.

[8] *Паттерсон Д. Ж.* С еврейским отрядом в Галиполи. Под редакцией и с предисловием К. И. Чуковского. Петроград, 1917, стр. 5

[9] ЦГАОР СССР, ДП, ОО, д. 44, 1914, л. 83.

[10] Там жс, л. 170.

[11] ЦГАОР СССР, ф. 5325, оп. 57, ед. хр. 607.

[12] Там же.

[13] *Crossman R.* A Nation Reborn. London, 1959, p. 62.

[14] *Sokolow N.* History of Zionism, vol. II, p. 55.

[15] *Levenberg S.* The Jews and Palestine, p. 190.

[16] *Sokolow N.* History of Zionism, vol. II, p. 89, 92.

[17] *Hurewitz G.* The Struggle for Palestine. N. Y., 1950, p. 27.

[18] *Ahad Haam.* Nationalism and the Jewish Ethics, p. 24—25

[19] *Balfour A. I.* Speeches on Zionism. London, 1928, p. 26.

[20] The Palestine Royal Commission Report (CMD, 5479), 1937, p. 84.

[21] *Melchett H. L. M.* Thy Neighbour. N. Y., 1937, p. 252.

[22] *Crossman R.* A Nation Reborn, p. 61.

[23] *Sidebotham H.* British Imperial Interest in Palestine. «Garden City Press ltd», 1957, p. 11, 12.

[24] *Hurewitz G.* The Struggle for Palestine, p. 27, 28.

[25] «Max Nordau to his People», p. 57.

[26] *Jabotinsky V.* An Answer to Bevin. N. Y., 1946, p. 10, 12, 16.

[27] «Palestine and the Middle East», vol. XVIII, № 7—8, July — August, 1941.

[28] «Der Spiegel», 19. XII. 1966.

[29] *Sneh M.* Conclusion on the National Question... Tel-Aviv, 1954 (Chapter: «Zionism — the instrument of Jewish imperial bourgeoisie and imperialism»).

[30] Ibidem.

[31] «Der Spiegel», 19. XII. 1966.

[32] *Cohen M.* The Fate of a Liberal. N. Y., 1946, p. 328.

[33] *Hurewitz G.* The Struggle for Palestine, p. 27.

[34] *Edelman M.* A Political Biography of Ben Gurion, p. 92.

[35] *Kimche John* and *David.* The Secret Roads. London, 1955, p. 27.

[36] «Der Spiegel», 19. XII. 1966.

[37] *Ardent Hannah.* Eichman in Jerusalem. London, 1963, p. 37.

[38] «Thy Neighbour». N. Y., 1937.

[39] «Maariv» (Israel), April 24, 1966.

[40] Ibidem.

[41] *Ardent Hannah.* Eichman in Jerusalem, p. 55.

[42] «Der Spiegel», 19. XII. 1966.

[43] Ibidem.

[44] Ibidem.

[45] Ibidem.

[46] Ibidem.

[47] *Kimche J.* and *D.* The Secret Roads, p. 54.

[48] *Background.* Public Service Division Department of State. U. S., December, 1954, p. 14.

[49] *Lilienthal A.* What Price Israel, p. 92.

[50] *Sacher H. M.* Israel the Establishment of the State, p. 34.

[51] *Ardent Hannah.* Eichman in Jerusalem, p. 38.

[52] *К. Иванов* и *З. Шейнис.* Государство Израиль, его положение и политика. Политиздат, 1958, стр. 133.

[53] *Judgemens M. D.* (Israel), 1965, p. 65.

[54] *Kimche J.* and *D.* The Secret Roads, p. 13.

[55] *Lilienthal A.* What Price Israel, p. 33—34.

[56] *Kimche J.* and *D.* The Secret Roads, p. 13.

[57] *Livneh E.* State and Diaspora. Jerusalem, 1953, p. 15.

[58] «American Jewish Conference» (Procedings of the 2-d Session). N. Y., 1945, p. 70.

[59] Ibid., p. 73.

[60] Ibid., p. 134.

[61] Ibid., p. 310, 311—317, 320.

[62] *Ben Gurion*. Israel. Years of Challenge. Tel-Aviv, 1963, p. 22.

[63] Ibid., p. 24.

[64] «Palestine Year-Book», vol. III, edited by Sophie A. Udin. N. Y., 1947—1948, p. 326—327.

[65] *Lilienthal A*. What Price Israel, p. 195.

[66] Ibid., p. 196.

[67] Ibid., p. 32—33.

[68] Ibid., p. 33.

[69] *Lilienthal A*. The Other Side of the Coin. N. Y., 1965, p. 184.

[70] *Lilienthal A*. What Price Israel, p. 207.

[71] *Weizman Ch*. A Biography by Several Hands, p. 199.

[72] CMD 5479, p. 239—240.

[73] «Towards Union in Palestine», edited Buber M., 1947, p. 7.

[74] *Vilner M*. The Palestine Problem and the Israel — Arab Dispute. Tel-Aviv, p. 5.

[75] Ibidem.

[76] *Levenberg S*. The Jews and Palestine, p. 176—177.

[77] Ibid., p. 180—181.

[78] «Forum» (Jerusalem), 1959. p. 96.

[79] *Гожанский Й*. Формирование рабочего класса Израиля и его положение, 1966; ЛГУ, дипломная работа.

[80] *Гожанский Э*. Сборник статей и речей. Тель-Авив, издание КПИ. 1959. стр. 42.

الفصل الرابع

[1] *Zeromski A*. Na zachód od Jordanu. Warszawa, 1965, str. 172.

[2] ЦГАОР СССР, ф. ДП, ОО, 1914, д. 44, л. 19.

[3] Бюллетени КПИ, 1965, Тель-Авив.

[4] Там же.

[5] *Żeromski A*. Na zachod od Jordanu, str. 36.

[6] *Ben Gurion*. Israel. Years of Challenge, p. 232, 233.

[7] *Walichnowski T*. Od Jefratu az do Nilu. «Kontynenty» № 2, 1968.

[8] Ibidem.

[9] Ibidem.

[10] *Zeromski A* Na zachód od Jordanu, str. 236.

[11] Ibid., str. 27.

[12] *Weingrod A.* Israel, Group Relations in New Society. London, 1965, p. 39.

[13] Ibid., p. 41.

[14] Ibid., p. 75.

[15] «United States News and World Report», April 17, 1967.

[16] *Zeromski A.* Na zachód od Jordanu, str. 152—153.

[17] *Vilner M.* The Palestine Problem and the Israel — Arab Dispute, CPI Tel-Aviv.

[18] Ibidem.

[19] «On the Situation of the Arabs in Israel», CPI. Tel-Aviv, September. 1966.

[20] Ibidem.

[21] *Vilner M.* The Palestine Problem... p. 28.

[22] *Zeromski A.* Na zachód od Jordanu, str. 227.

[23] «On the Situation of the Arabs in Israel», CPI, September, 1966

[24] CPI Press Release, February, 1966.

[25] Ibidem.

[26] *Sneh M.* Israeli Economy, CPI, 1961, p. 8.

[27] *Walichnowski T.* Od Jefratu az do Nilu, «Kontynenty» 1968, № 2

[28] *Л. Медведко.* Рискованное предприятие. «Правда», 11 апреля 1968 г.

[29] «Zo haderech» 17, 11, 1967.

[30] *М. Вильнер.* Коммунистическая партия Израиля в борьбе против агрессии, за мир. «Проблемы мира и социализма». 1968, № 4.

[31] «Newsweek», November 15, 1965.

[32] *Zeromski A.* Na zachód od Jordanu, str. 118.

[33] From: «Haolam Nazeh». Israel, № 1530, 28. XII. 1966 (hebrew).

[34] *А. Андрейчук.* Проникновение Израиля в Африку. «Азия и Африка сегодня», 1967, № 1, стр. 36.

[35] «Government Year Book». Jerusalem, 5720 (1959—1960), p. 69.

[36] *Brecher M.* The New States of Asia. London, 1963, p. 147

[37] «Проблемы мира и социализма», 1968, № 4

[38] Там же.

[39] *А. Н. Косыгин.* Выступление на чрезвычайной специальной

сессии Генеральной ассамблеи ООН 19 июня 1967 г. «Правда», 20 июня 1967 г.

[40] «Проблемы мира и социализма», 1968, № 4.

[41] «Davar» (Israel), August 22, 1967.

[42] Письмо из Израиля. «Правда», 6 апреля 1968 г.

[43] «The Worker» (USA), January 7, 1968.

[44] «Deutsche Volkszeitung», 13. VI. 1945, Berlin.

الفصل الخامس

[1] «Menorah Journal», USA February, 1928.

[2] «The New York Times», January 2, 1953.

[3] *В. Чернов.* Тайная война Израиля. «Красная звезда», 3 октября 1967 г.

[4] «Daily Mail», 2. VI. 1967.

[5] «Jerusalem Post», August 17, 1951.

[6] *Lilienthal A.* The Other Side of the Coin. N. Y., 1965, p. 210.

[7] Ibidem, p. 194.

[8] *В. И. Ленин.* О национальном и национально-колониальном вопросе. Госполитиздат, 1956, стр. 124.

[9] «World Jewish Congress», July 31, 1966, p. 8.

[10] «Socialist International Information», 1966—1967.

[11] Ibidem.

[12] Ibidem.

